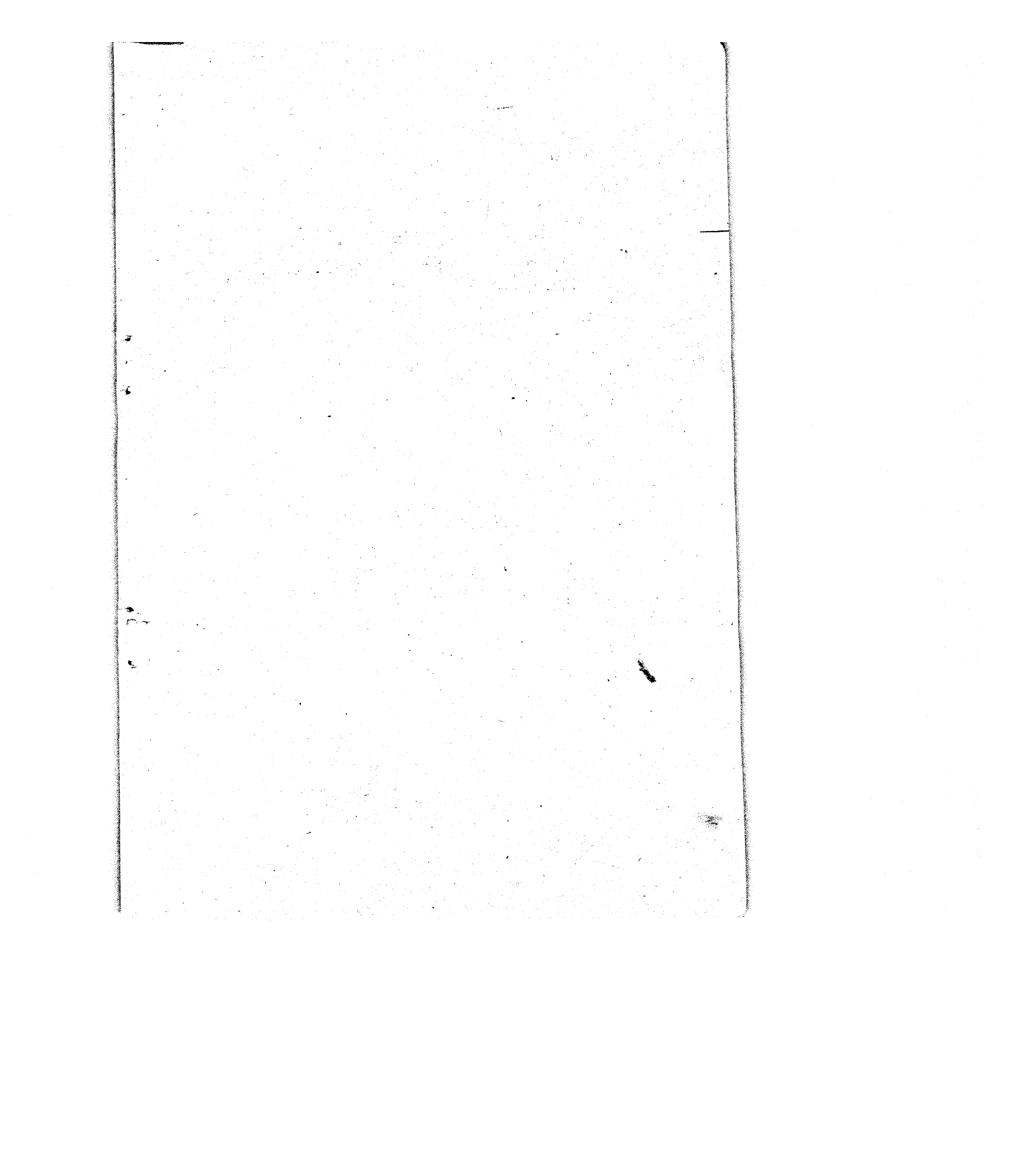
فن كتابة المقال في الأدب العربي

ا.د. مهجة محمد كامل درويش
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات - جامعة الأزهر بالقاهرة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م



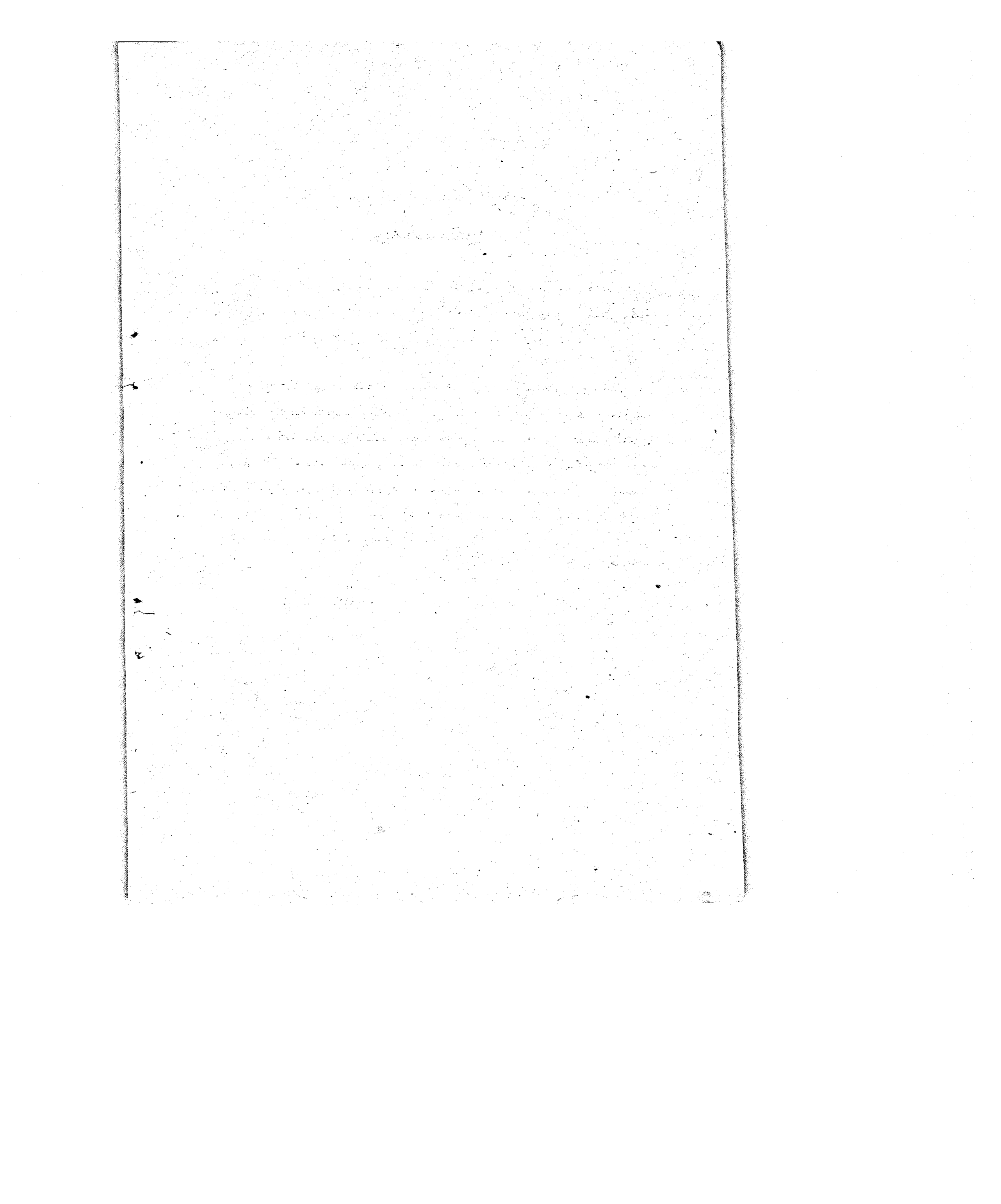
بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أما بعد فالمقالة احدى فنون النثر العربى الحديث وليس معنى ذلك خلو الأدب العربى القديم منها فالنثر العربى القديم عظيم كالشعر وفيه ظهرت جذور أكثر الفنون التى نسبت نشأتها الى العصر الحديث .

وفى هذا البحث سنعرف بالمقالة فى اللغة والاصطلاح ونبحث عن مكوناتها وكيفية كتابتها والأدوات التى تلزم لكتابتها وانواعها ومميزات كل نوع ، كما سندرس نشأتها وتطورها فى النثر العربى القديم والصور المختلفة التى وجدت عليها والعوامل المؤثرة فى نشأتها وازدهارها ، مع مناقشة الآراء التى تنسب كل جديد مخترع الى الحديث وتنسى أن الجديد من القديم . وأن القديم هو الأصل وفيه الجذور التى نمت وازدهرت وأثمرت الفنون الحديثة ومنها المقالة .

وبالله التوفيق ؟



جاء عند أهل اللغة(١) أن المقالة من القول ، والقول هو الكلام على الترتيب وهو كل لفظ قال به اللسان تاما كان أو ناقصا نقول : قال يقول قولا والفاعل قائل والمفعول مقول .

وقال سيبويه : واعلم أن قلت فى كلام العرب انما وقعت على أن تحكى بها ما كان كلاما لا قولا ، وقال يقول قولا وقيـــلا وقولة ومقـــالا ومقــــالة .

وقيل القول فى الخير والشر ، والقال والقيل فى الشر خاصة ورجل قائل من قوم قول وقيل وقاله .

حكى ثعلب : انهم لقالة بالحق وكذلك قئول وقوول والجمع قـــول ولا يجمع بالواو والنون لأن مؤنثه لا تدخله الهاء وامرأة قوالة كثيرة القول والمقول اللســـان .. ويقال ان لى مقولا وما يسرنى به مقول .

قال أبو زيد : يقال ما أحســـن قيلك وقولك ومقالتك ومقالك وقالك .

وقال ابن الأثير : العرب تجعل القول عبـــارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللســـان فتقول : قال بيده أى أخذ وقال برجله أى مشى وقال الشاعر :

وقالت له العينـــان سـمعا وطاعة

أى أومأت ، وقال بالمـــاء على يده أى قلب ، وقال بثوب أى رفعه وكل ذلك على المجاز .

فاللفظة تستخدم لحقيقة القول كما استخدمت على سبيل المجاز .

والمقالة أو المقال فى الاصطلاح تدل على هذا الفن الذى يعتمد على القول وقد عرفت منذ القديم وان لم تدل على هذا الجنس الأدبى ذى الحدود والمقاييس التى جعلتها علما على فن المقالة الحديثة فقد استخدم

---

(١) لسان العرب : مادة قول .

لكل قول وســـواء اكان هذا القول شـعرا أم نثـرا - ولكـــن المصطلح الحديث حددها بالنثر خاصة .

وعرفها النقاد الغربيون والشرقيون بتعريفات كثيرة ولم يتفقوا على تعريف جامع(١) لها . يقول جونسون فى تعريف المقالة (نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام ، أو قطعة تجرى على نسق معلوم ولم يتم هضمها فى نفس صاحبها).

ويقول مورى (قطعة انشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه - وكانت فى الأصل تعنى موضوعا يحتاج الى مزيد تهذيب ولكنها أصبحت الآن تطلق على أى قطعة انشائية ، ويختلف أسلوبها بين : الايجاز والاسهاب ضمن مجالها الموضوعى المحدود) .

ويقول : آدمون جوس (انها قطعة انشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة ســـهلة سريعة ولا تعنى الا بالناحية التى تمس الكاتب عن قرب) .

ويقول د. محمد عوض محمد (انها قطعة مؤلفة متوسطة الطول تكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد وتعالج موضوع من الموضوعات وكأنها تعالجه على وجـــه الخصـــوص من ناحيـة تأثر الكاتب به) .

ويقول د. محمد يوسف نجم (قطعة نثرية محدودة الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف الرهق ، وشرطه الأول أن يكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب .

ويرى العقاد (أنه يكتب على نمط المناجاة والأســـمار وأحاديث الطرق بين الكاتب وقرائه ، وأن يكون فيـه لون من ألـــوان الثرثرة أو الافضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية) .

---

(١) المقال محمد يوسف نجم ، نشأة المقال فى الادب العربى .

وتراه د. نعمات فؤاد (انه كلام ليس المقصود به العمق والتركيز وهو فى مدلوله الحديث ثرثرة بليغة محببة بيد أصحابها ولا يعرف كيف ينتهى) - أو أنه لا يستوفى الحقائق كلها وانما يختار كاتب المقال جوانب من الموضوع الذى يطرقه للبحث والنظر ويسلط عليه أضواء فكره ويلونه بلون شخصيته ، وهو فى هذا العرض يعتمد على مدى قدرته الفنيـــة ويستلزم القدرة على انتقاء المواد المناسبة وانماء الفكرة وتحديد الهدف).

ويقول د. عبد المنعم خفاجى (والمقال قبل كل شىء عمل يستدعى اتقانه والتبزيز فيه اقتران الموهبة بالممارسة والتجربة فتلتقى حينئذ فى كاتب المقال الصفات العقلية بالمزايا الشخصية لأنه أى المقال تعبيرا عن وجهة نظر خاصة) .

وكل هذه التعريفات هى أجزاء من تعريف المقال أو المقالة فالمقال فن حيوى فى نمو وتطور لا ينقطع .

ويمكن أن يصور المجتمع فى كل جوانبه ومن هنا وجـــد المقال السياسى والاجتماعى والتاريخى والاقتصادى والدينى والثقافى والنقدى والعلمى والأدبى والموضوعى والذاتى والتأملى والتحليلى ... الخ .

فالمقال موضوعه الحياة . وفى كل مقال يؤخذ أحد جوانب الحياة أو عدة جوانب من الحياة ويمكن تناوله بطـــريقة سريعة غيـــر مركـزة والأفضل أن يعتمد على الثقافة والمعارف المتخصصة والدراســة الواعيـة وأسلوبه فى الغالب سهل واضح ومعانيه تلائم موضوعاته والعاطفة تعكس وجهة نظر الكاتب وتعاطفه مع هذا الموضوع أو نفوره منه .

واذن فكل التعريفات السابقة تعد أجزاء فى تعريف المقال .

أما أركانه أو مقوماته فهى :

١ - **المـادة :** وهى المعارف والأفكار والآراء والأحداث والعواطف والتجارب المســتمدة من بيئـــة الكاتب وقضـــايا عصره أو من داخل نفسه وكذلك المعلومات والحقائق المختلفة سياســية وثقافية واجتماعية

ودينية وعلى الكاتب أن يعرض هذه المـــادة عرضا واضحا لا تناقض فيه ولا غموض ٠

٢ ـ **الأفكار :** وهى الحقائق التى يستخدمها الكاتب فى مقاله وهذه الأفكار تكون على قدر ثقافة الكاتب واطـــلاعه ودقة ملاحظته وسرعة بديهته وعلاقاته بالناس ومعرفته لأخلاقهم وطبائعهم ومزاياهم وعيوبه وكذلك فهمه للقضايا الفكرية والاجتماعية ٠

ويؤثر فى عرضه لأفكاره اتزان تفكيره ومقدرته على الاتيان بالحـ . والبرهان والمقدرة على الاقناع والاستنباط والاخلاص فى المعالجة ليصل الى الهدف المنشود ٠

ويشترط فى الأفكار الترتيب والتسلسل والترابط والوضوح والدقة ٠

٣ ـ **الأســلوب :** وهو الطريقة التى يصوغ بها المؤلف قضاياه وعليه أن يتسم بالوضوح والبعد عن الغموض والسطحية وعليه أن يختار المفردات الواضحة الدلالة على المقصود وأن يتحاشى الالتباس فى استعمال الضمائر، وأن تسبك الجمل سبكا جليا بدون تعقيد والتباس وأن يتحاشى كثرة الجمل الاعتراضية(١) وأن تكون الكتابة سالمة من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلام حرا مهذبا مع مراعاة تناسب الفاظه للمعانى المقصودة كما قيل :

تـزين معانيـــه ألفاظــــه   والفاظـــه زائنــات المعــانى

ويكون الكلام صريحا بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحـــرة الكريمة ، وكذا باصابة المعانى وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه ، وكذا بمراعاة الفصـل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها ٠

والبعد عن الحشو والتطويل بلا داع واسقاط مشتركات الألفاظ كقول قيس بن الخطيم ت ٦١٢ م ٠

---

(١) جواهر الادب فى أدبيات وانشاء لغة العرب ١٢ ـ ١٥ بتصرف ٠

أرى الموت لايرعى على ذى قرابة ... وان كان فى الدنيا عزيز بمقعد
لعمـــرك ما الأيـام الا معـــارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

ويجب أن يخلو الكلام من التكلف والتصنع مثل قول أبى العتاهية فى رثاء ابنه :

بكيتـــك يابـــنى بدمع عيـنى ... فلم يغن البـكاء عليـــك شـــيا
وكانت فى حيـــاتك لى عظات ... وأنت اليـوم أوعظ منك حيـــا

وكذلك يجب مراعاة السهولة ، وأن تهذب الجمل وأن يأتلف اللفظ مع اللفظ مع مراعاة النظير . قال بعض البلغاء أحذركم من التقصير فى القول وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعانى المستخفة .

ويجب اجتناب اللفظ السخيف والمعنى المستقبح والبعد عن الركاكة والغرابة واجتناب المبالغات المقوته والاطالة المملة والايجاز المخـــل واجتناب اللحن ومخالفة القياس الصرفى والتكرار وتتابع الاضافات .

خطة كتابة المقال أو منهجه :

وأى مقال له منهج أو خطة لا يخرج عنها الكاتب فهذا المنهج ينسق مادته وينظم أفكاره ويربطها بعضها ببعض .

وأول ما يقابلنا المقدمة أو التمهيـــد أو الافتتاح أو مطلع المقـــال والأفضل أن يكون عليه جدة ورشاقة ، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ، وهو يتألف من معارف ومسلمات لا ينكرها القـــراء أو يعترضون عليها والغرض من هذا التمهيد تهيئة النفوس لتقبل الموضوع ، ويجب أن يكون موافقا وملائما للموضوع من ناحية الكم والكيف فاذا كان المقـال طويلا فيمكن أن يطول مطلعه واذا كان اجتماعيا أو دينيا أو سياسيا ... الخ يجب موافقته له فى المعانى . -

وكما قال صاحب الخزانة فان كان فتحا ففتحا وان كان هناء فهناء

وان كان عزاء فعزاء(١) ويجب أن يكون الأسلوب سهلا مشوقا جذابا حتى يثير النفس للتعرف على ما بعده ·

ثانيا : العرض : وهو يلى المقدمة ويشتمل على عناصر الموضوع الرئيسة التى يسعى الكاتب الى شرحها لقرائه ولابد فيه من وحدة الموضوع لأن تعدده يشتت جهد الكاتب والقارىء معا فتضيع فرصة التركيز عليهما، ويضعف الأمل فى الاقتناع والتاثير ، ويلزم فى العرض ترتيب أجزاء الموضوع بحيث يتصل كل جزء بما قبله ويمهد لما بعده ، مع توفر الدقة والوضوح ويأتى مقنعا ومقبولا وواقعيا مؤيدا بالبراهين ومدعما بالحجج وبذا يتيح فرصة الفهم ولذة التتبع لدى السامعين ·

ثالثا : الخاتمة : ويجب أن يكون الكلام مؤذنا بتمامه بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئا بعده ، ويجب أن تكون مميزة عن سائر الكلام قبلها بنكته لطيفة أو أسلوب رشيق ، ومعنى بديع لأنها آخر ما يطرق آذان القراء ·

ويجب أن تكون منتزعة مما سبق ملخصة له فيقفى بها تقريرا لشىء من الأغراض أو اجمالا لمفصلها أو مخرجة مخرج المثل والحكمة ·

ولأن الخاتمة تكون الفرصة الأخيرة لاجتذاب العواطف وتعميق المعانى فى الاذهان ولا يتم ذلك الا بتوفر الدقة والايجاز كقول الزمخشرى فى ختام احدى مقالاته (ان الطيش فى الكلام يترجم عن خفة الأحلام ، وما دخل الرفق شيئا الا زانه ومازان المتكلم الا الرزانة) ·

ومن أمثلته فى الشعر قول ابن الوردى ت ٧٤٩ هـ :

سلام عليكم ما أحب وصالكم   وغـاية مجهود المقـل سـلام

ويحدثنا د· أحمد الشايب عن الخطة التى يتالف المقال منها فيقول(٢) (أما خطة المقاله فهى أسلوبها المعنوى من حيث تقسيمه وترتيبه لتكون

---

(١) جواهر الأدب ، ص ٣٣ ·
(٢) الأسلوب ، ص ٩٤ وما بعدها ، ط ١ ، ١٩٧٦ ·

قضاياه متواصلة بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها ، حتى تنتهى الى الغاية المقصودة · وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والختام · فالمقدمة تتألف من معارف مسلم بها لدى القراء قصيرة متصلة بالموضوع معينة على ما تعد النفس له وما تثير فيها من معارف تتصل به ، والعرض أو صلب الموضوع هو النقط الرئيسة أو الطريقة التى يؤديها الكاتب سواء انتهت الى نتيجة واحدة ، أم الى عدة نتائج هى فى الواقع متصلة معا ، وخاصة لفكرة رئيسة واحدة ، ويكون الغرض منطقيا مقدما الأهم على المهم ، مؤيدا بالبراهين قصير القصص أو الوصف أو الاقتباس، متجها الى الخاتمة لأنها مناره الذى يقصده · والخاتمة هى ثمرة المقالة وعندما يكون السكوت ، فلابد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض واضحة صريحة ملخصة للعناصر الرئيسة المراد اثباتها جازمة تدل على اقتناع ويقين، لا تحتاج الى شئ آخر لم يرد فى المقالة)(١) ·

أما أهم العوامل التى تؤثر فى كاتب المقال فهى مقدرته على الاقناع وذلك يرجع الى الدقة والوضوح فى كل خطوة من خطوات كتابته ·

واختيار الكاتب للألفاظ المعبرة عن غرضه تعد أهم الخطوات فى الكتابة فالألفاظ هى التى تعبر عن الفكر وان لم تكن هذه الألفاظ مناسبة لهدفها فان التعبير والتفكير يكون غير واضح (ولذلك فالانسان الذى لا يسيطر على ألفاظ اللغة ولا يحسن استخدامها لا يستطيع أن يسيطر على أفكاره ولا يحسن التعبير عنها) ·

الألفاظ عنصر هام فى حسن الانشاء الى الدرجة التى جعلت أحد الكتاب يعرف الانشاء الجيد بانه القدرة على وضع الكلمة المناسبة فى فى المكان المناسب)(٢) - (وقد نلحظ قصور هذه العبارة واغفالها جوانب كثيرة الا أننا لا نستطيع اهمال أهمية الألفاظ فى الكتابة وكيف تؤدى الكلمة وظيفتها ؟

---

(١) الأسلوب : د· أحمد الشايب ·

(٢) التحرير العربى د· أحمد شوقى رضوان ، جامعة الملك سعود، ط٨٤ ، ص ٢١·
د· عثمان صالح الفريح ·

الألفاظ(١) هى رموز للاشياء التى نراها أو نحسها أو نسمعها أو نلمسها أو نشمها أو نتذوقها او نفعلها ، وهى أيضـا رمـــوز التجارب الانسانية التى نمر بها ومعنى ذلك أن الألفاظ لا توجد فى ذاتها بل هى رموز لمدلولات خارجة عنها ونحن نستعين باللفظة عن الشىء ذاته حينما نقول عين أو سيارة فان هاتين اللفظتين ترمزان للأداة التى نبصر بها وللآلة التى نركبها ، وهما شيئان خارجان عن اللفظتين الألفاظ تجعلنا نفكر فى الأشياء ونستحضرها فى أذهاننا وهى بعيـــدة عن ناظرنا . هذه المدلولات للألفاظ ليست حديثة النشأة ، وانما نشأت وتطورت منذ آلاف السنين بين أفراد الأمة الواحدة . ومن خلالها نستطيع أن نصل أنفسنا بالأزمان القديمة والأماكن البعيدة ، والكلمات تقضى على حاجزى الزمان والمكان وعدد الألفاظ فى اللغة قليل بالنسبة للتجارب الانسانية ولا نتخيل أن تكون هناك لفظة مستقلة لكل شىء من حولنا فى الحياة ولكل تجربة انسانية نمر بها .

ومن هنا استخدمت اللفظة الواحدة لأكثر من دلالة وكل هـــذه الدلالات مرتبطة أو متطورة عن الدلالة الحسية الأولى للفظة .

لفظة عين مثلا نجد أنها تعنى حاسة الابصار،بئرا،جاسوسا،عظيم القوم . وبرغم تعدد دلالات اللفظة الواحدة فاننا نستطيع أن نعرف أى هذه الدلالات للفظة هو المقصود فى هذا المكان أو ذاك ، وسبيلنا الى ذلك هو أننا نوجه الانتباه الى تركيب الكلام وسياقه (نقول اذهب الى العين واملأ الدلو) ، وان عينى تؤلمنى) ، (وفلان هو عينهم على أعدائهم). ونعرف أنها فى الأولى تعنى عين الماء ، وفى الثانية تعنى حاسة البصر ، وفى الثالثة تعنى الجاسوس ، وفى الرابعة تعنى كبير القوم .

والألفاظ لا تستخدم لذاتها أو فرادى حين يفكر الانسان ويستحضر لفظة الى ذهنه فانه لا يفعل هذا ويتوقف بحيث تظل اللفظة عالقة فى ذهنه بمفردها ، وانما يربطها بغيرها من الألفاظ لتعبر مع بعضها عن فكرة تعتمل فى ذهنه ، لذلك نجد اللفظة مستخدمة دائما مع غيرها فى

---

(١) التحرير العربى ، ص ٢٢ .

وأهم شروط اللفظة الجيدة كما سبق هو الدقة وهذه الدقة لن تتوفر
أو فى كتاب لغائب ٠
الكاتب اذا لم يستطع التمييز بين المترادفات اللفظية وكذلك عدم معرفته
سياق اللفظة المناسب فان تلافى الكاتب هذين العيبين فان تفكيره يكون
قوالب لغوية سواء كان ذلك في تفكير صامت أو فى حديث بين طرفين ،
أكثر دقة وكذلك كتابته ٠

ومما يساعد على وضوح التفكير أيضا البعد عن استخدام الالفاظ
ذات الدلالة العامة وأن يجعل الكاتب ألفاظه محددة قدر الامكان،كما يساعد
على وضوح الهدف بين الكاتب والقارىء ٠

وقد يعجز بعض الكتاب عن تحديد ألفاظهم وذلك باستخدام الفاظ
عامة لا تعطى مدلولا واحدا مثل مرعب ، جميل ، رهيب ، مدهش ٠

هذه الكلمات لا تعين القارىء على فهم ما يقصده الكاتب تماما
ماذا يعنى قولنا مثلا : لقد كانت رحلة ممتعة قضينا فيها وقتا مدهشا ٠
ينبغى أن يذكر الكاتب ماذا يعنيه بهاتين الكلمتين على وجه التحديد
كأن يذكر الأسباب التى جعلت الرحلة ممتعة وكيف قضى الوقت حتى كان
مدهشا(١) ٠

ومدى تحديد عمومية أو خصوصية اللفظ يعتمد على طبيعة الموضوع
والأفضل أن يبدأ الكاتب فى استخدام الألفاظ المحددة ثم يتدرج نحو
التعميم ٠

كذلك يجب أن تكون الألفاظ صحيحة وسليمة فى اشتقاقها وبنائها
الصرفى وعربية فى أصولها وبنائها غير دخيلة على اللغة حتى نحافظ
على لغتنا وتراثنا ٠ كذلك ينبغى البعد عن الألفاظ العامية أو المحلية ٠

(٢) ن٠ المرجع ٣١ ٠

يقول صاحب كتاب التحبير العربى(٢) تحت عنوان تحرى اللفظة
الصحيحة :

---

(١) التحرير العربى ، ٢٩ بتصرف ٠

(لكى تكون كاتبا ناجحا فى كل ما تكتب ينبغى أن تستخدم الفاظا صحيحة سليمة . ومن ناحية اخرى ، يجب على الانسان المتعلم ان يتذكر دوما أن اللغة ميراث يؤتمن عليه ، يرثه عن الآباء ليحافظ عليه ويستخدمه فى حياته ، ثم يورثه لمن بعده دون تشويه ولا افساد . وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية . فاللغة ليست ملكا خاصا لأحد يتصرف فيه كما يشاء . انما هى ميراث مشترك بين الجميع ، وكثير من فساد اللغة ناتج عن الحفاظ على سلامة الألفاظ وصحتها . وكل لفظة مكتوبة هى عامل هدم أو عامل بناء للغة فاذا كانت اللفظة سليمة عاشت اللغة وازدهرت واذا كانت غير سليمة تقوضت اللغة أو ضعفت)(١) .

ويجب أن نتأكد أن أى انسان مهما بلغت درجة ثقافته فلن يستطيع أن يحيط باللغة ، فاللغة محيط واسع أوتى كل واحد منه نصيبا . هـذا النصيب يكبر ويصغر على قدر علم الانسان وثقافته .

والانسان الحريص على سلامة تعبيره ودقة معانيه يعمد الى التاكد من معانى الألفاظ وسلامة اشتقاقها وصحة ضبطها ، والرجوع الى احد المعاجم اللغوية ييسر لنا هذا الأمر ويهونه علينا . وانه لأمر محزن اغفال هذه المعاجم وعدم اللجوء اليها وهى نعم المعين للمتخصص فى دراسة العربية ولغير المتخصص أيضا .

وقد بذل علماء اللغة قديما وحديثا جهدا كبيرا فى سبيل جمع الفاظ اللغة العربية وترتيبها وبيان معانيها ، وضبط نطقها وذكر مشـــتقاتها ووضعوا هذه الحصيلة الهائلة فى عدد كبير من المعـــاجم اللفظية ومن أهمها / القاموس المحيط للفيروزبادى ولسان العرب لابن منظور .

والسبيل الحقيقى لتنمية الثروة اللفظية هو حب المعرفة والرغبة فى الاستزادة من العلم .

وتعويد الانسان نفسه على القراءة والاطلاع خارج مجال دراســـته

---

(١) المرجع السابق .

كان يطلع على الصحف والمجلات الادبية والعلمية ولا يهم تحديد المجالات التى ينبغى أن يطرقها الانسان فى قراءته انما المهم هو تنمية حب القراءة والاطلاع فى الميادين التى يرغب فيها . والقراءة المتانية والاطلاع الدائم يعرف بالالفاظ الجديدة كما يزيد المعرفة بالالفاظ التى سبق التعرف عليها.

واذا انتهينا من الشروط التى يجب توافرها فى اللفظة المفـــردة نصل الى الجملة . ومن الالفاظ الدقيقة السليمة المحددة الصحيحة المؤثرة تكون الجمل .

والجملة تعبر عن الفكرة ويجب أن تكون ملتزمة بقواعد النحـــو كذلك يجب أن تكون مؤثرة معبرة عن فكـــرة الكاتب محققة لهـــدفه . ويفضل أن تكون الجمل موجزة،واضحة،وحتى تكون الجملة واضحة يجب أن تكون محددة الفكرة،كما يجب أن يراعى الوضع المناسب لادوات الربط.

أما بالنسبة لفقرات المقال فالمفروض أن تتناول كـــل فقرة فكـرة رئيسة واحدة . ويمكن أن تكون الفقرة وحدة فى مقال يعالج موضوعا يشتمل على عدد من الافكار الرئيسة المترابطة .

وأوضح نموذج للفقرة يتمثل فى الزوايا القصيرة فى الصحف والتى تحمل عناوين مختلفة مثل فكره ، ماقل ودل ومجرد رأى ، نصف كلمة ، هموم مصرية ، ظلال، الى آخر هذه الاعمدة الصحفية القصيرة ، وفيها يركز الكاتب على فكرة واحدة لا يخرج عنها ويتناولها بالشرح والتوضيح فى عدد من الجمل الجيدة حتى تصل قوية مؤثرة على ذهن القارىء وليس هناك مقياس محدد لطول الفقرة،ويعتمد طولها على طبيعة فكرتها.اذا كانت الفكرة بسيطة فان الفقرة تميل الى القصر اما اذا كانت الفكرة معقدة وتحتاج الى قدر كبير من العرض والمناقشة فان الفقرة تميل الى الطول الى حدما وينبغى الا تكون الفقرة قصيرة بالقدر الذى يجعل الفكرة الاساسية غير واضحة أو غير وافية . كما يجب الا تكون الفقرة طويلة بالقدر الذى يجعل فكرتها الأساسية مضطربة ومتشابكة مع أفكار أخرى .

وما يجب أن يتوفر فى الجملة من صفات ينبغى أن يتوفر فى الفقرة من وضوح وترابط وخدمة للفكرة الأساسية .

من مكملات أسلوب كتابة المقال :

علامات الترقيم والمقصـــود بها النقطـــة والشرطة والقوســـين والفاصلة ... الخ .

ونبدأ بقيمة علامات الترقيم :

يدعى البعض أن عـلامات الترقيم قد تكون ضرورية فى اللغـــات الأوربية ولكنها غير ذات قيمة بالنسبة للكتابة العربية وبخاصة أن اللغة العربية تتميز بأنها لغة معـربة لكل لفظ مكان محـــدد ومعـــروف فى الجملة المكتوبة .

ويرى هذا الفريق الرافض لعلامات الترقيم انها جاءت الى العربية من اللغات الأوربية من باب التقليد ، ولو كانت ضرورية فى اللغة العربية لتنبه اليها القـدماء ولوضعوا لها علامات واستخدموها فى كتابتهم ونصوا عليها فى قواعد اللغة .

يقول د. أحمد شوقى رضوان(١) جاء فى كتاب صناعة الكتابة هذا النص وكما يتخلل مواد العمارة أمور تتمها وتزينها .. كذلك يتخلل مواد صناعة الكتابة مقويات ومزينات منها علامات الترقيم كالنقطة والفاصلة والنقطتان ، وعلامات الاستفهام وعـــلامة الانفعال ... الخ . ومرد استعمال هذه العلامات الى الذوق والمران ولكن العاملين بصناعة الكتابة حددوا مبدئيا طريقة استعمالها فقالوا عنها :

(.) النقطة ، توضع فى نهـاية الجملة التـــامة المعنى ، المستوفية كـل مكملاتها اللفظية ، وكذلك توضع عند انتهاء الكلام وانقضائه .

(،) الفاصلة ، وتوضع بعد لفظ المنادى ، وبين الجملتين المرتبطتين فى المعنى والاعراب .

وصاحب التحرير العربى(١) لايوافق على هذه الدعوى التى تجعل من علامات الترقيم زينة تترك لذوق الكاتب ومدى حاجته الى تزيين

---

(١) التحرير العربى ، ص ١٣٣ .

كتابه ، ويستند الى دليلين • **الدليل الأول** يتمثل فى طبيعة اللغة العربية باعرابها الذى يبين موقع كل لفظة وكل جملة بالنسبة لما سبقها مما لايحتاج معه الى علامات دخيلة **والدليل الثانى** هو عــدم التفات القــدماء الى هذا الأمر •

ثم يبدأ بالرد على الدليل الثانى **فيقول بماذا يفسرون الفصـــول الطويلة التى عقدها الفقهاء لأنواع الوقف ودرجاته ومواضعه فى القرآن** الكريم ؟ وبماذا **يفسرون** الفصول **التى** خصصها **البلاغيون الأوائل لأماكن فعل** الوصل فى الكتابة والانشاء ؟ **أليس هذا شعورا منهم جميعا بالجانب** الصوتى **فى** اللغة الذى لا **يمكن للأبجدية** بحروفها **المعروفة نقله للقارىء صحيح أنهم لم يتوصلوا فى ذلك الزمن الى كل عــلامات الترقيم التى نعرفها** الآن • الا انهم بكل تأكيد وضعوا **علامات لبعضها مثل (ا هـ)** للتنصيص ، والنقطة عند الفصل اللازم والقوســين • **ومن يطلع على** المخطوطات العربية يجد أمثلة كثيرة لهذه العلامات •

أما الدليل الأول فهو يرى أنه عامل هام لتوضيح الأفكار للقارىء وتوصيلها الى ذهنه فى يسر وسهولة •

وأوافق صاحب كتاب التحبير العربى على رده وعلى اعترافه بأهمية علامات الترقيم •

أما علامات الترقيم فأولها :

١ ــ علامة التنصيص « ــ » وتستخدم فى المواضع التالية :

١ ــ عند اقتباس نص بلفظه ليس من كــلام الكاتب حتى يميز القارىء بين كلام الكاتب وغيره •

٢ ــ عند ذكر عناوين كتب أو مقالات أو أبحاث •

٣ ــ عند الحديث عن لفظة ومناقشة معانيها واستخداماتها وليس من سياق الكلمة •

٢ ــ علامة الحصر وهى قوسان هلالان (ــ) وأحيانا معقوفان [ــ] ولهما استخدامات عدة يوضع بينهما كل عبــارة يراد حصرها ،

أو تحديد معنى عام سابق عليها ، أو شرح لمعنى غامض أو تمثيل لجمل أو اشارة الى موضع فى وسط الكلام ولفت النظر اليه ، أو عبارة يراد الاحتراس لها أو اضافات أو سقط فى نص يحقق .

٣ - علامة الحذف : وهى ثلاث نقط متوالية على السطر (...) وتستخدم فى المواضع التالية :

للدلالة على اسقاط لفظة أو أكثر من النص المقتبس اما للاقتصار على ذكر المهم منه ، واما لذكر بعضه واما لاستقباح ذكره ، واما توضع فى مكان نص لم يعثر الناقل عليه .

٤ - الفاصلة أو الشولة (،) وهى علامة الوقف على الجملة الصغرى . وتدل على التمهل أو التفاوت فى درجة الصوت .

ولعل أكثر مواضع استخدام الفاصلة شيوعا بين الجمل المعطوفة على بعضها .

وكذلك بين المعطوفات من مفردات (أسماء أو أشباه جمل تفيد التقسيم أو التنويع .

مثل الجهات الأصلية أربع هى الشمال ، والجنوب ، الشرق ، الغرب ، وبعد المنادى المتصل ياعمرو ، ان موعد السفر قد حان وبعد حرف الجواب فى أول الجملة (نعم ، لا ، بلى ، كلها) وبين لفظ البدل والمبدل منه .

٥ - الفاصلة المنقوطة (؛)

وتستخدم للبيان أو للشرح أو للتفصيل وتدل على وقفة قصيرة كافية كما يتضح من تسميتها فهى ليست بالنقطة الكاملة ، وليست بالفاصلة المهملة .

وتستخدم بين جملتين بينهما علاقة فى المعنى ، أو بين جملتين بينهما مشاركة فى المعنى ، وبين جملتين تربطهما فاء السببية ، فتكون ما قبلها سببا لما بعدها .

٦ - النقطة (.) وتستخدم للدلالة على انتهاء الجملة التامة أو الفقرة .

٧ ـ النقطتان المتوازيتان (:) وتستخدمان عاملا مساعدا على توضيح الكتابة للقارىء وتوفير جهده الذهنى فى متابعة العلاقة بين أجزاء الجملة وذلك فى المواضع التالية :
ـ يلفتان الانتباه الى أن تفسيرا وتجزيئا سيأتى بعد أمر مجمل .
ـ يلفتان الانتباه الى الكلام المنقول مثل قال تعالى : بحرفه أو المحكى بمعناه مثل سمعت يحدث بما معناه :

٨ ـ علامة الاستفهام (؟)
وتستخدم للدلالة على السؤال المتضمن فى الجملة السابقة عليها والسؤال قد يكون صريحا مثل كيف حالك أو عندما لا يستخدم الكاتب أداة من أدوات الاستفهام وهنا يلزم وضع الاستفهام للدلالة على التساؤل ويكون ذلك فى لغة التحاور .

٩ ـ علامة التعجب أو الانفعال ما أروع السماء ! وتستخدم بعد صيغة التعجب القياسية فى اللغة العربية (ما أفعل) ، بعد صيغ التعجب السماعية ، أو قد يتعجب الانسان فى فكرة دون أن يصوغها فى صورة تعجب .

هذه هى علامات الترقيم وإذا أهملها الكاتب فان ذلك قد يؤثر فى فهم نصه فهما جيدا فهو الكاسب اذا استعملها وهو الخاسر أولا اذا أهملها.

كيفية كتابة المقال :

المقال يتكون من عدد من الفقرات المترابطة التى تتعرض لموضوع بالمناقشة والتحليل .

والكاتب يمر بمراحل حتى يكتب مقاله .

١ - اختيار موضوع المقــال :

وهذا يلزم الكاتب أن يختار موضوعا يعرف عنه قــــدرا كافيا من المعلومات وأن يكون الموضوع مقبولا من جانب القراء الذين يكتب لهم . وعلى الدارس وعلى كاتب المقال فى هذا الشأن الا يعيش منعزلا عن العالم أو عن أحداث الحياة اليومية فالموضوعات فى أكثرها مأخوذة من تجارب الحيـــاة .

والمطلوب فى المقال ليس التطويل ولا جمع كم كبير من المعلومات بل المطلوب ، هو الفهم للموضوع المراد الكتابة فيه والتعمق فى أحداثه وأسبابه والتجارب المختلفة التى يمكن الاستفادة منها وكما ذكرت من قبل فان كل موضوع من تجارب الحياة فى شتى جوانبها صـــالح لأن يكون موضوع مقال .

فالزلزال الذى مرت به مصر والكوارث التى حـــدثت من جرائه والجوانب الايجابية والسلبية التى بدت من شعب مصر وشعوب العالم فى أعقابه كل هذه صالحة لكتابة مئات المقالات . اما بتناول موضوع الزلزال ككل او معالجة جانب أو عدة جوانب منه . وقد امتلأت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية بافكار متعددة ناشئة كلها عن هذا الموضوع . ويمكن للمنشىء فى هذا الموضوع الاعتماد على الشعور الذاتى كما يمكن الاعتماد على الحقائق أو مزجهما معا لينتج فى النهاية مقالا موضــوعيا ذاتيـــا .

كذلك يجب أن يحدد المنشىء هدفه من كتابة هــــذا المقال هل هو التعليم أو الاصلاح والتوجيه والنصح أو الكشف عن خطأ .

من أمثلة هذه الموضوعات هذا الموضـــوع بعنوان الزلزال المفترى

عليه بقلم د٠ حسن رجب(١) نشرته جريدة أخبار اليوم فى ١٢ نوفمبر ١٩٩٢ ٠

فى الأيام التالية للزلزال طار النوم من عينى ٠٠ ليس خوفا ٠٠ فأنا أنام ملء جفونى بعد أن أسلم أمرى الى خالقى ٠٠ وانما بسبب الأصدقاء، الذين أرادوا الاطمئنان على العائلة والأصدقاء ، وجاءت مكالماتهم بسبب فروق التوقيت أو بسبب ازدحام الخطوط الخارجية فى النصف الثانى من الليل ٠٠٠ !

من بين هذه المكالمات الملهوفة جيولوجى مصرى صديق مهاجر الى المانيا سألنى كيف لم تتنبأ المراصد المصرية بالزلزال بالرغم من أن زلزالا أوليا قد حدث قبل الزلزال الكبير بعشرة أيام ، وسجلته مراصد المانيا ٠ وكان يمكن بتتبع مصدر الهزة وقياس النشاط الزلزالى فيها بالأجهـــزة الحديثة التنبؤ ، ولو على وجه التقريب ، بتوقيت وشدة الزلزال !

وقلت للصديق : مع احترامى للعلم ولما تقول ، فاننى لا أكاد أرى فائدة لذلك ٠٠ ماذا كان سيحدث لو علمنا ؟ لا شئ تقريبا ! هل تتصور مهمة اخلاء مدينة بها اثنا عشر مليونا من البشر خـــلال يوم أو أيام ؟! خصوصا مدينة مثل القاهرة لم تستعد يوما لمثل هذه الكارثة ؟! أم هل كنت تريد الاخلاء تلقائيا ؟ ان كثيرا من المبانى التى سقطت ٠ صدر بشأنها قرار اخلاء وازالة لخطورتها الفادحة على حياة سكانها ٠٠ ومهما كانت مصداقية التنبؤ فان زلزالك كان سيبقى مجرد احتمال ٠٠ أما مالدينا فكان موتا محققا ٠ ٠ومع ذلك فشلنا فى اخلاء هذه المساكن ٠٠!

ان زلزال القاهرة بكل المقاييس العالمية هو زلزال خفيف « هايف » لم تتأثر به بيوت قديمة جدا لم تعرف الخرسانة المسلحة ولا التكنولوجيا الحديثة ٠٠ ولكنها لم تعرف أيضا غش وخســة المقاولين وفساد ضـــمير المراقبين الحكوميين ٠

---

(١) جريدة أخبار اليوم ١٢ نوفمبر ١٩٩٢ ٠

زلزال القاهرة المفترى عليه لم يكن منشئا لكارثة وانما كاشف لها ..
ولهذا ما كان انذارك سيجدينا شيئا .. وسلم لى على الزلزال .. !

والمقال السابق تناول موضوعا عاما أو لنقل انه كان موضوع الساعة فى ذلك الوقت . ويمكن أن ندرجه تحت المقال الاجتماعى فقد نقد بعض فئات المجتمع المصرى، وأشار الى أحد العيوب الأخلاقية وهو التنصل من المسئولية والقاء الأخطاء على الغير . وقد استخدم أسلوب التلميح دون التصريح وخاتمة مقاله موجزة ساخرة .

وهذا مقال آخر فى نفس الموضوع بعنوان (وزير الاضمحلال فى كارثة الزلزال) نشرته جريدة الوفد فى ١ نوفمبر سنة ١٩٩٢ .

فى أعقاب كل هزة أرضية يخرج علينا وزير البحث العلمى ببيان يعلن فيه أن الأزمة انتهت ، والقشرة الأرضية قد استقرت ، والزلزال فى طريقه الى « الاضمحلال » ، وان كل شىء على ما يرام .. ويتعهـــد الوزير بعدم تكرار ما حدث .. ويصدق الناس ما يقوله الوزير ، لأنه وزير ومسئول ، وليس من صفات الوزراء الخداع أو التضليل ، ولكن ما ان ينتهى بيان الوزير حتى يفاجأ الناس بهزات جديدة أشد عنفا وقوة .. ويتبين لهم ان حكاية « الاضمحلال » من وحى الحكومة التى تدفن رأسها فى الرمال ، وتواجه الناس ببيانات مغايرة للحقيقة ، ولا يســتبعد ان تخرج علينا ببيان تقول فيه ان سكان الخيام يرقصون من فرط السعادة على ايقاع الهزات الأرضية التى تتوالى بصفة منتظمة .

ان الناس يشعرون بالهزات الأرضية شعورا واقعيا . وهم ليسوا فى حاجة الى البيانات الخـادعة ، والعبــارات البراقة التى تتحــدث عن « الاضمحلال » بينما الهزات تتوالى . والتناقض بين الخداع والواقع لن يجدى فى طمأنة الناس ، بل يجعلهم يزدادون قلقا ، ويشعرهم بأن الحكومة تخدعهم حتى فى أخص شئونهم ، واذا كان الناس يتجاوزون عن أكاذيب الحكومة فى شئون السياسة والاقتصاد ، فانهم لن يتجاوزوا عن أكاذيبها فى مجال الكوارث الطبيعية ، فالحكومة حرة فى زعمها أن الانتخابات المحلية كشفت عن شعبية الحزب الحاكم ، والناس يسمعون ذلك ويضحكون لأنهم يعرفون الحقيقة ، ويعرفون أن حزبها يفتقر الى

أى سند جماهيرى ، ولكن الناس لا تضحك حين يزعم وزير مسئول ان الزلزال فى طريقه الى « الاضمحلال » واذا ضحكوا فانه يكون ضحكا كالبكاء .. لأن الحكومة لا تتحمل وحدها عواقب الكوارث الطبيعية ، بل يتحملها الشعب كله ، ويدفـع ثمنها كـل من يعيش على أرض مصر . وهو مقال فى نقد السياسة الداخلية .

وهذا مقال ثالث بعنوان (مرحلة جديدة لاعـادة القيم المفقودة) نشرته الجمهورية فى ١٩٩٢/١١/٧ .

مرحلة جديدة لاعادة القيم المفقودة :

بالرغم من الكوارث التى احدثها زلزال الاثنين ١٢ أكتوبر واستشهاد ما يقرب من ٦٠٠ شخص واصابة الآلاف الآخرين وانهيار وتصـدع آلاف المنازل والمدارس والآثار الاسلامية .. الا أنه يجب أن نستفيد منه ونعتبره مرحلة جديدة لاعادة مراجعة أنفسنا واستعادة قيمنا المفقودة .

لعله يكون مرحلة جديدة لاعادة تطهير العاصمة من المنازل القديمة التى صدرت لها قرارات ازالة منذ سنوات ووقف السكان حائلا دون التنفيذ .. واعادة بناء مدارس جديدة غير المدارس القـديمة التى كانت تهدد التلاميذ بالموت فى فصولهم وترميم آثارنا الاسـلامية التى تركناها دون عناية منذ عشرات الاعوام .. واعادة نظم البناء والاشراف الفعلى من الاحياء على عملية البناء ومراقبة المقاولين حتى لا تتكـرر كارثة عمارة مصر الجديد التى لم نسمع عن مخالفاتها الا عقب الانهيار .. واصـلاح مستشفيات الحكومة وتزويدها بالأجهزة والأدوية والأطباء بعد فشلها فى علاج المصابين .

ولعل الزلزال يكون مرحلة جديدة لاعادة تطهير نفوسنا من الطمع والجشع والغش والخداع واعادة القيم الدينية المفقودة ومحاربة الفساد .

ولعل الزلزال يعيد الحب والمودة والقدوة بين الأستاذ وتلميذه .. فكم كنت متأثرا بهؤلاء الأطفال الأبرياء الذين تركهم أساتذتهم وهربوا من الفصول يوم الزلزال .. وخرج التلاميـذ يواجهون مصـيرهم فى رعب

وخوف وسقطوا قتلى ومصابين على سلالم المدارس من شدة الازدحام بعد أن هرب قدوتهم .

وهذا مقال رابع نشرته جريدة الأهرام فى ١٩٩٢/١١/٧ وهو بقلم يوسف جوهر ..

حـــوار مع الزلزال ..!

فى الزمن الخالى كان امير الشعراء احمد شوقى يتعامل مع كارثة مثل كارثةالزلزال بمرثية مبللة بدموع البكاء على الأطلال .. وقد تخاطب بعض سطورها القلوب الرحيمة لكى تستيقظ وتعطى .. أما فى أيامنا هذه فان القصيدة الممهورة بتوقيع مليونير هى التى تستولى على المشاعر ويخفق لها القلب فهى التى تتكون أبياتها من أسمنت وحديد وحجر تقوم فوق انقاض مدرسة منهارة أو مساكن لمن فقدوا المأوى ، أو الذين يعيشون على هامش القبور يتنفسون ريح الموت وهم احياء ، هذا هو الشـــعر البليغ المعاصر وما ينبغى أن يكون .

ومن حسن الحظ أن مأساة الزلزال كشفت لنا عن « مواهب » فى مضمار العطاء كانت مجهولة .. ووجدت فرصـــة الظهور والتعبير عن الشجن القومى والانتماء العملى لوطن ألفنا أن نضمد جراحه بالشعارات الجوفاء .

والجديد الذى ينشرح له الصدر أن نغمة العطاء تغيرت .. والذين يبذلون من حر مالهم لا يفعلون ذلك ابتغاء الحصول على لقب « المحسن الكريم » .. وقديما كان الذى يتبرع لمستشفى ، مثـــلا ، يتبرع ونصب عينيه « الباشوية » وما تضفيه عليه من أبهة وجاه وصيت .. واذا حسنت نية المتبرع فلا أقل من أن يشترى بتبرعه بطاقة توصية للسماء تكفل له سحب صحيفة سوابقه وذنوبه وتحجز له مكانا فى الجنة .. فما أجمل ان تستوعب ضمائرنا وأفهامنا دروس تربية وطنية مستنيرة وان يعى القادرون منا أن أرباحهم جاءت من الشعب ، وان المنتج مدين بثروته للمستهلك.. وأن الواهب ليس متفضلا عندما يهب ، ولكنه يتقدم بنوع من الاعتراف بالجميل لقومه الذين أباحوا له استثمار نشاطه وخبراته ومهاراته .

ولعل التكافل المبشر بنمو الوعى الاجتماعى من أهم مساعى التغلب على الحقد الاجتماعى والضغينة المعلنة أو المضمرة فى السرائر .. ضغينة الذين يشقون ويتعذبون على الذين ينعمون .. أو يحسبون أننا حطمنا أصنام الاشتراكية المشبوهة لنقيم مكانها أصنام ومساخيط رأس المال وأن هيكل الوثنية قائم وان كل ما فعلناه أننا غيرنا أشكال الأصنام وطاقم الكهان .

احلم باليوم الذى لا يكره فيه المواطن البسيط صاحب السيارة الشبح والبيت الأنيق المريح ..

نقترب من الحلم اذا اقنعنا الشاب الجامعى العاطل بأن الضرائب لا تترك لأصحاب الشرائح العالية الا خمس ما يربحون ، وان المولين يتجاوبون ولا يتهربون .. وان هامش الربح برىء ومصفى من الديدان التى تمتص دم المواطن وتنتفخ وتبخ سمها فى وجه الصابرين الذين يواصلون الحياة بمشقة .

★ ★ ★

لا أظن أن زلزال ١٢ أكتوبر هو الزلزال الأول فى حياتنا .. واحسب أنه مسبوق بسلسلة من الزلزال ترقرقت تحت تربة السلام الاجتماعى فى مصر على مدى قرن وعجز مقياس ريختر المصرى عن قياسها ورصدها .. طلع علينا فجر ثورة صدحت موسيقاها فى قلوبنا جميعا .. وقدمت لمصر ثوب زفاف باهرا يبشرها بشهر عسل مديد ينسيها بؤسها الغابر .. ثم ما لبثت الثورة أن خانت نفسها واغراها حسنها بالطيش وتورطت فى تصرفات دميمة .. وعاقرت خمر الغرور والطيش السياسى .. مهزلة الوحدة مع سوريا .. الحرب فى اليمن .. حماقة ١٩٦٧ .. صائغ مخادع وضع على أكتاف قادتنا نسر صلاح الدين ، ولكن من صفيح .

اسال نفسى وقد ارتدت بى الذاكرة الى الأعوام البعدة كيف تورطنا فى كل هذا .. واستدرجنا الحكم الشمولى الى متاهات حجبت عنا الطريق .. الثمن الذى اشترينا به نسرا من صفيح ، لماذا لم نوظفه منذ فجر الثورة فى بناء البيوت البسيطة فى المدن والقرى وتركنا ابناء هذا القرن يعيشون فى القرن الثامن عشر .. وهل كان من الضرورى أن ننتظر

زلزالا يرغمنا ان ننقل قومنا كى شقق تليق بالانســـان ٠٠ أم كان من الضرورى أن تغرق الأزقة والحوارى فى مياه المجارى لكى نشرع فى تجديد شبكات الصرف الصحى ، مشروعا كان يجب أن تبدأ به الثورة وهى فى عنفوان شبابها لابعد أن يبيض شعر رأسها ٠٠

وبعد لطمة ١٩٦٧ رفضت مصر أن تدير للهوان خدها الآخر ٠٠ وفى عام ١٩٧٣ كالت للمعتدى الصاع صاعين ٠

وانتقلت مصر من الانغلاق الى الانفتاح ٠٠ ويا أيها الانفتاح ٠٠ مدد٠

استقبلت قواميس العصر اصطلاحات جديدة « الباكو٠٠ والأرنب٠٠ والبريزة٠٠ » واستوردت مصر الطعام الذى لا يصلح للاستهلاك الآدمى٠٠ والأسمنت الضعيف وحديد التسليح المغشوش ٠٠ والأدوية المحظور تعاطيها فى البلاد التى تنتجها وتفضل أن تجربها فى دول العالم الثالث ٠٠ وكان وكان البشر حيوانات التجارب ٠

وأصبح الانفتاح مرادفا للسرقة والرشوة والاثراء بلا سبب ٠٠ والذى كان يسرق عنزا صارت ذمته تلومه اذا لم يسرق بقرة ٠٠ والبناء بالمخالفة للقانون صار من طقوس المعمار ٠٠ ووظائف الدولة صـــار لها توصيف ظريف ٠٠ بعضها له ايراد ودخل ٠٠ وبعضها لا صلة له بالجمهور يعيش شاغلوها ويموتون وهم من بنى قحطان ، وحتى الذين جعلوا منه مطية للجريمة ٠٠ أفتوا بأن الخمر حرام ٠٠ اما المخدرات فتعاطيها والاتجار فيها لم يرد فى القرآن الكريم نص يقضى بمنعها وتحريمها ٠

زلازل تمشى بهوادة تحت تربة الســـلام الاجتماعى ويعجز جهـــاز ريختر عن قياسها ورصدها ٠٠ فهل كنا فى حاجة الى زلزال ملموس تميد منه الأرض وترتعد لكى نفيق ونبحث عن قيمنا بين الانقاض

وقد أتاح لنا الزلزال أن ننظر فى داخلنا ٠٠ فى أعماق نفوسنا ٠٠ وان نستخرج منها ما نملك من نخوة ونجدة ٠٠ وما حسبناه قد نضب فينا تبينا أنه مطمور تحت ركام النفور من الاخطاء والسلبيات وان هبة ريح عاتية كفيلة أن تكشف عن معدن قومنا وجوهره النفيس ٠٠ وتؤكد ان رئيسنا لا يقود شعبا خاملا متواكلا ٠

ويجمل بنا ونحن نواجه أيامنا العصيبة أن نتجاوز مرحلة جلد الذات او تملقها .. وان لنا أن تعرف بدقة أين نقف ؟

لعلنا ، فى معدلات الجريمة ، احسن حظا من بلاد تتقدمنا وتتفوق علينا حضاريا .. ولكن هل هذه المعدلات فى صالحنا اذا انتقلت المقارنه الى احصاء الموظفين الذين يعيثون فسادا فى أجهزة الدولة ويضعون انفسهم فى خدمة الخارجين على القانون بالتحريض والاتفاق والمساعدة وتوظيف خبراتهم فى فنون اختراق القانون ..

نكاد نمسك باليد الذئاب والثعالب فى مجال البناء والاسكان فقد مضت الأعوام وهم طلقاء يمرحون ويعيشون كما يحبون ..

فى لندن كنت أجلس فى حديقة بيت صديق ورأيت أخشابا أعدها لتوسيع كشك فى الحديقة ، ولاحظت أنها تزحم المكان وسألته لماذا لا يبدأ ؟! قال لى أنه ينتظر الترخيص .. الحديقة خلفية ولا ترى الطريق .. ويستطيع أن يفعل ذلك فهو ينتظر الترخيص .

وفى أمريكا رأيت مهندس المدينة يفحص الطابق الأرضى قبل أن يأذن ببناء الطابق الذى يعلوه .. وعرفت أن الحواجز والقواطيع الداخلية تحتاج الى ترخيص جديد اذا شاء المالك تعديلها وفى مصر ، وبعد صدور الأمر العسكرى بتجريم انشاء الأدوار المخالفة للارتفاع .. تبلغ ببعض الملاك بلادة الحس القومى فيتجاهلون هذا الأمر ويستخدمون فى جنح الظلام الونشات الرافعة تحمل الخرسانة ومواد البناء لاستكمال الأدوار المخالفة .. ذلك أن القانون عندهم لم تعد له هيبة .. وأنه يتساوى فى المكانة مع رسم من رسومات الكاريكاتير فى صحيفة .. رسم يقول لك: انك لماح وتتذوق النكتة ! ..

★ ★ ★

أحاول أن ابتعد عن الزلزال . .ولكنه لا يريد أن يبتعد ويحب أن يقيم فى اعصابى .. حتى اللورى الثقيل وهو يبهب الطريق فى الليل يحاول وهو يهز مخدعى أن يوحى بانه شيطان صغير من أطفال الزلزال الأب .

والكثيرون من السادة القراء مازال الزلزال يشغل بالهم ٠٠ المحاسب الدكتور على عثمان يقول فى رسالته انه قرأ فى الأهرام صباح الجمعة ١٦/١٠/١٩٩٢ تصريحا لوزير البحث العلمى يقول فيه : « انه لا يوجد أى مرصد فى العالم ، ولا أى عالم ، يستطيع أن يتنبأ بموعد ومكان وقوع الزلزال » وأن الأهرام نشرت فى نفس العدد رأيا للدكتور الجيوفيزيائى محمد جلال الأبيارى الأستاذ الجامعى وعضو الجمعية الأمريكية والجمعية اليابانية لعلم الزلزال ، ينبه فيه الى ما حدث فى زالزال سان فرنسيسكو الذى بلغت قوته ١ر٧ بمقياس ريختر ، ومع أنه كان أقــوى زلزال فى العالم فان عدد ضحاياه لم يتجاوز ٧٢ شخصا لأن التنبؤ به حدث قبـل وقوعه بساعتين ، انطلقت فيهما أجهزة الاعلام بالنذير والتحذير الأمر الذى ساعد على تفادى المزيد من الخسائر فى الأرواح ٠

ويعود الدكتور الابيارى ويذكر فى حديث اذاعى أن اليابان عرضت اقامة شبكة رصد بالأقمار الصناعية ، وأنه أخطر رئيس مجلس الوزراء بهذا العرض وفى نفس عدد الأهــرام الذى نشر به تصريح وزير البحث العلمى يعلن الوزير فى الصفحة الأولى أنه تقرر انشاء شبكة قومية لرصد الزلزال فى مصر تتكلف نحو عشرة ملايين من الجنيهات ٠

والدكتور على عثمان يتساءل : من نصدق ؟ ٠٠ الوزير وهو غيــر متخصص أم نصدق الخبير الجيوفيزيائى والأســتاذ الجامعى المتصل بالدوائر العلمية المعنية بشئون الزلزال ٠٠ ويحتج على هذا التخبط الذى يشكك فى مصداقية التصريحات الوزارية ٠٠ ويريد أن يعرف فيم تنفق الدولة الملايين فى اقامة هــذه الشبكات اذا كانت من الكماليات التى لا تقدم ولا تؤخر ؟! ٠٠

واحسب انه أولى من ذلك أن نكون أكفاء عند مواجهة الكوارث اذا وقعت ٠٠ الدولة قامت بواجبها فى كارثة الزلزال ٠٠ والمواطنون خاطروا بأرواحهم وبذلوا دماءهم ٠٠ ولكن شــيئا ما كان مفقودا ٠٠ النظــرة المستقبلية ٠٠ وضع الاستعداد لملاقاة الأخطار المجهولة ٠٠ الجيش مثلا قد يكون على يقين من أنه لن يواجه حربا لسنوات عديدة قادما ولكنه يكون دائما فى وضع الاستعداد ٠

عندما غرقت سفينة فى مياه البحر الاحمر قيل انه كان من الممكن تجنب الكثير من الخسائر فى الأرواح لولا أن النجدة تأخرت والغرقى صارعوا قدرهم فى الظلام الدامس .. ولا انوار كاشفة تدل عليهم .. ولا طائرات باراشوت تحلق فوقهم .

فماذا فعلنا لكى نكون اقدر على التعامل مع هـذا النوع من الكوارث اذا تكرر .. لا شىء ويحسب لنا ، لا علينا ، أننا لا نتجاهل نقائصـنا .. ونتحداها .. وبعد الزلزال صرنا نكره أن نكون نعاما ندفن رؤوسنا فى الرمـال ..

اصبحنا نرى ونرفض .. ونصر . حكومة وشعبا على أن ننفى من ارضنا الذئاب والثعالب .. وتبهرنى روح العطاء التى اندلعت وهاجة .. العطاء لمصر وتعويض خسائرها .. وبناء ما تهدم فيها وأنهار بطريقة افضل وأجمل .. يخلب اللب ان الفقراء ينافسون الاغنياء فى العطاء .. ويحلمون لمصر ويسعون الى ارغام الحلم أن يصبح واقعا .

هزنى صوت فى التليفون يرتجف بالانفعال والشيخوخة صوت لم أسمعه منذ ثلاثين عاما .. كان جارى فى الفصل ، فى كلية الحقوق ، قبل أربعين عاما .. فرقت بيننا الايام ، لم أكن اعرف أين هو .. سألنى وكأنه يلومنى : « أين أبناء دفعتنا .. لماذا لا يلتقى الاحياء منا ويفكرون لمصر فى محنتها .. القادرون منا يوفون الدين أضعافا .. والآخرون يقدمون جنيها اذا استطاعوا » .

ضحكت بمرارة .. لم تطأ قدمى الجامعة منذ تخرجى .. لا يعنيها أن يكون لها صلة بخريجيها .. كاننا كنا الوفا من المجندين الأميين قضوا فترة التجنيد وتم تسريحهم ..

بهرتنى فكرة صاحبى وملأتنى اسى وشجنا .. لو أن مئات الالوف من كل جامعة وكل كلية ، احتفظت واعتزت بالرابطة التى ضمت أبناءها فى أجمل أيام العمر .. لتنافسوا ، وقد استعادوا شبابهم الغض فى تقديم الهدايا لمصر .. ولفوجئنا بجبل من الاسهم والسندات والجنيهات والقروش

والدموع والضحكات والأشواق .. ما أجمل أن ينتهز الأبنــاء كل مناسبة ليقبلوا يد مصر .. وليمسحوا فى لهفة وشغف ، الدموع من عينيها .

وما أجمل أن نحلم لمصر .. ويمتلئ بها خيالنا .. وأن نسبح بها وتسبح بنا فى بحار النشوة .. عند ذلك يخضع الحلم ويرضى أن يكون واقعا وعند ذلك فقط يغتسل علمها من أحزانه وينسى الزمن الردئ ... ويرفرف بكبرياء .

كل هذه الموضوعات السابقة دارت حول حدث وقع فى حياتنا لم نستطع أن ننعزل عنه بل أحسسنا به وتفاعلنا معه وربطنا بين هذا الحالات وبين حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية كما لم نستطع أن نغفل مشاعرنا تجاهه . ومع ذلك فالفكـــرة الأساسية أو الموضــــوع الأساسى هو الزلزال .

٢ - الموضوع أو تناول هذه الفكرة.ونحن اذا نظرنا الى كل افعالنا فى الحياة وجدنا أن هناك هدفا وراء كل فعل نقوم به . فنحن نعبد الله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاته وتحقيق أمل الانســـان المؤمن فى دخول الجنـــة .

واذا استمعنا الى شخصين يتحاوران نلاحظ أن هناك هـدفا وراء المحادثة ، يخبر احدهما الاخر بحدث ، يصف له شيئا ، يناقشه فى أمر ، يعرض عليه مشكلة ينقل اليه تجربة عاشها ويريد مشاركته فيها .

والأمر نفسه يحدث عندما نكتب ، فنحن نخاطب آخـــرين بلغـة صامتة ، نحاول من خلالها أن نصف لهم أو نشرح أو نناقش أو نقنع أو نقارن ، أو نشركهم فى تجربة سعادة وحزن أو تجربة شقاء وحزن .

وأحد العوامل الأساسية التى يتوقف عليها نجاحنا فى الكتابة هو تحديد الهدف ، وتحديده يعنى وضوحه فى أذهاننا قبل البدء فى الكتابة . وهذا التحديد يساعدنا على أمرين أساسين : معرفة ماذا نكتب ، وكيف نكبـــت .

٣ - والاختيار عنوان المقال أهمية كبيرة فهو أول ما يقع عليه عين القارئ ليتعرف على مضمونه وكما قيل (الكتاب يقرأ من عنوانه) وهو أيضا يساعد الكاتب على تحديد موضوع المقال .

ولذلك ينبغى أن يكون العنوان محددا ولا يتحقق ذلك الا عندما يكون الهدف واضحا فى ذهن الكاتب فى بعض الحالات يكون العنوان واضحا من تلقاء نفسه ويحدد الموضوع بذاته مثل « ماذا تفعل اذا فاجأك الزلزال » أو كيف تكتسب الأصدقاء أو كيف تلخص كتابا أو تكتب قصة أو تربى أطفالك ... الخ .

وهذه العناوين تعنى أشياء مباشرة ودراسات موضوعية محددة . أما عندما يكون المقال الذى اخترته طويلا متداخل الأفكار فان الأمر يحتاج الى قدر من الجهد والتدبر لاختيار العنوان المناسب . وفى هذه الحالة علينا أن نضع العنوان المحدد للمقال من الزاوية التى تهدف اليها وهذا التحديد يساعد الكاتب والقارئ ، ويجعل الأفكار تنساب فى تناسق ومنطقية دون اضطراب أو قفزات من فكرة الى أخرى .

ثم ان العنوان ينبغى أن يكون واضحا مباشرا وبعيدا عن الغموض كما أشرنا من قبل فاستخدام كلمات (الرائعة ، الساحرة الغامضة - المعقدة) فى أوصاف الأشياء التى يراد الكتابة عنها لا يساعد الكاتب على وضوح رؤيته لمقال وماذا يكتب وكيف يكتبه ، وانما توقعه فى كثير من الاضطراب والحيرة . ينبغى أن تكون العناوين مباشرة واضحة . ودالة على ما جاء أو ما سيجيء فى المقال .

ونجد بعض الكتاب يرون أنه من الأفضل وضع عنوان المقال بعد الانتهاء من كتابته فى صورته الأخيرة وهنا يكون الكاتب أكثر توفيقا وقدرة على اختيار العنوان المناسب . ويرجع ذلك الى ما يفضله الكاتب فقد يحدد عنوانه قبل بداية كتابته أو بعد أن ينتهى من الكتابة .

٤ - خطة كتابة المقال أو منهجه :

وهذه نقطة ضرورية وخطوة لابد منها والخطة تعنى الاطار الذى يختاره الكاتب لبناء مقاله . ووضع الخطة يوفر جهدا ومشقة كبيرة للكاتب فاذا وضح فى ذهن الكاتب الخطة السليمة والمناسبة لموضوعه سيجد أن الكتابة فى غاية السهولة والبساطة وسيحالفه باذن الله حظا من التوفيق . والخطة توضح الهدف فى ذهن الكاتب وتحدده وترتب أفكار وتسهل عليه عرضها بحيث يتحقق الهدف من المقال .

وانبه هنا الى أن الخطة تناسب المقالات كما تناسب الاجابة فى الامتحانات التى تعتمد عادة على الوصف أو السرد أو الشرح أو التحليل . وأبسط طريقة لوضع اطار لواحد من هذه الموضوعات هى أن تكتب خمس جمل تامة مختلفة عن هذا الموضوع (مثلا) ثم نجعل كل جملة منها فكرة رئيسة لفقرة مستقلة وننميها فى جمل تامة مع الاستعانة بالشرح والتفصيل والتمثيل .

ويمكن رسم الافكار على النحو التالى :-

العنوان : يشير فى وضوح الى مضمون المقال .

الفقرة (١) : مقدمة تثير انتباه القارىء وتحدد هدف المقال وتمهد للقسم التالى منه .

الفقرات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ : انتقال من التعميم الى التخصيص عن طريق الشرح المفصل واعطاء أمثلة توضيحية لما أجمل فى المقدمة .

وتختص كل فقرة بعنصر واحد من عناصر المقال .

الفقرة (٦) تلخيص للنتيجة(١) التى توصل اليها المقال وتاكيد لهدفه .

وقد يختلف طول الأجزاء تبعا لطبيعة المقال ، كأن تحتل المقدمة

---

(١) سياتى تعريفه فيما بعد .

أو الخاتمة فقرتين بدلا من فقرة واحدة ، ومع ذلك علينا أن نحافظ على قدر الامكان على التناسب بين المقدمة والعـــرض والخاتمة ، فلا تطغى المقدمة أو الخاتمة على الجزء الأوسط الخاص بالمناقشة والعرض والآن سنورد مثالا نوضح عليه كيفية التطبيق ٠

المقال يمكن أن يدرج تحت المقالات التحليلية وهو نوع من المقالات التى يغلب عليها الجانب الموضوعى ٠

المقال بعنوان (شـــخصيتك)(١) ٠

وكما يدل الاسم يقوم على تحليل الموضوع الى عناصره المختلفة ثم يتناول الكاتب كل عنصر منها بالعرض والمناقشة فى فقرة أو فقرتين الى أن ينتهى من عرض كل العناصر المكونة للموضوع ٠ وقد يذكر الكاتب هذ العناصر مجملة فى مقدمة المقال ، وقد يكتفى بالاشارة الى أن الموضوع يتكون من عدة عناصر ، ثم يأخذ فى تناولها عنصرا عنصرا ٠

الفقرة الأولى : تمهيـــد يثير انتباه القـــارىء ويركز انتباهه على موضوع المقال ٠

يقول الناس ان فلانا « قوى الشخصية» وان فلانا الآخر « ضعيف الشخصية » ، وان فلانا الثالث « بارز الشخصية » وان فـــلانا الرابع « لطيف الشخصية » ويقول أحد علماء النفس « ان فى الدنيا عددا من الشخصيات يساوى عدد ما فيها من الوجوه » ويقول عالم آخـــر « ان الشخصية وحدة متميزة ٠

الفقرة الثانية : تحديد لهدف المقـــال وتأثير العناصر المتعددة على قوة الشخصية أو ضعفها ٠

فما معنى الشخصية ، وما مكوناتها ، وما صفات الشخصية القوية أو الضعيفة ؟ وهل فى الامكان تقوية الشخصية الضعيفة وهل لصفات الجسد المختلفة من طول أو قصر أو سمنة أو نحافة أو جمال أو قبح أو عاهات

---

(١) التحرير العربى ، ص ١٣٢ ٠

جسدية ، علاقة بقوة الشخصية أو ضعفها ؟ باستوائها وانحرافها ؟ وهل للطبع والعقل والعاطفة والسلوك صلة بنوع الشخصية واتجاهاتها ؟ وهل للمظاهر المادية كاللباس وطريقة الحديث ، والمظاهر المعنوية ، كنوعية التفكير ، وطرائق التعبير من أثر فى اعطاء الشخصية طابعها ٠

كل هذه الأسئلة تطرأ على ذهن الانسان ويبحث لهـا عن اجابات معقولة مقبولة تستند الى الراى العلمى والبحث السيكولوجى وسنحاول فى كلمتنا هذه أن نجيب عنها بقدر ما يسمح به المقام ٠

الفقرة الثالثة : تحليل لعنصر المظهر الجسدى ٠

ان مظهرك الجسدى كونك طويلا أو قصيرا سمينا أو نحيفا ، جميلا او قبيحا ، سليما أو مريضا ، سويا أو صاحب عاهة ٠ عنصر هـــام من عناصر شخصيتك وأهمية هذا العنصر تأتى من أنه يحدد نوع تصرف الناس تجاهك وهذا التصرف يحدد بدوره تصرفك أنت نحوهم ٠ ومعنى هذا أن جسدك ليس مهما فى حد ذاته ، لكن أهميته ترجع الى طـــريقة نظر المحيطين بك اليه ، فقد اعتاد الناس مثلا أن ينظروا الى الطويل الضخم نظرة تختلف عن نظرتهم الى القصير القمىء واعتاد الطويل الضخم مقابل ذلك أن ينظر الى نفسه نظرة مستمدة من نظر الناس اليه ، وهى نظرة اعتداد وثقة ولقد درج الناس على التلطف مع الجميل والتجهم للقبيح - بقطع النظر عن العوامل الأخرى اذا تساوت - واعتاد الجميل تبعا لذلك أن يعتبر نفسه اعتبارا مختلفا عن اعتبار القبيح لنفسه وهكذا ٠

الفقرة الرابعة : تحليل لعنصر المظهر المادى ٠

ومما يتصل بالمظهر الجسدى بعض المظاهر المادية المرافقة له من مثل اللباس والطعام والشراب والمسكن وما الى ذلك فلباسك مثلا على صلة وثيقة بشخصيتك ٠ لقد جرى الناس على اضـــفاء مظاهر الاحترام على صاحب الثياب الأنيقة - وان كانوا يكرهون المبالغة فى التأنق عند الرجال على الأقل - كما جروا على احتقار صاحب الملابس الرثة - وان يكونوا يحترمون دوما الملابس النظيفة وهذا بدوره ينعكس على تصرفات الأنيق وغير الأنيق ٠

ولقد اتخذت الملابس لدى الكثيرين دليلا على الشخصية فانه صحيح ايضا أن نوع ملابسك ، وطريقة لبسك والألوان التى تختارها تدل على شخصيتك حتى لقد ألفت بعض الكتب فى (سيكولوجية الملابس)(١) .

الفقرة الخامسة : تحليل لعنصر المظهر الاجتماعى .

ولعل المظهر الاجتماعى هو دائما أهم مظاهر الشخصية فأولئك الذين يقولون بأن فلانا (لا شخصية له) يريدون فى الواقع أن يقولوا انهم لا يهتمون به . أما حينما يقولون بأن لفلان الآخر شـــخصية قوية فهم يقصدون أنهم يحترمونه أو يهابونه . وحين يقولون إن لفـــلان الثالث « شخصية ضعيفة » يقدرون أنهم لا يحبونه . وما التعبيرات من مثل « برود الشخصية » ، والشخصية الجـــذابة الا اشارة الى الشـــخصية الاجتماعية بقطع النظر عن الصفات العلمية الحقيقية للشخصية . ومهما يكن من أمر فان الذكاء الاجتماعى حسن التفاهم مع الناس . والقدرة على اجتذابهم ، والتعامل معهم وقيادتهم وفرض المحبة والانعطاف عليهم صفات مهمة للشخصية ، وان يكن من غير المشكوك فيه أن يكون الناس كما قال شاعرنا العربى :

والنـــاس من يلق خيـــرا قائلون له
مـــا يشـــتهى ولأم المخـطى الهبـــل

بمعنى أن الناس يضفون الصفات الحســـنة على الانســـان الناجح ويكيلون الاتهامات للذى عثر به حظه . ومن غير المشكوك فيه أيضا أن القدرة على عقد الصلات الطبيعية مع الناشى وحسن التفاهم مع الأقران مظهر هام من مظاهر الشخصية القوية والعكس بالعكس .

الفقرة السادسة : تحليل لعنصر التفكير :

ثم ان طريقة تفكيرك ، ونوع الأحكام التى تطلقها ، ومقدار انتباهك ومقدار ذكائك ، وقوة ذاكرتك وسواها من الأمور العقلية مظاهر هامة من مظاهر شخصيتك .

---

(٢) التحرير العربى ، ص ١٢٥ .

ان فى الناس من يعمل النظر فى أموره ويحاكم ما يعرض له محاكمة هادئة متزنة ، يوازن بين ماله وما عليه ويقايس بين ما يمكن ومالا يمكن، وينتبه الى كل شاردة وواردة ، ويحفظ التفاصيل ، وينفذ الى صميم الأمور ، كما أن فيهم من لا يصبر على النظر فى أمر ، ويبادر الى اطلاق الاحكام الجازفة ، ويحاكم بعين عاطفته ومصلحته لا بعين عقله وحكمته، ولا ينتبه الا الى المظاهر السطحية ولا يقارن بين ما للقضية وما عليها وليس هذا فحسب ، بل ان بعض الناس أيضا يجعلون العقل هاديا لهم ، وحكما فى أمورهم ، وفيهم من يوازن ويحكم .

الفقرة السابعة : تحليل لعنصر العاطفة .

اذا كان للعقل مكانة فى التكوين الشخصى فان للعاطفة قيمتها فى هذا التكوين ، ان فى الناس العطوف الحنون وفيهم قاسى القلب ، جامد العاطفة كثير الصياح وفيهم الهادىء الذى لا يعلو له صوت. فيهم الخجول الذى يميل الى الانطواء والاختفاء . كما أن فيهم المحب للناس ، المقبل على الحياة ، فيهم الجبان الرعديد الذى يطير لبه شعاعا لأتفه الأسباب ويهلع قلبه من اضعف الحشرات وفيهم الشـــجاع المقـدام الذى لا يهاب ولا يحسب للأخطار حسابا .. وكل هذه صفات هامة من صفات الشخصية التى لا تستطيع أن تحكم على شخصيتك أو شخصية سواك الا اذا حسبت لها حسابا واقمت لها وزنا . والحق أن الناس يعلقون على هذه المظاهر العاطفية أهمية بالغـــة ، وهم فى هذا محقون ، ذلك لأن العاطفة مرآة النفس ، وصورة الطبع ، وبدونها لا تقوم شخصية ولا تتضح هوية .

الفقرة الثامنة : ومما يتصل بالشخصية أوثق الاتصال ويدل عليها أصرح الدلالة ، طبع الانسان وخلقه وعلماء النفس يعدون الطبع واجهة الشخصية وأخلاق الانسان وطبعه كونه بخيلا أو كريما وقحا أو خجولا ، منعزلا أو محبا للحياة مقبلا عليها ، حسودا حقودا أو متسامحا واسع النفس مسرفا أو مدبرا . نقول ان كون الانسان هـــذا أو ذاك يوضح شخصيته ويظهر نفسيته ويدل على هويته .

الفقرة التاسعة : تحليل لعنصر السلوك :

وأخيرا فان تصرفات الانسان وافعاله هى الحكم على شـــخصيته

والدليل على نفسيته والمظهر الواضح لعقليته وقـــديما قيل ان للافعال صوتا اعلى من صوت الاقوال) والواقع أن الناس يحكمون عليك بافعالك وتصرفاتك ويصنفونك بسلوكك وأعمالك . ومهما تكن دوافعك ونواياك فان افعالك هى التى تدل عليك وتظهر بالمظهر الذى يحفظه الناس عنك . وبديهى أن سلوك الانسان متصل اشد الاتصال بما قدمنا من مظاهر وصفات فهو على صلة بجسده وعقله وعاطفته وطبعـــة وبديهى كذلك أن للنوايا قيمتها وان للاقوال دلالاتها وأن للاقدار والظروف أحكامها ولكن الافعال تبقى متمتعة بالاهمية العظمى وذلك لان لها قوة الدافع الملموس ومن هنا كانت أهمية الافعال فى الدلالة على شخصية الفرد وقيمة السلوك فى الحكم على صفاته الشخصية ومزايا الفردية .

الفقرة العاشرة : والخلاصة ، ان الشخصية تتأثر بالبنية الجســدية للفرد وظروفه المحيطة . وبهذا المعنى تكون الشخصية محترمة الى حد بعيد . ولكن الانسان يتميز عن سائر المخلوقات بالارادة .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الشـــخصية البشرية لا تستكمل نمــوها ولا تبلغ ذروة هذا النمو ، الا بالتحدى الدائم لذاتها والعمل الدائب على اصلاح عيوبها .

٥ - التلخيص ، الخلاصة :

تعلم فن التخليص واتقانه يعدان من الضروريات التى يجب يتثقف بها كاتب المقال . ذلك أن أنواع المقالات المختلفة لا تقوم فقط على الانشاء والتأليف ، وانما تقوم بالدرجة الأولى على المقدرة على القراءة الجيدة المركزة الواعية التى تعود الانسان على الكتابة المركزة وتنمى سيطرة الانسان على اللغة .

وكاتب المقال يحتاج الى تلخيص الكتب فى التخصصات المختلفة كالسياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التاريخ أو الادب أو علم النفس أو التربية . وذلك لكتابة مقال معين فى أحد هذه الجوانب أو الاستعانة برأى معين لتدعيم رأى الكاتب وتحقيق هدفه .

والتلخيص(١) : هو ابراز النص الأصلى فى عدد قليل من الكلمات مع الحفاظ على صلب النص المكتوب . فنحن حين نلخص عبارة نستخلص منها الفكرة الأساسية التى تتضمنها أو التعرف على مجموعة الأفكار الأساسية الموجودة فى نص ما .

وحين نلخص فقرة لابد من اتباع الخطوات التالية :

الخطوة الأولى : تتمثل فى ادراك الفكرة الأساسية التى تتضمنها الفقرة ، والفقرة كما نعلم تتناول فكرة رئيسة بالشرح والتمثيل .

نبدأ بقراءة الفقرة قراءة جيدة لاستخلاص الفكرة الأساسية فيها ، وقد تكون هذه الفكرة الأساسية مذكورة صراحة فى الفقرة فعلينا استخلاصها من سطور الفقرة .

الخطوة الثانية : تتمثل فى التمييز بين ماهو ضرورى فى الفقرة لفهم الفكرة الأساسية ، وما هو ليس ضروريا لذلك . فقارىء التلخيص لا يحتاج الى التمثيل والتوضيح ، وانما هو يحتاج الى الأفكار الرئيسة فقط .

---

(١) التحرير العربى بتصرف من ص ١٥٨ - ١٨١ .

الخطوة الثالثة : هى كتابة التلخيص وأسلم طريقة لكتابة التلخيص أن نضع النص الأصلى جانبا بعد تمام الخطوتين السابقتين ثم نكتب التلخيص من استيعابنا للفقرة ٠

هذه الطريقة تجنبنا الوقوع فى خطأ وضع النص الأصلى أمامنا والتقاط بعض الجمل بنصها منه ، ثم ربط بعضها ببعضها الآخر فنخرج بهذه الطريقة غير السليمة باقتباس وليس بتلخيص،بل ربما ينتج عنذلك افساد للمعنى الذى قصده الكاتب ، كما نخرج بتلخيص مهلهل غير سليم ٠

ويجب أن نتذكر أن الهدف من التلخيص هو تنمية القدرة عند الملخص على فهم النص الأصلى فيصبح مستوعبا للنص كما لو أنه هو الذى كتبه بنفسه ولا يمكن تحقيق ذلك باقتباس بعض الجمل من النص الأصلى ٠

الخطوة الرابعة : هى مراجعة التلخيص على النص الأصلى وذلك للتحقق من صحته للأصل ، وما تقتضيه المراجعة من تعديلات على التلخيص ، وكثيرا ما ينتج عن هذه الخطوة ابراز أكثر للنص الأصلى ٠

وقبل تلخيص فقرات المقال ، ينبغى أن نتنبه جيدا الى الأقسام الرئيسة فيه وأجزائها وبذلك يمكن استخلاص الأفكار الرئيسة فى المقال وتبنظيمها حسب اطار المقال أو خطته ، فلا يطغى قسم على آخر ، بل يكون التلخيص موافقا لخطة المقال دون التقيد بعدد الفقرات الواردة فيه ، ويكون مشتملا على أجزاء المقال الثلاثة : البداية ، والوسط ، والنهاية أو الخاتمة ٠

ومثال ذلك هذه الفقرة : (٧٣ كلمة)

(كان الشعر جماع القيم الفنية عند العرب اذ لم يكن لهم فى الجاهلية ما عرف للأمم الأخرى من فنون التصوير أو النحت أو الموسيقى، بل اقتصر التعبير الفنى عندهم على الفن القولى من خطابة وشعر ٠ وكان نبوغهم فى باب الشعر أقوى بكثير من نبوغهم فى باب الخطابة فغلب

عليها حتى صار علم العرب الأول وجريدة عصرها حررها الشعراء نظما كالدرر قد ضمنوه كل ما تمثل فى عصرهم من قيم اجتماعية أو اقتصادية أو صور طبيعية) .

وتلخص كالآتى : (فى ٢٢ كلمة)

(تميز العرب فى الجاهلية بفن القول وبخاصة جانب الشعر منه حيث افتقدوا وسائل التعبير الفنى الأخرى فأصبح الشعر ديوان قيمهم وسجل حياتهم) .

والخلاصة : بضم الخاء أو كسرها تعرفها المعاجم العربية بأنها مــا أخلصته النار من الذهب والفضة والزبد ،وخلاصة السمن ما خلص منه(١) .

والخلاصة للمقال هى استخراج جوهره فى أقل عـــدد ممكن من الألفاظ ، وهى تمثل قدرة القارئ على صهر المقال واستخراج جوهره . ويمكن أن نقول ان الخلاصة هى لب التلخيص .

والخلاصة ضرورية لكل مشتغل بالعلم . ويحتاج اليها طالب الجامعة حين يطلب منه اعطاء خلاصته لأحد الآراء أو احدى المناقشـــات حول قضية معينة ، وكذلك يحتاج اليها طالب الدراسات العليا عندما يجمع مادته العلمية من أجل بحثه فالمجال لا يسمح بالتلخيص عند ذكر الآراء ومناقشتها بل يكتفى الباحث بذكر خلاصة الرأى الذى يورده .

وكذلك تطلب الخلاصة عند تقديم التقارير المطولة فلابد من تقديم خلاصة لها فى مقدمتها .

وكتابة الخلاصة تتطلب اتباع الخطوات التى مررنا بها عند كتابة تخليص الفقرة والمقال .

وفى الخلاصة نستغنى عن كـــل التفاصـــيل والمناقشات والأمثلة والعناوين الفرعية الموجودة فى المقال ، وعادة تقتصر الخلاصة على فقرة واحـــدة .

---

(١) القاموس المحيط مادة خلص .

أما اذا كان المقال طويلا فيمكن وضع الخلاصة فى ثلاث فقرات ، فقرة قصيرة لهدف المقال ، وفقرة لصلب المقال ، وفقرة قصيرة لخاتمته ويجب أن تعطى الخلاصة صورة أمينة للمقال مع الاســتغناء عن كـل التفاصيل والأمثلة التوضيحية ومناقشة الآراء .

وكما ذكرت من قبل فان نجاح التلخيص والخلاصة يعتمدان على القراءة المركزة المستوعبة الدقيقة والسيطرة على اللغة .

أنواع المقـــال :

ذكرت من قبل أن كل موضوع وكل قضية أو جزء من قضية وكل فكرة خاصة أو عامة صالحة لأن يكتب فيها مقال وقد اختلفت الاراء حول اقسام المقال أو أنواعه ويمكن أن ننظر الى هذه الأنواع من ناحيتين ٠

الناحية الأولى هى بالنسبة لموقف الكاتب وهل هو صادر عن ذاته وأحاسيسه ومشاعره ونفسيته أو صادر عن قضايا موضوعية موجودة بحق فى المجتمع الذى يعيش فيه الكاتب ، فاذا كان الموضوع معبرا عن عواطف الكاتب وانفعالاته وصادرا عن ذات نفسه واستخدم فيه الأسلوب المتانق والألفاظ المختارة واشتمل على الخيال الخصب والبيان الرائع ، فذلك هو المقال الذاتى ٠ ومن الممكن الا يبالغ الكاتب فى التانق ولكن الشىء الذى لا يمكن اغفاله هو تعبيره عن أحاسيس صاحبه ٠

وتحت المقال الذاتى نجد عدة أنواع هى(١) :

١ ـ المقال الشخصى وهو المعبـــر عن تجارب الكاتب الخاصـــة وانعكاسات الحياة في نفسه ٠ وهو لون من الحديث الشخصى والمسامرة اللطيفة ويمتاز بتألق الفكاهة ، ووضوح السخرية التى تكشف عن شخصية الكاتب واتجاهاته ٠

٢ ـ المقال الاجتماعى : ويعالج مشكلة من المشاكل الاجتماعية وينقد العادات والتقاليد الضارة السـيئة وينفر مما هو ضار ويرغب فى النافع المفيد ٠ ودور الكاتب فيه المشاركة فيما يدور حوله على طريقة تقوم على الملاحظة الدقيقة والعمق والتامل فيما يحيط به والاتزان فى الحكم ، والبراعة فى التهكم والسخرية من العادات التى تضر المجتمع ٠

المقـال الانطباعى :

وهو الذى يصور انطباعات الكاتب عن أناس عاش معهم أو حيوانات وقع نظره عليها أو مشاهد اكتشفها ، أو تأثر بعالم جديد لم يؤلف ٠ وهذا اللون من الكتابة يحتاج الى العقل المرن السريع التأثر والتكيف والاستجابة بما يعن له حتى يدرك المعانى التى تكمن وراء ما تقع عينه عليه ٠

---

(١) المقال وتطوره فى الادب المعاصر ، ٧٣ ـ ٨٣ بتصرف ٠٠

٤ ـ مقال السـيرة : -

ويترجم الكاتب فيه سـيرة انسـان ، ويعكس مدى تأثره به ، وانطباعه عنه ، والكاتب فيه يعتمد على حسن التنسيق ، وجلال التعبير حتى تبدو الشخصية الموصوفة كأنها تحدثنا ، فنعجب بها اذا راقتنا وننفر منها اذا ساءتنا .

٦ ـ المقال التـأملى :

وهو يصور مشكلات الحياة الخفية ، ويكشف أسرار الكون الدقيقة ويعلل نوازع النفس البشرية ، بحيث لا يلتزم فيه بنهج الفلسفة ونظامها المنطقى .

٧ ـ المقال السـاخر :

وهو الذى يعتمد على التصـوير الكاريكاتيرى ويقوم على التحليـل والتوليد ، ويظل كاتبه يقلب الصور ويخرجها واحدة بعد أخرى فى أشكال متباينة ، وأوضاع مختلفة حتى تتناول المعانى التى يمكن أن يحتملها المقـام .

٨ ـ المقال الانشـائى :

وهو الذى يصور انطباع الكاتب تجاه حدث معين أو شعوره ازاء موقف خاص أو تأثره بسبب مشهد ما . وكاتبه يشـبه الشاعر فى كثير ولا يبتعد عنه الا فى موسيقى الشعر ويمثل هذا اللون ما تحفل به صحف اليوم من مقالات تدور حول حوادث اجتماعية أو طائفية .

وكما ذكرت فان كل هذه الأنواع يغلب عليها ظهور عاطفة الأديب وموقفه منها .

أما النوع الثانى فهو المقال الموضوعى :

وفيه يتجرد الكاتب من عواطفه ويحاول عدم فرض رأيه الشخصى وهذا النوع يقوم على تقصى الأفكار وتنسيق المـادة المدروسـة وابراز

عناصرها ، مستخدما الأسلوب المحدد الدقيق الذى يهتم بابراز الفكرة وتوضيحها ومن أنواعه :

١ ـ المقال النقـــدى :

الذى يهتم بنقد الأدب ويقوم على تحليل مذهب أدبى أو تنقيحه أو دراسة شاعر أو أديب أو قصيدة شعرية أو ديوان كامل ـ أو دراسة قصة أو مجموعة من القصص لأديب معين أو تقويم مسرحية أو أثر أدبى ـ وفيه يعتمد الأديب على المقاييس الموضوعية فيواجه النص بالمقاييس المختلفة اللغوية والفكرية كما يتعرف على معانيه ومدى صحتها وأسلوبه وعاطفته ... الخ ونجاح المقال النقدى يعتمد أيضا على مدى قدرة الكاتب على تذوق العمل الأدبى وتعليل الأحكام وتفسيرها ويشترط فيه أن يكون ذا موضوع واحد ، وتأتى أحكامه واضحة .

والمفروض أن يتجرد الناقد فيه من أحقاده ، ويحاول توخى العدالة فى أحكامه ولابد فيه من توافر ثقافة واسعة لدى الكاتب بالموضوع الذى ينقده والموضوعات أو العلوم المرتبطة به .

٢ ـ المقال الفلســـفى :

وهو يعرض لشئون الفلسفة ويحلل قضاياها ، ويفسر غامضها بلغة الأدب وأسلوب الأدباء ، وعلى الكاتب أن يعرض مادته فى دقة ووضوح حتى لا يضل القارىء فى متاهات الموضوع .

٣ ـ المقال الســـياسى :

ويتناول مشكلة حزبية أو فكرة سياسية أو وطنية أو دولية ويهاجم الاستعمار على اعتدائه على الحريات ويبصر الجمهور بما يحيط ببلاده ويستثيره للذود عن مقدساته بأسلوب سهل واضح بعيد عن الزخـرفة ، وتظهر فيه العاطفة بقدر ما .

٤ ـ المقال التــاريخى :

وهو الذى يتناول الحديث عن عصر مضى أو ثورة سلفت أو شخصية

ولت ، بلغة الأدب وطريقة الناثرين ، لا بلغة التاريخ وأسلوب المؤرخين ويعتمد الكاتب فيه على الحقائق والأخبار والروايات ويظهر فيه خيــال الكاتب فى ربط الأحداث ببعضها وفى تصور كيفية وقوعها ولا نستطيع ادعاء فقدان العاطفة وتأثير الرأى الشخصى للكاتب فى هـــذا النوع من المقـــالات ٠

٥ ـ مقال العلوم الاجتماعية :

وهو يعرض شئون السياسة وأحوال المجتمع ومشاكل الاقتصاد عرضا موضوعيا يعتمد على الاحصائيات الدقيقة والموازنات السليمة والتحليلات الواعية ولابد من وضوح الفكرة فيه وسلاسة الأسلوب وعدم غموضه ٠

٦ ـ المقال الصـحفى :

ويتناول الظروف السياسية القائمة وما تتركه من مشكلات تحتاج لحل سريع ويتناول أحداث الأمة العربية المعاصرة والمشــكلات السياسية الداخلية والخارجية ـ والكاتب فيها مقيد بموضعات معينة وهى موضوعات الساعة وهذا النوع على وجه الخصوص يحتاج الى البساطة فى التعبير وأسلوبه هو أسلوب اللغة اليومية للمثقفين هذه اللغة الوسط بين اللغة الفصحى المتقعرة واللغة العامية ، ويختلف طولا وقصرا حســب طبيعة الموضوع ٠٠

وهناك الى جانب هذين النوعين الرئيسيين :

المقال الموضوعى الذاتى :

وفيه يجمع الكاتب بين الموضوعية والذاتية فتبدو فيــه دقة العالم وخيال الأديب فهو يعرض المسائل العلمية بالأسلوب الأدبى ، وفيه يعتمد على الأسس العلمية الى جانب عنايته بمشاعره وعواطفه وهو يعتمد على الحقائق ووضوح الأسلوب ويعرض أفكاره بطريقة سلسلة منطقية ليحقق هدفه أو غايته من مقاله ٠

أما التقسيم الاخر الذى ارتضاه المؤرخون فهو تقسيم المقال بالنسبة

لأسلوب الكاتب فقد يعتمد الكاتب على جمال الأسلوب والعناية بالتصوير وعذوبة الألفاظ وخصوبة الخيال وهذا هو ما يطلق عليه **المقـــال الأدبى** وقد يحاول ابراز نظرية من نظريات العلم أو مشكلة من مشكلاته عرضا موضوعا صرفا بأسلوب يتميز بالدقة فى تحديد المفاهيم ويعتمـد على الأدلة والبراهين والحجج القاطعة ويدعم فى الغالب بالأرقام والاحصائيات والتجارب والشواهد ويعتمد على الاستقصاء ، والدخول فى الموضوع مباشرة دون فرشة أو تمهيد له وهذا هو ما يطلق عليه المقال العلمى .

وفى الحقيقة أن أى موضوع يمكن أن يتناول بالأســلوب العلمى ومناهجه المعروفة فيطلق عليه المقال العلمى أو يتناوله صاحبه بالأسلوب الأدبى مع الأهتمام بالعاطفة والخيال والتصوير فيكون مقالا أدبيا .

ويجب التنبه الى ان أكثر الكتب متعددة الموضوعات يمكن أن يكون كل موضوع من موضوعاتها مقالا مستقلا يحدد نوعه وعنوانه تبعا لموضوعه ومن أمثلة ذلك حديث عيسى بن هشام لمحمد ابراهيم المويلحى نشرها صاحبها مقالات على صفحات جريدة مصباح الشرق اعتبارا من نوفمبر ١٨٩٨ م تناول فيها أعيان القـرن الماضى ، والمحامى الشرعى وفســاده ووزارة الأوقاف وتأسيسها ، والمحكمة الشرعية ومناقضاتها والطب والأطباء وتفشى الأمراض وطرق العلاج منها لدى العامة والخاصـــة ، والأزهـــر ورجاله ، والتجار والموظفين وعيوبهم ، وأبناء الأسر الحاكمة والفراغ الذى يعيشونه واستغلال الأجانب لهم ، وحفلات العرس فى مدى قرن فى مصر ، وما فيها من بدع وتقاليد أجنبية ، والمدينة الغربية ومساوئها وهكذا نجد أن كل موضوع من موضوعات الكتاب يعالج قضية مستقلة وله عنوان يوضح ما جاء فيه .

ومن أمثلة هذه المقالات التى جمعت فى كتاب واحد يضمها ، كتاب حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ، فهو فى الأصل مقالات كان ينشرها صاحبها فى « السياسة الأسبوعية » وهذه المقالات كانت تضم بحوثا فى الأدب فى العصر الجاهلى والعصر الأموى والعباسى الأول فقد درس فيها شعر لبيد ابن ربيعة ، وشعر طرفة بن العبد ، وشعر زهير بن أبى سلمى كما عنى بشعر الغزل فى المدينة خلال عصر بنى أمية مقسما الغزل الى

ألوان ثلاثة : الغزل العذرى عند جميل بثينه وكثير عزة وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح مناقشا كل ما قيل حول هذا اللون من الغزل وخصائصه والشخصيات المشهورة فيه مثل شخصية قيس وليلى وهل هى حقيقة أو موضـوعة .

كذلك تحدث عن الغزل الاباحى عند عمر بن أبى ربيعة وخصائصه ونشأته وكيف تطور ثم تحـدث عن بشار وأبى نواس وغيرهما فى العصر العباسى .

وفى حديثه عناية بالأدب ونقده وقضاياه ودراسته يتضح فيه اتساع ثقافته العربية ومزجها بالاتجاهات الغربية .

كذلك كتاب الايام لطه حسين ، كان فى أصـــله مقالات نشرها فى مجلة الهلال ١٩٢٦ أرخ فيها لحياته منذ طفولته وكشف فيها عن العادات المصرية ، والصعوبات التى واجهته والكتب التى درسها والأساتذة الذين تتلمذ عليهم كما تناول ذكرياته بفرنسا ولقائه بالسلطان حسين كامل والملك فؤاد والأديبة مى زيادة .

وقد طبعت هذه المقالات فى ثلاثة أجزاء ، وهى فى جملتها مقالات تصور حياة الرجل ومجتمعه فى أسلوب يتسم بالوضوح والجزالة وهو يمثل الأدب الذاتى .

ومنها أيضا كتاب (مطالعات فى الكتب والحياة) وكان فى الأصل مجموعة من المقالات نشرها الأستاذ العقاد فى البلاغ تناول فيها بعض الشخصيات والفنون الجميلة ، وبعض المذاهب الفلسفية ، ونظرات فى الطبيعة والآثار المصرية .

ومنها أيضا (ساعات بين الكتب) وهى مجموعة من المقالات الأدبية نشرها العقاد فى البلاغ الأسبوعى ١٩٢٩ تناولت تأملاته فى الشعر العربى والأوربى وفى الفنون والفلسفة . وأهتم فيها ببعض مفكرى الغرب وشعرائه وأدبائه وبعض ساسته ومصوريه وموســـيقيه من أمثال جوستاف لوبون وماكيافيلى ، وكارليل ، وبيتهوفن ، وشكسبير وغيرهم . كما عنى بالشعر

العربى فى مصر ، والتجميل فى الأسلوب والمعانى والصحيح والزائف فى الشعر والنثر ٠

وبجانب هذا مقالات اسلامية تتصل بالنقد مثل مقالاته عن القرآن وأخرى تعبر عن خواطره وانطباعاته ووجهة نظره مثل حب المرأة والغيرة والنكته والبطولة الوطنية ٠

وغير هذه الكتب أخرى كثيرة لكتاب من العصر الحـــديث كانت مقالات نشرت متفرقة فى بعض الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ثم رأى أصحابها جمعها فى كتاب واحـــد مع الاحتفاظ فى داخل الكتاب بعناوين المقالات وتحديد تاريخ نشرها وفى أى جريدة نشرت ٠

وبطبيعة الحال هناك فرق بين هذه المقالات المجموعة فى كتاب والتى قد لا يرتبط بينها أحيانا الا انتمائها الى قائلها وبين الكتاب أو البحث المؤلف لدراسة موضوع واحد أو تقصى دراسة قضـية معينة مثل الأبحاث المقدمة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ٠ ومثل الكتب المؤلفة فى تاريخ الأدب أو تراجم بعض الشعراء أو نقد الشعر أو نقد النثر أو دراسة أحد الأجناس الأدبية ٠٠٠٠ الخ من هذه الموضوعات المتخصصة والتى تتميز بعمق البحث وتقصى الحقائق وعدم الحشو والتطويل بلا داع٠

نشاة المقال وتطوره :

المقال احد فنون النثر وقد حظى بشهرة واسعة فى عصرنا الحاضر. وهو يختلف عن الشعر فى طريقة تاليفه وخصائصه وان كان يأخذ من الشعر العاطفة كما يعتمد أحيانا على الخيال والتصوير .

والمقال أبعد فنون الأدب عن التعقيد وحدوده مــرنة لينة طيعة ، يتسع للتعبير عن كل الافكار وكل الموضوعات بأسلوب السرد أو الحوار أو التوثيق أو الانشاء ، وبالطريقة الذاتية أو الموضوعية وبلغة سهلة أو بأسلوب المصطلحات والتدقيق .

والمقال أو المقالة ادب مكتوب توافرت فيه أركان الأدب من فكرة وعاطفة وخيال وتصوير وأسلوب ، قد يعمد صاحبه الى تنميقه وتزيينه . وبذا لا نعد الخطابة ضــمن الكتابة الفنيــة لأنها وان شــاركت النثر فى كونها غير موزونة ولا مقفاه فانهــا تختلف عنــه اختــلافا كبيــرا من ناحية تكوينها ، فالو أن النثر المختلفة تعتمـد على التفكير والروية كبيرا من ناحية تكوينها ، فالوان النثر المختلفة تعتمد على التفكير والروية ويمحو فيها القلم ما يشاء ، ويثقفها صاحبها ما شــاء له التثقيف(١) ، بينا تعتمد الخطابة أكثر ما تعتمد علي البديهة والارتجال وبذلك تميزت عن باقى الوان النثر وان كان الخطيب غالبا ما يدير كلامه فى نفسه أو يعد عناصره فى عقله ، ولكنها مع ذلك لا تخرج عن حدود الارتجال . فاذا القيت خطبة من ورقة محضرة لم يكن لها من الشأن ما للخطابة المرتجلة من التقدير والاعجاب . وقد حدث هذا فى العصور المتأخرة حيث أصبحت الخطب تعد وتكتب كغيرها من فنون النثر ولذا فقدت الأهمية الكبرى التى كانت لها فى عصور ازدهارها .

أما المقالة أو الكتابة الفنية بصورة عامة فلا أدعى نشأتها منذ العصر الجاهلى ولا أوافق على أن بدايتها أمثال الأمم وجوامع كلمها فتلك الأمثال لا توضح خصاص المقالة ولا أقل القليل منها والعــرب لم يعرفوا الا ما احتاجوا اليه فى حياتهم والحقيقة أنهم احتاجوا الشعر فكان ضرورة من ضرورات الحياة فى طور من أطوارها . ولما انقضى هذا الطور أصبح

---

(١) أسس النقد الادبى ، ص ٥٧٣ .

الشعر عاجزا عن أن يقوم بشىء من ذلك ، وأصبح النثر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة .

والشعر الذى كان ضرورة أولا يصبح فى الطور الثانى ضربا من الترف - ونلاحظ أن الأمم التى كان لها حياة أدبية وكان لها شعر ونثر ، نلاحظ أن حياتها الأدبية بدأت شعرا وأن الشعر وجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمن طويل (المقصود النثر الفنى) فمثلا الأمة اليونانية نراها أولا شاعرة تنشىء الشعر قصصيا ثم غنائيا ثم تمثيليا ولا ينشأ عندها الا فى وقت الاضطراب السياسى الذى يتغير فيه نظم الحكم والحياة الاجتماعية وتشتد الصلة بين اليونان والأمم الشرقية والغربية وتنشأ أفكار جديدة منها السياسى والفلسفى والدينى هنالك تصطر أن تعبر عن هذه الأشياء ويعجز الشعر ان يسعها فينشأ النثر ومثل هذا نجده عند الأمة الرومانية .

وهذا هو الذى نجده عند الأمة العربية فى العصر الأول قبل الاسلام(١) .كانت الأمة العربية أمة شعر لها حياتها الاجتماعية والسياسية الخاصة تعتمد فى هذين النوعين من الحياة على العاطفة والشعور أكثر من اعتمادها على الحكمة والروية تندفع بحكم هذا الشعور الى الحرب أو السلم أو الخصومة أو الى أى ناحية من نواحى الحياة الجاهلية فاذا وصلت من ذلك الى ما تريد وتأثرت بهذه المؤثرات نطقت بهذا شعرا(٢) .

فلما جاء الاسلام وتغيرت الحياة العربية تغيرا تاما تقوض النظام السياسى وحل محل النظام القديم نظام جديد يعتمد على وحدة الأمة الاسلامية واخضاع الأمم الأجنبية وادماجها فى الاسلام ونشأ عن هذه الحياة نظم للحكم لم تكن معروفة من قبل وجدت الخلافة ، وتغيرت الحياة الاجتماعية وتغير نظام الزواج والطلاق وعلاقة الجماعات ، ثم كانت الفتوح واتصل العرب بغيرهم من الأمم الأخرى اتصالا أخذ يشتد ويقوى حتى أصبح اختلاطا ثم امتزاجا ونشأ عنه أن اطلع العرب على ما كان

---

(١) من حديث الشعر والنثر ٢٣ طه حسين .
(٢) ن . م .

عند هذه الأمم من آراء وأفكار وعلوم وأخذوا منه قليلا قليلا بحظوظ تقوى وتضعف ونشأ عن هذا أن تغيرت حياتهم العقلية والشعورية والعاطفية والاجتماعية فبعد أن كانوا فى عصرهم الأول متأثرين بالحس والشعور أخذوا فى هذا العصر يفكرون ويتروون وظهر أمامهم مسائل ومشكلات جعلتهم يحاولون التماس الحلول لها . نشأ عن هذا أن تغيرت الحياة وتغيرت موضوعات التفكير واستلزم ذلك أن تتغير العبارة التى يعبرون بها عن أنفسهم ونشأ لهم لسان جديد لم يكن لهم من قبلوهوالنثر الذى يعبر عن المعانى بدون القيود الشعرية (١) كذلك تطورت عقولهم وأتسعت آفاقهم نتيجة لما عانوه فى حياتهم الجديدة فكان النثر هو أكثر الطرق ملائمة للتعبير عن هذه الحياة الجديدة .

ولكن هل تأخرت الكتابة الى ما بعد الاسلام ؟ أو لنقل متى عرفت الكتابة عند العرب ؟ والكتابة كما تعلم نوعان : نوع يحتاج اليه فى تصريف شئون الحياة ونوع يقصد اليه للمتعة الذهنية والنفسية .

أما النوع الأول فقد عرفه العرب قبل الاسلام وقد احتاجوا اليه فى التجارة وفى السياسة فكتبوا معاهداتهم ومحالفاتهم وشاع ذلك فى الشعر الجاهلى . قال الحارث بن حلزة :

واذكروا حلف ذى المجـاز وما قد
م فيـــه العهـــود والكفـــلاء

حذر الجور والتعدى وهل ينقض ما فى المهارق الأهواء

وكان لكل نوع من المعاهدات اسم خاص بهـــا . والمهارق نوع من الكتابة يخص كتب الدين أو كتب العهود والمواثيق والأمان (٢) .

كذلك كتب العرب المعلقات وعلقوها على جدران الكعبة وانتشرت الكتابة فى الجاهلية فى المناطق المســيحية واليهـــودية وسمى اليهـــود

---

(١) من حديث الشعر والنثر منصرف ، ص ٢٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢٧٦/١ .

والنصارى أهل الكتاب وكان العرب أميين لا يكتبون ولا يقرأون قال تعالى (وما كنت تتـــلو من قبـــله من كتاب ولا تخطـــه بيمينك اذا لارتاب المبطلون(١) .

اذن فالكتابة كانت موجودة فى الحيرة وغسان ونجران والمدينـــة وخاصة أن الحيرة وغسان متصلتان أشد الاتصال بالثقافات الخارجية ، كذلك شاعت الكتابة فى مكة الوثنية وذلك بسبب التجارة حتى ليقال ان مكة كانت تفوق المدينة فى عدد الكتاب فقد جاء الإسلام وفى مكة سبعة عشر كاتبا وفى المدينة أحد عشر(٢) مع أن المدينة موطن اليهود وكان يظن أن أهلها أكثر معرفة بالكتابة لاتصالهم بهم وهم أهل الكتاب .

ولم يقتصر أمر ظهـــور الكتابة على المواطن المتحضرة بل تسربت الى البادية فعرف أكثم بن صيفى حكيم تميم وخطيبها وابن أخيه حنظلة بين الربيع كاتب النبى ﷺ والمرقش الأكبر ولبيد بن ربيعة(٣) .

ولعل كثرة تشبيه الشعراء الأطـــلال الدارســـة بالكتابة يدل على معرفتهم بها يقول المرقش الأكبر :

الدار قفـر والرسـوم كما رقش فى ظهـــر الأديم قلم

ولم يكثر ذكر الكتابة فى الشعر الجاهلى فقط بل جاء فى القرآن الكريم أيضا فالقرآن يحث على تدوين الديون والمعاملات التجارية وغيرها مما يدل على أن الكتابة كانت شائعة عندهم .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق »(١) .

---

(١) العنكبوت آية ٤٨ .
(٢) فتوح البلدان : ٤٧١ .
(٣) الكتابة الفنية بتصرف .
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

ويذكر القرآن الكريم أدوات الكتابة مثل القلم والللوح والقرطاس والصحف ٠

ومما يدل على شيوع الكتابة أيضا دوران لفظ الكتابة فى المواضع المختلفة والمعانى المتنوعة التى تتفرع عن لفظة الكتابة بمعنى التدوين والتثبيت مثل قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام »(١) وقوله تعالى : « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى »(٢) ٠

كان هذا هو النوع الأول من الكتابة الذى عرف فى الجاهلية ٠ فهل عرفوا نوعا اخر من الكتابة ؟

اختلفت الاراء حول وجود الكتابة الفنية فى الجاهلية فمن مؤيد لوجودها يستند في رأيه على أن العرب قرب ظهور الاسلام عرفوا الاستقرار فما الذى يمنع من وجود الكتابة الفنية ؟

وقد رأى هذا الفريق أن الكتابة أخذت طريقها الىالتجويد والافتتان على أيدى الجاهليين وأن عدم وصول نماذج منها الينا ليس دليلا على جهالة العرب بكتابة النثر الفنى(٣) ، ويسوقون فى مقام التدليل على رأيهم ما رواه أبو هلال العسكرى(٤) من أن أكثم بن صيفى حكيم العرب وبليغها كان اذا كاتب ملوك الجهالية يقول لكتابه : « أفصلوا بين منقصين معنى وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه فى بعض » وأن الحارث بن أبى شمر الغسانى أحد ملوك العرب الغساسنة — كان يقول لكاتبه المرقش : « اذا نزع الكلام الى الابتداء بغير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ ، فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن أن تمذق ، نفرت القلوب عن وعيها ، وملتها الأسماع واستثقلتها الرواة » ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ ٠

(٢) سورة المجادلة آية ٢١ ٠

(٣) السياسة فى العصر الاموى د٠ الحوفى ص ٤٤٥ ط نهضة مصر القاهرة ١٩٦٩ ٠

(٤) الصناعتين : ٣٥١ ٠

فهذه الرواية وسابقتها تدلان على أن الكتابة ارتقت فى الجاهلية الى حد ما ، ووضع لها بعض كتابهم أصولا فنية ، تجود على أساسها وما رواه القلقشندى من أن قسى بن ساعدة الايادى خطيب العرب المشهور، كان أول من كتب من فلان الى فلان »(١) .

ويحاول أصحاب هذا الرأى تدعيم وجهة نظرهم أيضا بأنه لا خلاف فى ازدهار فن الخطابة الجاهلية ، وما الخطابة الا نثر فنى « والمعقول أن الذى يحسن اعداد الخطبة يحسن بسهولة انشاء الرسالة »(٢) .

ثم يكتبها ان أحسن الكتابة أو يمليها ان لم يكن كذلك ، ويعلل عدم وصول وثائق صحيحة للكتابة الفنية الجاهلية ، مع بقاء نماذج للخطابة مع أنها نثر شفهى ، يصعب حفظه وروايته بأن الخطابة كانت تلقى فى المناسبات الهامة والمواسم الكبرى والأحداث من قبيلة الى أخرى ، أو بين زعماء القبائل ، وملوك العرب ، ويجرى بها الرسـل بينهم وكانت فى الأغلب مما يكتمه المرسلون .

وبعض أصحاب هذا الرأى يميلون الى وجود نوع من الكتابة الفنية فى الجاهلية ، خاصة فى الممالك العربية المجاورة للحضارات الفارسية واليونانية ، وعلى يد بعض عظماء البيان من العرب ، الذين كانوا على صلة قوية ببعض هذه البيئات العربية المتحضرة واذا كانت نماذج هـذه الكتابة لم تصل الينا لظروف نجهلها ، فاننا نفتقد العنصر الأساسى فى الحكم على خصائص هذا النثر ، ومبلغ حظه من الفن(٣) .

كذلك وجد من عارض هذه الفكرة ورأى أن الكتابة الفنية لم تعرف فى الجاهلية وأنا أميل الى هذا الرأى بل أؤيده كما أميل الى الشك فيما وصل الينا من رسائل عن العصر الجاهلى والأمر يختلف بالنسبة للشعر فالشعر أسهل حفظا علاوة على شـدة الاهتمام به ومع ذلك لم ينج من

---

(١) صبح الاعشى ٣٢٧/٦ .

(٢) النثر الفنى : زكى مبارك ٤٨/١ .

(٣) الادب فى عصر النبوة ص ١٣٧ .

الشك والانتحال . فما بالنا بالنثر الذى لم نسمع عن عناية شديدة به أو وجود كبير له .

أما من يعتبر القرآن الكريم صورة من النثر الجاهلى فلا أوافقه على هذا الرأى .

حقيقة هو يمثل الحياة قبل الاسلام ولكنه كلام الله ولا يوضع فى ميزان مع كلام البشر يقول د. طه حسين :

(والواقع أننا لا نستطيع بحال من الأحوال مهما نحرص على أن نكون من أنصار العصر الجاهلى وعشاقه أن نطمئن الى أن هذا العصر كان له نثر فنى والذى ليس فيه شك أن أقدم نص يمكن أن نطمئن اليه هو القرآن الكريم ولكنكم تعلمون أن القرآن ليس نثرا كما أنه ليس شعرا انما هو قرآن ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم ليس شعرا وليس نثرا لأنه مقيد بقيود خاصة لا توجد فى غيره وهى هذه القيود التى يتصل بعضها بأواخر الآيات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة فهو ليس شعرا وليس نثرا ولكنه(١) « كتـــاب أحكمت آياته ثم فصـــلت من لدن حكيم خبير »(٢) .

---

(١) من حديث الشعر والنثر : ٢٥ .

(٢) سورة هود آية ١ .

هل عرفت الكتابة الفنية فى عصر صدر الاسلام ؟

جاء الاسلام فحث على تعلم القراءة والكتابة باعتباره دينا يقوم على المعرفة ويعلى من مكانة الفكر والعقل ويرفع العلم والعلماء درجات(١) .

وكان من مظاهر حرص رسول الله ﷺ على نشر الكتابة بين المسلمين أنه جعل فداء القارىء الكاتب من أسرى بدر تعليم عشرة من أبناء الصحابة القراءة والكتابة(٢) .

وعندما ننظر الى المسلمين الأوائل نجد كثيرا منهم كتابا مثل الخلفاء الأربعة وطلحة بن عبد الله والزبير بن العـــوام وسعد ابن أبى وقاص وعامر بن فهيرة ومعيقيب بن أبى فاطمة وحـــذيفة بن اليمان وغيرهم وهكذا تيسر للرسول ﷺ أن يجد حوله جماعة من الكتاب يدونون ما يمليه عليهم من آى .

واشتهر جماعة من الصحابة بكتابة الوحى وعلى رأسهم عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب فان غابا كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت كما اشتهر بها أيضا معاوية بن أبى سفيان(١) .

وكان الكتاب السابقون يكتبون للرسول ﷺ .

ولكن كان هناك من يكتبون لأنفسهم وقد وثق بهم فيما بعد زيد بن ثابت عند جمعه للقرآن فى زمن أبى بكر الصديق اذ يقال انه لم يكن يأخذ الآية من أحد الا اذا كان معه شاهدان وكانت الكتابة معتبرة أحد الشاهدين ويذكرون فى هذا الصدد اسم أبى خزيمة بن ثابت على أنه كان لديه آخر سورة التوبة مكتوبا .

ونشأ عن هذا ظهور المصاحف التى نسبت لكثير من الصحابة فهذا مصحف على ، وهذا مصـــحف أبى وذلك مصـحف ابن مســـعود وذلك مصحف سالم مولى حذيفة . ووجدت كل هذه المصاحف الى جانب المصحف

---

(١) نشأة الكتابة الفنية : ٢٩ .

الذى جمعه زيد بن ثابت بأمر ابى بكر من الصحابة المختلفين والمواضع المتعددة • وظل هذا الأمر مختلفا حتى اختلف معه القراء وتدابروا فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه بعمله ووحد كتابة القرآن فى مصحفه الامام وحرق المصاحف الأخرى (١) •

وهذه القصة بطبيعة الحال لا تدل على وجود الكتابة الفنية فى هذا العصر وانما تدل على انتشار الخط بين العرب عند ظهور الاسلام ، كما توضح حاجة الرسول ﷺ والمسلمين بعده الى الكتابة •

عنى المسلمون بعد ذلك بكتابة الحديث النبوى الشريف كما دعت الحاجة الى كتابة معاهدات الرسول ﷺ وكتب أمان ورسائل وكتب قسمة الغرماء والاقطاعات ••• الخ •

وتشترك هذه الكتب فى بعض الخصائص العامة كما يختص بعضها بخصائص لا توجد فى غيره •

فالمعاهدات تنفـــرد بنوع من الاســـهاب الذى يتناول كثيرا من التفاصيل ، ولكنه لا يعم جميع المعاهدات وانما يخص المهمة منها مثل معاهدة رسول الله ﷺ مع ثقيف ومعاهداته مع أهل نجران (٢) •

وتبدأ المعاهدات فى الغالب بالبسملة الا معاهدة الحديبية التى تبدأ ـ باسمك اللهم ـ ارضاء لقريش ثم يذكر فى آخر المعاهدة بالشهر والكاتب وقد لا يذكر وما أقل ما يقتبس فيها من القرآن الكريم •

أما كتب الأمان فقصيرة موجزة بل قد تبلغ فى القصر حدا لا تبلغه الا الاقطاعات ، كما تطول فى النادر وتتشابه كتب الأمان جميعا على الرغم من اختلاف كتابها بل نجد فيها بعض العبارات التى تكاد تتكرر على الدوام كأنها طابع لابد أن تطبع به مثل قوله ﷺ « ولا يحاقه فيها أحد » ـ « ومن حاقه فلا حق له وحقه حق » ، « وما بل بحر صوفه » •

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ، السيوطى ١ : ٥٩ •

(٢) جمهرة رسائل العرب •

وكان يبدؤها بالبسملة واحيانا يتركها وأحيانا يبدأ بقوله (هذا كتاب من محمد رسول الله الى فلان) .

وتتفق الرسائل فى بدئها بالبسملة ثم من محمد رسول الله الى فلان وكان يأتى فى صدور كتبه بالسلام فيقول للمسلم (سلاك عليك) ولغير المسلم (السلام على من اتبع الهدى) وربما قال (سلام على من آمن) كما يبدأ كتبه الى من يدعوهم الى الاسلام بقوله سلم أنت أو أنتم وربما أسقط السلام . وكان يأتى بالتحميد بعد السلام فيقول - فانى أحمد الله الله الذى لا اله الا هو - وربما تركه ،وقد يأتى بالتشهد وقد لا يأتى به . وكان يبدأ أحيانا بعبارة أما بعد .

واذا ما تركنا صدور الرسائل الى خواتيمها وجدناها تنتهى بحسب موضوعاتها .

والرسائل فى عهد الرسول ﷺ كانت تتسم بالسمو الذى لا يخرجها الى مرتبة الصنعة وأحيانا توجد بعض الغرابة فى الفاظها وذلك ليفهمها من يخاطب بها من القبائل المختلفة .

وتمتاز بعض الرسائل بتتابع الجمل القصيرة دون عاطف ونجدها غير متصلة المعانى ولا يربط بينها غير الجو العام وهو النصيحة الدينية .

وتمتاز كتب رسول الله ﷺ الى الملوك الأعاجم وخاصة من أهل الكتاب بالاقتباس من القرآن الكريم ، بل قد تكون كلها آيات قرآنية مثل كتابه ﷺ الى هرقل ، واذا ما أرسلها الى مسيحى أكثر من الآيات النازلة فى حق عيسى كرسالته الى النجاشى . واذا ما ارسلها لأحد اليهود ربط بين نفسه وبين موسى عليه السلام مثل كتابه الى يهود خيبر . أما كتب المقاسم والاعطاء فهى احصاءات لا تتعلق بالأدب بأى سبب .

أما أهم السمات الفنية العامة للكتابة فى عهد النبوة فيمكن أن نقول ان الطابع العام لها فى السنوات الأولى من الهجرة كان يظهر فيه الميل الى الايجاز والسهولة فى التعبير عن المضمون والبراءة من اصطناع أساليب الزخرف وفن البيان الا نادرا ، والنفاذ الى القصد مباشرة وكان لا يقصد منها سوى الأداء والتبليغ .

فاذا تقدمت سنوات أخرى من عهد النبوة أخذت تظهر بعض الملامح لفن الرسالة من تقسيمها الى مقدمة وعرض وخاتمة ، تستوفى هذه الأسس حينا وتهمل بعضها أحيانا وتردد أسلوبها بين المساواة والبسط والايجاز ٠

فاذا ما انتهت الى أخريات عهد النبوة لمحنا فيها بوادر التنميق وايثار بعض الالفاظ على بعض ؛ لمكانها من دقة الأداء وجمال التعبير واستخدام بعض الأساليب الفنية لتزيين العبارة ٠ ولكن الصورة الغالبة هى الرغبة فى الأداء والتبليغ ٠

كذلك عدم التزام نهجا واحدا فى بدء الرسالة أو ختامها ٠

أماالتخلص الى الغرض فكان بعبارة أما بعد ، ويكثر أن يكون السلام ختاما لرسائله ، وقد يسقط السلام من الختام ٠

كذلك يلاحظ خلو الرسائل من عبارات التعظيم والتفخيم الا فى النادر فكان رسول الله ﷺ يذكر اسمه مجردا الا من ألزم صفاته وهى : الرسالة ، وندر أن يقرن اسما فى رسائله بلقب يعظمه ٠

أما عباراته عن نفسه بالضمير فكانت تأخذ صورة الافراد نفورا من التعظيم وتواضعا فيقول مثلا : أنا أو جاءنى ، يخبرنى ويعبر عن المرسل اليه عند الافراد بكاف الخطاب ، وعند التثنية بلفظها وعند الجمع بلفظه٠

وهو عليه السلام ينفر من المبالغة والتهويل ـ كذلك آثرت رسائل الرسول ﷺ التعبير بلغة الحقيقة فى الأغلب ٠

والكتابة فى عهد أبى بكر الصديق لم تختلف عنها فى العهد السابق من ناحية الموضوعات والأسلوب ٠

وفى هذا العهد كثرت الحروب وظهرت الردة وهذه الأمور جعلتهم يكثرون من الكتابة فى شأن هذه الحروب من وصايا للقواد ومعاهدات ودعوات للاسلام ٠

وفى عهد عمر بن الخطاب استمر الأمـــر على ما كان فى السابق بالاضافة الى ظهور الدواوين فى عهده اذ احتاج المسلمون عندما فتحت الأقطار وتدفقت الأموال الى الكتبة والحسبة فانشاوا الدواوين مثل ديوان الخراج وديوان الجند وهذه الدواوين تدل على تعقد المصالح فى الدولة وأخذ الحكومة فى تخصيص فروع مختلفة للمسائل المتنوعة مما يدل على أخذ النظام الادارى فى الاستقرار والنضج(١) ٠

وقد تعددت الدواوين فى الامصار المختلفة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه واتخذ الولاة والأمراء الكتاب ٠ وهذه الظواهر تدل على تطور فى ميدان الكتابة الفنية فى مستقبل أيامها ٠

وفى عهد عثمان بن عفان نراه يبعث بالمنشورات الى النواحى المختلفة من الدول العربية يبين فيها سياسته الجديدة فكتاب لعماله واخر لأمراء الأجناد ، وثالث لعمال الخراج ورابع للعامة ولا تختلف هذه الكتب عن لغة الكتب السابقة فى اهدافها ولكننا نجد بها نوعا من المجاز مثل قوله : (ان الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق الا أن تثب فلا تنكا القرح) ٠

ووجدناه يحلى رسائله بالقرآن وبالشعر وهذا يعد تطورا فى فن الكتابة ٠

وقد شاع الشك فى رسائل عثمان بسبب هـــذا التطور الذى لحقها يقول د٠ شوقى ضيف (ويظن ظنا أن عمر وغيره من الخلفاء الراشدين وولاتهم وقوادهم ، لم يقصـــدوا فى كتابتهم الى أى ضرب من ضروب التزيين والتنميق ٠ فقد كان حسبهم أن يؤدوا أغراضهم فى لغة جزلة متينة ، وان كان بعد ذلك لم يمنع بعض المؤرخين والأدباء أن يدخلوا الزينة والتنميق على بعض ما رووه لهم ، من ذلك الكتاب الذى ينسب الى عمرو بن العاص أنه أرسل الى عمر فى وصف مصر والذى يقول فيه :

مصر تربة غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شـــهر وعرضها عشر

---

(١) الكتابة الفنية : ٥٣ ٠

« الى آخر ما فى هذا الكتاب من عبارات أنيقة فانه واضح الانتحال على ابن العاص »(١) • ثم يقول (وينبغى أن نعرف أن المكاتبات فى صدر الاسلام لم تحفظ فى سجلات خاصة وكان ذلك مسببا فى أن تناولها غير مؤرخ وأديب بالتبديل والتحسين ومن ثم كان الكتاب الواحد يروى روايات مختلفة باختلاف الكتب التى ترويه وحسب ذوق الراوى وقدرته البيانية)(٢) •

واذا شك مؤرخو الأدب فى بعض الرسائل فى عهد عمر وعثمان فان الشك فى رسائل على بن أبى طالب كان أشد ، وقد نسب الى على بن أبى طالب ما يؤلف المجلدات من رسائل وخطب وما نستطيع أن نثبت له واحدة يقينا(٣) • وقد بلغ الأمر فى تغيير هذه الرسائل الى درجة أننا نرى الرسالة الواحدة فى الطبرى وفى نهج البلاغة ولكنهما لا يمت بعضهما الى بعض بصلة من شدة الخلاف •

روى الطبرى(٤) أن عليا حين خرج من الحجاز فى اثر عائشة حتى نزل الربده كتب الى أهل الكوفة : « انى اخترتكم على الأمصار ، وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وأيدونا وانهضوا الينا ، فالاصلاح ما نريد لتعود الأمة اخوانا ، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه » •

وتروى هذه الرسالة فى نهج البلاغة كما يلى : من عبد الله على أمير المؤمنين الى أهل الكوفة ، جبهة الأنصار وسنام العرب •

أما بعد ، فانى أخبركم عن أمر عثمان ، حتى يكون مسمعه كعيانه ، ان الناس طعنوا عليه فكتب رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه ، وأقل عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون مسيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، ص ٩٨ •
(٢) ن • م ص ٩٩ •
(٣) نشأة الكتابة : ٥٦ •
(٤) تاريخ الطبرى حـ ١ : ٣١٤٠ •

العنيف وكان من عائشة فيما قلته غضب . فاتيح له قوم فقتلوه ، وبايعنى الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين .

واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها واقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى أميركم وبادروا الى جهاد عدوكم ان شاء الله فجسبى بكم اخوانا ، وللدين أنصارا ، فانفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله لعلكم تفلحون »(١) .

والرسالة الثانية تدور حول ما دارت عليه الرسالة الأولى ولكنها تزيد عليها فى اعتذارها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، والقاء اللوم على طلحة والزبير وعاشة . ولعل هذا من وضع الشيعة(٢) ، أو كان فى رسالة أو خطبة أخرى لعلى والحقها الشريف الرضى بهذه الرسالة لأنه كان يهدف الى جمع البليغ من كلام على وكفى .

ونلاحظ كثرة الرسائل كثرة ملحوظة فى عهد على وذلك راجع الى النزاع بين على وخصومه ، طلحة والزبير وعائشـــة فمعاوية وعمرو ، فالخوارج وأنصار كل من هؤلاء والى تاليب على عليهم وحثه قواده الى استنفار الناس لهم والى مقابلتهم له بمثل عمله . وهذا الأمر يذهب بكتابة الرسائل الى الأمام خطوات(٣) .

ونلاحظ فى هذا العهد أن الرسائل أخــذت تطـــول بسبب النقاش السياسى كما أنها سارت على خطا رسائل عثمان من استشهاد بالقـــرآن الكريم والشعر . ونرى فى بعض الرسائل زينة وتأنقا فى اختيار الألفاظ والجمل وعناية بالسجع أحيانا ، وكانت تتســـم بالفصاحة وقوة الحجة والبيـــان .

---

(١) نهج البلاغة ٤ : ٢ .
(٢) نشأة الكتابة : ٥٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

الكتابة فى عصر بنى أمية :

تأخر الزمان واتسعت الآفاق وقامت الدولة الأموية على أسس دنيوية مختلفة تمام الاختلاف عن الأسس التى قامت عليها الدولة الاسلامية الأولى فى عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين ٠

كذلك كثرت المعـارف والأموال وزادت الاتصـالات بثقافات الأمم الأخرى نتيجة للفتوحات الاسلامية ودخول العناصر غير العربية تحت ظل النظام الأموى وهذه العناصر كان لها تأثير كبير فى الحياة العربية ٠ ومن أهم هذه الآثار التحضر والتمدن الذى تبعه تعقد فى الحياة وتشابك فى المصالح وحاجة الى التفاهم والتواصل مما أدى الى تطور كتابة الرسائل٠ وعلمنا من قبل أن الرسائل غلب عليها الاملاء من الخليفة اما فى هذا العصر فوجدنا أن الكاتب كان يكتب بنفسه الى جانب وجود الاملاء الذى ظل موجودا حتى العصر العباسى ٠

ولكن متى ظهر ديوان الرسائل ؟

يقول د٠ حسين نصار : اذا ما قلبنا صفحات كتاب الوزراء والكتاب وطالعنا أسماء كتاب الرسول ﷺ والخلفاء من بعده وجدناه يقول عن الواحد منهم كان فلان يكتب كذا ، أو يكتب له ، أو كان يكتب لفلان فلان أو فلان كتـب له ، أو استكتب فلان فلانا ، ونرى هـذه العبـارات طوال أيام الخلفاء الراشدين وما يكاد يهل العصر الأموى حتى نرى عبارة جديدة عند الجهشيارى وهى وصفه عبيد الله بن أوس بأنه كان يكتب لمعاوية على الرسائل(١) - ثم يصرح الجهشيارى بوجود الديوان تصريحا لا غموض فيه فى عهد عبد الملك بن مروان ٠

واذن فديوان الرسائل وجد فى عصر بنى أمية منذ عهد معاوية بن أبى سفيان وتطور سريعا حتى انتشر فى الولايات المختلفة فسمعنا عن ديوان العراق ، وديوان خراسان فى عهد عبد الملك بن مروان ٠

---

(١) الوزراء والكتاب : ٢٤ ٠

وكان أوائل الكتاب الذين تقلدوا هذا الديوان عربا خلصا مثـــل عبيد الله بن أوس ، وعبد الله بن أبى بكرة، ويحيى بن يعمر ، وقبيصه بن ذؤيب ، وروح بن زنباع .

ويدل هذا على أن ديوان الرسائل عربى النشأة وليس بالفارسى ولا اليونانى كما رأى بعض الباحثين(١)٠وهذا أمر طبيعى فى الرسائل العربية التى يطلب فيها الخلفاء والفصاحة والاجادة اللتين لم تتوافرا للأعاجم فى ذلك الوقت(٢) .

يقول د. شوقى ضيف : واذا كان للفرس او لغيرهم من الموالى فيها من فضل فهو فضل المشاركة فى النمو بها ، بالضبط على نحو ما صنعوا بالشعر فى العصر العباسى ، ولعل من المهم أن نعرف أن العرب لم يأخذوا من الفرس فلسفة ولا نحتا ولا تصويرا ولا شعرا ولا أى فن من الفنون) (٣)

ثم وجدنا بعد نشأة هذا الديوان أن الأعاجم أخذوا ينافسون العرب منافستهم لهم فى جميع الميادين ، وربما كانت منافستهم لهم فيه أسرع منها فى الميادين الأخرى اذ نجدهم يتعلمون العربية ويتقنونها ويستطيعون التعبير بها تعبيرا فصيحا جميلا بليغا ويتطور الأمر فنرى ديوان الرسائل فى يد الموالى فى عهد هشام بن عبد الملك اذ يتقلده مولاه ســـالم وابنه وتلاميذه ومنهم عبد الحميد الكاتب .

اذن فديوان الرسائل نشأ نشأة عربية ثم أمدته روافد فارسية ويونانية على يد الموالى الذين اتقنوا العربية وكتبوا بها النثر كما نظموا الشعر .

والحقيقة التى يجب الا نغفلها أن هؤلاء الكتاب طوروا الكتابة اذ اتخذوها مهنة لهم يجودون فيها حتى بلغوا أعلى المراتب .

وكان الكاتب منهم لا يستطيع أن يتقلد ديوان الرسائل الا اذا أظهر

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر١٠٣ ، نشأة الكتابة ، ومناهج التأليف عند العلماء العرب

(٢) نشأة الكتابة ٦٨ .

(٣) النثر ومذاهبه ، ص ١٠٤ .

التفوق والبراعة وأبان عن جمال فى كتابته وتفنن فى أسلوبه . وقد عنوا بتجميل أساليبهم وتزيينها الى جانب توفر الأفكار الجيدة والتجمل فى الورق والخط .

يقول الجهشيارى (كان الوليد بن عبـــد الملك أول من كتب من الخلفاء فى الطوامير (الصحف) . وأمر بأن نعظم كتبه ويجلل الخط الذى يكاتب به وكان يقول « تكون كتبى والكتب الى خلاف كتب الناس بعضهم الى بعض) وقد عمل بذلك الخلفاء من بعده ، اللهم الا عمر بن عبد العزيز الزاهد الذى كان يأمر كتابه بجمع الخط كراهية استعمال الطوامير)(١) .

تطورت لغة الكتابة فى عصر بنى أمية واستخدمت ألوان التجميل كالسجع والاستعارة والاقتباس من أسلوب القرآن الكريم ومعانيه وأخيلته .

وفى هذا العصر تطول الرسائل ويرجع ذلك الى الجـــدل السياسى بين الأحزاب المختلفة يقول الطبرى (ان عمرو بن نافع كاتب عبد الله بن زياد أول من أطال الكتب)(٢) . وظاهرة الاطالة والبعد عن الايجاز تعد ظاهرة غريبة على العرب يقول د. حسين نصار(٣) (ان هذه الظاهرة لم تستطع أن تسيطر على العرب وتغزو شعرهم وانما تغلبت على الكتابة التى يلعب فيها العقل والثقافة الدور الأكبر ، وقد أخذت هذه الظاهرة تتطور وتفشو حتى اننا نجد عبد الحميد الكاتب يكتب رسالته فى آخر هذا العصر يقال انها استوعبت مجاميع ضخمة من الصحف) .

وشاع استخدام الألفاظ الغريبة والنادرة الاستعمال وأخـــذ الكتاب يعنون بصدور رسائلهم ويطيلون التحميد على غير عادة العرب وقد عنى بهذا الفن عبد الحميد الكاتب فأطال فى هذا الفن وتفنن وأعطاه قواعده النهائية وأدى هذا ببعض الأدباء الى أن يقولوا انه أول من اســـتعمل

---

(١) الوزراء والكتابة) ٥٣ .
(٢) الطبرى حـ ٢ : ٢٧٠ .
(٣) نشأة الكتابة : ٧٤ .

التحميدات فى فصول كتبه وربما كانت هذه التحميدات من أثر كتب النبى ﷺ والصحابة فقد كانت خطبهم تبدأ بالحمد ولكنه كان حمدا قصيرا موجزا فلما أتى كاتب المهلب (يحى بن يعمر العدوانى) أطاله قليلا ثم جاء عبد الحميد فاسهب وأطنب وربما تأثر فى ذلك بخطب على بن أبى طالب التى كان يحفظها ويقول عنها انها سبب بلاغته ، ومن تحميدات عبد الحميد قوله : الحمد لله العلى مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه الصادق وعده ، الذى قدر على خلقه بملكه ، وعز فى سماواته بعظمته ، ودبر الأمور بعلمه وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعا لها بانشائه اياها ، وقدرته عليها واستصغاره عظيمها ، نافذا ارادته فيها ، لا تجرى الا على تقديره ، ولا تنتهى الا الى تأجيله ، ولا تقع الا على سبق من حتمه . كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه ، لا معدل لها عنه ولا سبيل لها غيره ، لا يعلم أحد بخفاياها ومعادها الا هو فانه يقول فى كتابه الصادق: « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » .

وعلى نحو ما نشأت الكتابة السياسية الرسمية ونمت نشأت الكتابة الاجتماعية أو الشخصية وأخذت فى النمو منذ عصر الفتوح يعلل ذلك د. شوقى ضيف فيقول : (فان تفرق العرب فى البلدان الاسلامية دفعهم دفعا الى أن يتكاتبوا فى مهامهم وشئونهم الشخصية وفى التهانى والتعزية وفى العظة والعبرة وان كانت الكتب الأدبية والتاريخية لم تعن بتلك المكاتبات قدر عنايتها بالرسائل السياسية)(٢) .

كذلك وجدت الرسائل الوعظية وكانت من كبار رجال الدين والوعاظ والزهاد الى الخلفاء والأمراء والأصدقاء لتوجيههم الى الطريق المستقيم وهدايتهم الى الطريق القويم واظهار رأى الدين فى المشكلات المختلفة .

وكانت الرسائل السياسية والدينية مرتبطة ببعضها أشد الارتباط كذلك ارتبطت بها الرسائل الاخوانية .

---

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ١٠٥ .

والرسائل الدينية صادرة عن عاطفة دينية صادقة تهدف الى دفع الناس للعمل بأوامر الدين والابتعاد عن نواهيه وغرضها ليس الافهام فقط بل التأثير أيضا فى قارئها ودفعه الى تغيير مسلكه فى الحياة ، ولذا يجب أن تختار الألفاظ الموحية لهذا الغرض والمشحونة بالعاطفة الدينية فيجب التدقيق فى اختيار ألفاظها ، وكذلك الأمر بالنسبة للجمل والتراكيب والتراكيب والعبارات ، ويظهر فى هذه الرسائل هدفها وغايتها من بدايتها الى نهايتها .

ومن أمثلة ارتباط الرسائل الاخوانية بالدينية قول عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فى رسالة لأحد أصدقائه :

يا أخى ، انك قد قطعت عظم السفر وبقى أقله وإياك أن تغرك الدنيا ، فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له . يا أخى ، ان أجلك قد دنا فكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك »(١) .

ومن ارتباط الرسالة السياسية بالدينية قول الحسن البصرى فى رسالته لعمر بن عبد العزيز يصف فيها الامام العادل « إعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل مهلوف »(٢) .

وأهم الخصائص التى تنتشر فى كل أنواع الرسائل هذا العصر هى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف اما بالنص أو باقتباس الأفكار ، وكذلك استخدام الأسلوب القصصى . وشاع فى هذه الرسائل التكرار لبعض الألفاظ كذلك وجدت فى هذا العصر الرسائل الدينية الجدلية والمقصود بها الرسائل التى تجادل فريقا من الفرق الدينية أو مذهبا خاصا من المذاهب الاسلامية وهى نوع من المناظرات .

كذلك وجدت الكتابة التاريخية أو المقالات التاريخية تلك التى تناولت سيرة رسول الله ﷺ وغزواته وسير الخلفاء الراشدين وفتوحاتهم .

---

(١)و(٢) جمهرة رسائل العرب جـ ٢ .

والرسائل الاخوانية فى عصر بنى أمية تناولت موضوعات النصح والعتاب والاعتذار والتعزية والشفاعة والرجاء وتبادل الآراء والمعارف العلمية . وبدأت هذه الرسائل فى البداية بسيطة اللغة موجزة صريحة الأسلوب ، لا ترمى الا الى الافهام ثم تطورت بعد ذلك وأصبحت رسائل أدبية بمعناها المتعارف عليه عندما وصـــلت الى عبد الحميد الكاتب ، ورسائل عبد الحميد تمثل ثمرة تطور الرسائل الاخوانية .يقول عبد الحميد الكاتب فى رسالته الجامعة التى كتبها فى وصف الاخاء :

« فان أولى ما اعتزم عليه ذوو الاخاء وتواصل عليه أهل المودات ، ما دعا أسبابه صدق التقوى ، وبنيت دعائمه على أساس البر ، ثم انهد البقاء حريز التواصل،وشيده مستعذب العشرة ، فادعم قويا وصفا مونقا، وأخلصته المقة منعطفه ، وسكنت به القلوب أنيسة ، وسمت من مواصلة الهمم مستعلية عن كل زائغ معتاق ، ومخوف عارض » ويظهر فى هــذه الفقرة توازن الجمل وترادفها اللذان يتعمدهما عبد الحميد ، ويظهر ميله للسير المنطقى ، فهو يمثل الاخاء بناء تجتمع له الأسس من التقوى والبر، ويرفع بناءه التواصل والعشرة العذبة ويدعمه ويصفيه ثم تجمله المحبة وأخيرا تسكنه القلوب مستأنسة ونرى فى هذا السير المنطقى حبا للتجسيم والتجسيد يجعلنا نتصور البناء فى جميع أطواره ماثلا أمام أعيننا كأننا نلمسه بأيدينا ويظهر هذا الميل الى التجسيد والتصوير فى تركيب الجمل التى توحى بالتجسيد أو تكسب الكلام البروز والوضوح(١) .

أما أهم رسائل عبد الحميد الكاتب فهى رسالته الى الكتاب . وهى تقع فى قريب من أربع صفحات من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى ، ويرمى فيها عبد الحميد الى تبليغ أصدقائه وأبنائه الكتاب ما يحتاجون اليه من ثقافة ، ومن أخلاق ، ولذلك تزخر بالوصـــايا والنصائح . وقد اكتسبت أهمية خاصة حتى صارت دستورا يرجع اليها الكتاب ليستوحوها ويتحلوا بفضـــائلها .

يبدأ عبد الحميد رســـالته بمخاطبة الكتاب ، ويبين لهم أن الله

---

(١) نشأة الكتابة : ٩٥ .

عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ، ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافا وانه جعل معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهـــل الأدب والمرؤة والعلم والرواية ٠

ثم يبين حاجتهم الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة ٠٠٠ فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره : أن يكون حليما فى موضع الحلم ، فهيما فى موضع الحكم ، مقـــداما فى موضع الاقـــدام محجاما فى موضـــع الاحجام ٠٠٠ قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه ، فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفى به » الى آخر الصفات المحمودة التى يرى أنهم ينبغى أن يتصفوابها ٠

ثم يذكر لهم العـــلوم والآداب التى يجب أن يعرفوها ويتنافســـوا فيها فيقول :

وتفقهوا فى الدين ، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل ، والفرائض ثم العربية ، فانها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيـدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العـــــرب والعجم ، واحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسـموا اليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج » ٠

ويسمو بهم على الرذائل والأخـــلاق الذميمة فينصحهم : وارغبوا بانفسكم عن المطامع ، سنيها ودينها ، وسفساف الأمور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب ، مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءات ، واربئوا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهـــل الجهالات ، وأياكم والكبر والصلف والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة من غير احنة ٠

ويحضهم على التحاب والتعاون فيما بينهم ، فان تبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره ٠ وان اقعد احدكم الكبر عن مكسب ولقـاء اخوته ، فزوروه ، وعظموه ، وشـــاوروه ٠

ويحثهم على الوفاء لأوليائهم وسادتهم والاخلاص لهم .. فان الرجل منكم اذا صحبه الرجل (الخليفة أو الأمير) يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه ، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره » .

واخر الأمر يشرح لهم ما يجب عليهم من حسن السياسة وبعد النظر حين ولايتهم ، فاذا ولى الرجل منكم ، أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر ، فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا ، فان الخلق عيـــال الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكما ، وللاشراف مكرما ، وللفىء موقرا ، وللبلاد عامرا ، وللرعية متالفا وعن ايذائهم متخلفا ، وليكن فى مجلسه متواضعا حليما ، وفى سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا » .

« واذا صحب أحدكم رجلا فليعتبر خـلائقه ، فاذا عرف حســـنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيله وأجمل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها ، وان كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها ، وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها ، وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طريقها ، فان استمرت عطفها يسيرا فيســلس له قيادها . وفى هـــذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم » .

ويستمر فى تبيان السياســـة التى يجب اتباعها من الاعتـــدال وتجنب السرف .

« ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه ، وملبســه ، ومركبه ومطعمه ومشربه ، وبنائه ، وخدمه وغير ذلك من فنون أمره . قدر حقه واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم ، واحذروا متالف السرف ، وسوء عاقبة الترف ، فانهما يعقبان الفقر ، ويذلان الرقاب ، ويفضحان أهلهما .

ثم ينبههم الى تجنب الاكثار من الكلام والوصـــف « واعلموا ان

للتدبير آفة متلفة ، وهى الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته ، فليقصد الرجل منكم مجلسه قصد الكافى من منطقه ، وليجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه ، فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعه للتشاغل عن اكثاره » .

ويختم الرسالة بالاشارة الى التواضع وعدم الغرور ولا يقل أحد منكم انه أبصر بالأمور ، وأحمـــل لعبء التدبير من مرافقه فى صـناعته ، ومصاحبه فى خدمته . فان أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن صاحبه أعقل منه ، وأحمد فى طريقته » .

« وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل « من يلزم النصيحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب ، وثمرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باســعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيـده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وهذه الرسالة تظهر عناية عبد الحميد الكاتب بألفاظه عناية فائقة ، وأنه كان أحيانا يأتى بالسجع غير المتكلف والذى يجمل الأسلوب فيجعله أنيقا يقول :

بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كاف الا منكم . فموقعكم من الملوك موقع أســماعهم التى بها يســمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون ، وأيديهم التى بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفناه من النعمة عليكم » .

كما تظهر فيها موسيقية أسلوبه وجميل عبــاراته . وهى توضح مقدرته على الوصف ، وهى تعكس للقارىء الثقافات التى تثقف بها من عربية واسلامية وفارسية وسياسية .

وأهمية هذه الرسالة ترجع الى أن بها كـل ما يطلب من الكتاب وهى توضح القوانين التى يجب أن تسود فى ديوان الرسائل ويخضع لها من يريدون دخوله . فهى تتحدث عن أخلاق الكتاب ، وثقافتهم ، وتقسم ثقافتهم الى ثقافة خاصة بالدين والفقه والتاريخ والحساب ، وثقافة عامة شاملة لكل المعارف الموجودة فى الحياة فى عصر الكاتب .

وقد أثرت رسالة عبد الحميد الكاتب فى المؤلفين بعده مثل ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب فقد اهتم بالناحية اللغوية وهى قسم من الثقافة الخاصة ، الصولى فى (أدب الكتاب) .

ومنهم من تناول الثقافتين العامة والخاصة مثل النويرى فى كتابه « نهاية الأرب فى فنــون الأدب » ، ومنهم من تنــاول الآداب الثقافية والأخلاقية كالقلقشندى فى (صبح الأعشى فى صناعة الانشا) .

وأرى أن هذه الرسالة قد توفر فيها شروط المقال بمعناه الحديث بعناصره وأركانه وأسلوبه ومنهجه الشامل وعلى هذا فجذور المقال بمعناه الحديث قد وجدت منذ عصر بنى أمية . ويمكن أن نعدها مجموعة من المقالات المكتوبة فى نصح طائفة الكتاب فيما يرشدهم الى صالح الأعمال، وصالح الأخلاق والمعاملات .

ويمكن أن نقــول على الاجمال فيما يرشــدهم الى صالح دينهم ودنيــاهم .

المقالة فى العصــر العباسى :

عندما قامت الدولة العباسية امتد سلطان النثر واتسعت موضوعاته الى أكثر مما كانت عليه فى آخر العصر الأموى ٠

وكان من أسباب هذا اشتداد الاتصال بين العرب والفرس وغيرهم من الموالى فى الشام والجزيرة والعراق ٠

ومن أهم هذه الأسباب تسلط الفرس والموالى ووصول الأمة العربية الى طور التسوية بين العرب وغيرهم من الموالى فى الحقوق ٠

وفى هذا الوقت استطاع غير العرب أن يصلوا الى المناصب المختلفة للدولة السياسية والعسكرية والادارية ، واتسعت أمام العقـــول الأجنبية ميادين التفكير والتعبير عن آرائهم وخواطرهم فنتج عن ذلك أن غنيت اللغة العربية بآراء ومذاهب ما كانت تنتج لو استمرت سياسة بنى أمية الذين حصروا كل شىء فى العرب(١) ٠

وأخذنا نرى فى أيام العباسيين ظاهرة لم يعرفها الأمويون وهى سمو الموالى الى الوزارة والمناصب الكبرى فى الجيش والولايات أيضا ، واخذ هؤلاء الوزراء ينظمون الدولة ويسيطرون على الخلفاء ويسيرون الأمور بما ورثوا عن جنسياتهم المختلفة ٠ وكانوا عندما يصـــدرون عن الخلفاء الرسائل والكتب يصدرونها ممثلة لهذه الجنسيات المختلفة ممازجة بينها وبين اللغة العربية التى ورثتها اللغة من الدين والعادات القديمة ، فتغيرت اللغة وتغير النثر تغيرا واضحا نراه ابتداء من الكتب التى كانت تصدر عن أبى العباس السفاح والمنصور والمهدى ٠

وفى هذا العصر كثرت الترجمات وزادت العناية بالثقافات الفارسية واليونانية ، وهذا أدى الى زيادة ثروة اللغة العربية ٠

والذى لا شك فيه أن هذه الثقافات الأجنبية أدت الى أن يصبح النثر العربى نثر ثقافة متشعبة تمدها روافد كبيرة أجنبية وعربية وقد

---

(١) من حديث الشعر والنثر ٣٧ ، ٣٨ بتصرف ٠

ادخلت طرائق النظر الأجنبية وأساليب الأجانب فى تفكيرهم وقد قام على هذا العمل نخبة من رجال الفكر الذين يحسنون اللغتين المنقول عنها والمنقول اليها فاذا هم يستخدمون أسلوبا مولدا جديدا يحتفظون فيـــه للعربية بصورتها النحوية والتركيبية ، وقد عمـــدوا الى تخصيص بعض الألفاظ للدلالة على المصطلحات الفلسفية والعلمية الجـــديدة وكانوا اذا اضطرهم معنى لفظ أجنبى الى الاحتفاظ به عربوه كما حدث فى أسماء كثير من النباتات والأحجار والعقاقير والأمراض وبعض أسماء الآلات أو أسماء بعض العلوم . وكانوا يضيفون صيغا جديدة ولكنهم لم يبتعدوا بها عن تراكيب العربية (١) .

وبذلك أصبحت اللغة العربية لغة ثقافية ذات أسلوب مرن يستوعب كل مالدى الأجانب من كنوز المعرفة ومذاهب الفلسفة مما كان له أثره فى الأدب نثره وشعره ، كما كان له أثره فى العلوم الاسلامية كعلم الكلام والفقه وحتى فى علم اللغة وما اتصـــل به من علم النحو والعـــروض والتاريخ . وبذا أصبح النثر العـــربى فى العصر العباسى متعدد الفروع فهناك النثر العلمى والفلسفى والتاريخى والنثر الأدبى الخالص ، وكان فى بعض صوره امتدادا للقديم وفى بعضها الاخر مبتكرا لا عهد للعرب به على شاكلته ما هو معروف فى كتابات سهل بن هارون والجاحظ(٢) . وكان للمتكلمين من المعتزلة ثقافات متعددة وأساليب جديدة ومناظرات تنم عن هذه الثقافات .

ورسالة الصحابة لابن المقفع تمثل بدء تطـــور النثر العـــربى فى العصر العباسى وأراها كمقالة سياسية جريئة توجه بها الكاتب الى الخليفة المنصور . وقد سبقت المقالات السياسية التى وجدت فى عصرنا الحاضر والتى تحاول بيان فساد نظام الحكم ونصح الحكام وتوجيههم الى الطريق السوى بأسلوب اللين تارة وبأسلوب العنف فى أحيان أخرى وهى تشبه على وجه الخصوص ما نراه فى صحف الأحزاب المعارضة هذه الأيام من

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر ٥ ، ٦ .

(١) الفن ومذاهبه فى النثر : ١٢٥ .

تربص بالحزب الحاكم وكشف لأخطائه ونصح لزعمائه وسخرية من أسلوب بعض وزرائه فى سياسيتهم التى ينتهجوها ٠

وقد بدأها ابن المقفع بمدح المنصور وتفضيله الأمويين ، ثممدح منه انه قليل الاعجاب بنفسه لا يستنكر أن يســأل ثم انتقل الى أن إستعداد الأمير هذا يشجع المشيرين أن يشيروا عليه فى أمر الجند من خراسان فطلب اليه أن يعنى بهذا الجند عناية خاصة فيضمن لهم أرزاقهم ويكتب لهم قانونا يعصمهم من جور العمال والحكام ويضمن لهم حياة هادئة ٠ ثم انتقل الى أهل العراق فأوصى بهم أمير المؤمنين خيرا وأن يعتمد عليهم فى أمور الدولة ويدافع عنهم لأنهم ظلموا أيام بنى أمية ٠

ثم انتقل من هذا الى أن الأحكام الفقهية كثر الاضطراب والتناقض فيها حتى ان الحادثة الواحدة يحكم فيها بقضاءين متناقضين ٠ ويحتج الفقهاء لهذه الآراء المختلفة ، وطلب الى الخليفة أن ترفع اليه هذه المسائل ليكون له رأيا واحدا فيها ويصدر كتابا يلزمه الفقهاء على أختلافهم فلا يضطرب القضاء وقال : ان هذا الأمر اذا كان صلحت عليه أحوال الأمة ولا سيما اذا اتبع الخلفاء سيرتهم فاصدر كل امام عند توليه الحكم قانونا يلزمه القضاة ٠

ثم ينتقل الى الشام فيطلب الى الخليفة أن يحتاط فى سياسته ويطلب اليه أن يشتد فى عدل فيخصص لهم فيئهم وينتقل بعد ذلك الى آراء تشبه هذه منها انه يطلب الى أمير المؤمنين أن يعين فى الأمصار جماعة من الخاصة ، يكون أمرهم تاديب العامة ومراقبة أعمالهم فان العامة لا تصلح بنفسها الا اذا وجدت مؤديين من الخاصة ، والخاصــة لا تستطيع أن تعيش الا اذا كان لها من الامام مؤدب ٠

ومنها « وفى الذى قد عرفنا عن طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأى على مبادرته بالخبر فيما ظن أنه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ٠ ولا يزيد صاحب الرأى على أن يكون مخبرا أو مذكرا، وكل عند أمير المؤمنين مقبول ان شاء الله مع أن مما يزيد ذوى الألباب نشاطا الى اعمال الرأى فيما يصلح الله به الأمة فى يومها أو غابر دهرها،

الذى أصبحوا قـــد طمعوا فيـــه ، ولعــــل ذلك يكون على يدى أمير المؤمنين »(١) ٠

والجاحظ يعد من أشهر كتاب العــربية فى فن الكتابة فى العصر العباسى ان لم يكن أشهرهم على الاطلاق وقد عنى بكتابة أنواع متعددة من الرسائل يمكن أن يعد بعضها الى حد كبير مقالات متنوعة الاغراض والأنواع فقد كتب فى السياسة والاجتماع والاقتصـــاد والتاريخ والنقـد والحيوان والنبات والشعوب والأخـــلاق وتكلم عن الحســـد والحاسـد وا لمحسود والنفس وخصائصها وكتمان السر الى غير ذلك من الموضوعات ذات الافكار المتباينة ٠ وثقافته تعد ثقافة موسوعية وهو من أوائل من كتب هذه الكتابة الموسوعية التى شاعت فيما بعد فى العصر المملوكى حتى أصبحت ظاهرة عامة

تناول الجاحظ فى رسائله موضوعات متنوعة ووجود هذه الكتابات فى الأدب العربى فى العصر العباسى تدل دلالة مؤكدة على وجود فن المقال فى ذلك العصر ٠

ومقالات الجاحظ تتناول موضوعات فردية واجتماعية،تناولها تناولا ادبيا ويعتمد الجاحظ فيها على اثارة العواطف ، وتتسم بتدفق الافكار وتلوين الصور وتنويع موسيقى العبارات مع الانطلاق فى التعبير والتحرر من القيود تبدأ غالبا بتوجيه الحديث لمخاطب والدعاء له ثم يدخل فى الموضوع ويوضح الغرض منه ويستعرض ثقافته وينتقل من فكرة الى أخرى حتى يصل الى نهاية رسالته أو نهاية مقالته ٠

وأسلوب الجاحظ متنوع يدفع الملل والسآمة فهو يخرج من جد الى هزل الى جد ويعرض موضوعاته بألفاظ جزلة وأسلوب قوى ٠

ورسالته التربيع والتدوير مع بعض التحفظات تعـــد من المقالات الاجتماعية الأخلاقية الثقافية وقد استخدم فيها الجاحظ أسلوب الهجاء والسخرية من بدايتها الى نهايتها لتحقيق الهدف الذى رمت اليه ٠

---

(١) رسائل البلغاء : ١١٨ ٠

وهذه الرسالة تبلغ ١٥٠ صفحة ٠ بداها الجاحظ بمقدمة بسط فيها موضوع هذه الرسالة فحدثنا عن أحمد بن عبد الوهاب الذى كان مفرط القصر ويدعى أنه مفرط الطول ، وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته واستقامة خاصرته مدورا ٠ وكان جعد الأطراف قصير الأصابع وهو فى ذلك يدعى السباطة والرشاقة ، وأنه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم ، وكان طويل الظهر قصير عظم الفخذ وهو مع ذلك يدعى أنه طويل الباد رفيع العماد عادى القامة عظيم الهامة ، قد أعطى البسطة فى الجسم والسعة فى العلم ٠ وكان كبير السن متقادم الميلاد وهو يدعى أنه معتدل الشباب حديث الميلاد ٠

وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها وتكلفة للابانة عنها على قدر غباوته فيها ، وكان كثير الاعتراض لهجا بالمراء شديد الخلاف كلفا بالمجاذبة متتابعا فى العنود مؤثرا للمغالبة ، مع اضلال الحجة والجهل بموضع الشبهة فلما طال اصطبارنا عليه حتى بلغ المجهود منا وكدنا نعتاد مذهبه ونالف سبيله ، رأيت أن أكشف قناعه ، وأبدى صفحته للحاضر والبادى وسكان كل ثغر وكل مصر بأن أسئله عن مائة مسئلة أهزأ فيها وأعرف الناس مقدار جهله وليساله عنها كل من كان فى مكة ليكفوا من غربة وليردوه بذلك الى ماهو أولى به ٠

ثم يتحدث الجاحظ عن هذه العيوب التى انغمس فيها أحمد بن عبد الوهاب فيروى لنا شيئا من الحديث والحكم والشعر وذم الخصومة وهنا تنتهى المقدمة وتبدأ الرسالة ٠

وهو يبدؤها بالدعاء لأحمد بن عبد الوهاب فيقول له « أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك ٠ قد علمت حفظك الله أنك لا تحسد على شىء حسدك على حسن القامة وضخم الهامة ، وعلى حور العين ، وجودة القد وعلى طيب الأحدوثة والصنيعة المشكورة ٠ وأن هذه الأمور هى خصائصك التى بها تكلف ، ومعانيك التى بها تلهج ٠ وانما يحسد ـ أبقاك الله ـ شقيقه فى النسب وشفيعة فى الصناعة ونظيره فى الحوار على طارف قدره ، أو تالد حظه ، أو على كرم فى أصل تركيبه ومجارى أعراقه ، وأنت تزعم أن هذه المعانى خالصة لك مقصورة عليك ، وانها

لا تليق الا بك ، ولا تحسن الا فيك ، وأن لك الكل وللناس البعض وأن لك الصافى ولهم المشوب . هذا سوى الغريب الذى لا نعـرفه والبديع الذى لا نبلغه . فما هذا الغيظ الذى انضجك وما هذا الحسد الذى أكمدك ، وما هذا الاطراق الذى اعتراك وما هذا الهم الذى اضناك ! » .

ثم يمضى الجاحظ فى هذا النوع من الهزل فيقول « ان الراسخين فى العلم والناطقين بالفهم ، يعلمون أن استفاضة عرضك ادخلت الضيم على ارتفاع سمكك ، وأن ماذهب منه عرضا قد استغرق ما ذهب طولا » .

ويتفلسف الجاحظ فى الطول تفلسفا لا عهد لنا به(١) فيزعم أن الرمح وان طال فان التدوير عليه اغلب لان التدوير قائم فيه موصـــولا ومفصلا ، والطول لا يوجد فيه الا موصولا .

ثم يزعم لاحمد بن عبد الوهاب أنه من أقدم الناس عهدا بالحياة وأنه بعيد العود بالوجود ، وأنه لا يعد عمر نوح عمرا ولا النجوم يوما وأنه قد فات التاريخيات ، وجاز حساب الياودات وأنه قعيد الفلك وقوة الهيولى ، واذن فمن الحق عليه أن يجيب اذا سئل .

فيساله ; كيف رايت الطوفان ومتى تبلبلت الالسنة ومتى كان زمان الخفان ويوم السلان ويوم خزاز وواقعة البيداء ؟ هيهات بل أين عاد وثمود وأين طسم وجديس ، وأين أميم وبار ، وأين جرهم وجاسم أيام كانت الحجارة رطبة واذ كل شيء ينطق ؟ ومذكم ظهرت الجبال ونضب الماء عن اللحف ومن سوشى المنظر ، ومن قيرى وعيرى ؟ ومن أولاد الناس من السعالى ؟ » وهكذا يساله عن أمور فى التاريخ والانساب والطبيعة والفلسفة قد عيى بها المؤرخون وفلاسفة اليونان فاذا فرغ من هذا كتب فصلا طويلا عن المزاح يصل منه الى الاعتذار اليه ، وأنه ما عصاه الا اتكالا على عفوه وأنه لم يرد الا اضحاك سنه ، وأنه ما هـــرم الا فى طاعته وما أخلفه الا معاناة خدمته ثم يعود الى مدحه ثم يصفه بالشمس والقمر ثم يعود الى

---

(١) من حديث الشعر والنثر ٠ ٥٨ ٠

سؤاله عن الفلسفة والمنطق وثقافات الامم الأجنبية والثقافة العربية والشعر والحيوان والفيزياء والكيمياء ، والانساب ... الخ ـ الى أن يقول له :

وقد سالتك وان كنت أعلم أنك لا تحسن من هذا قليلا ولا كثيرا فان أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها فالزم نفسك قراءة كتبى ولزوم بابى ، ثم يختم الرسالة بمقالة فى العقل وطلب العلم وبالكلام فى العجب وجملة من النصائح .

وهذه الرسالة كما ذكرت تعد من المقالات الاجتماعية وتعنى بنقد بعض طوائف المجتمع من الذين يتملكهم الغرور والعجب وهم جهلة أدعياء لا يفقهون من العلم شيئا وغرضه هو الاصلاح والعلاج والتعليم . وقد استخدم فيها أسلوب السخرية والتهكم للتنفير من هذه الخصال الذميمة وابعاد الناس عن ادعائهم المعرفة بما يجهلون ويؤخذ على هذه المقالة الطول والتكرار والاستطراد وكثرة الاستشهادات بالشعر والحكم واقوال العلماء وهى سمات بارزة فى أسلوب الجاحظ لم يستطع أن يتخلص منها ولم يحاول أن يتخلص منها وقد بدت واضحة فى كل مؤلفاته ودلت على اتساع ثقافاته ومقدرته على الاقناع بالحجة والبراهين التى تدل على صدق رأيه وان كانت تؤدى الى الاطالة المفرطة والاسهاب الذى وصل بالمقالة الى ١٥٠ صفحة .

ولكن هكذا كانت البداية ونحن لا نقول ان هذه المقالات مقالات بالمعنى والمقاييس الثابتة للمقالة الحديثة ولكن ندلل على وجود المقالة فى العصور القديمة وان اختلفت بعض الاختلافات التى قد تكون غير جوهرية ـ فأجزاء المقالة موجودة وهى تعالج موضوعا واحدا اجتماعيا بطريقة معينة وتهدف الى الاصلاح هذه كلها من صفات المقال كما عرفناه فى المصطلح الحديث .

ورسالة التربيع والتدوير يمكن أن نقسمها الى عدة مقالات اجتماعية مقالة فى ادعاء العلم ـ وأخلاق الجهال ، العقل وطلب العلم ، العجب أو الغرور .

كذلك يعد كتاب البخلاء مقالات اجتماعية فى التنفير من هذه الآفة (البخل) واكان عرضه لهذه المقالات بأسلوب تصويرى رائع ودقيق .

ومجموعة رسائل الجاحظ التى حققها الأستاذ عبد السلام هارون ونجد فى هذه المقالات الثقافة الواسعة للجاحظ والأسلوب القوى والاهتمام الكبير بالتراث القديم الى جانب عواطف ومشاعر قوية توجه المقال الى الاتجاه الذى أراده له الجاحظ ومن هذه المقالات :

رسالة فى مناقب الترك - رسالة فى كتمان السر وحفظ اللسان رسالة فى الجد والهزل - فصل ما بين العداوة والحسد، وصناعات القواد - ذم أخلاق الكتاب - البغال - الحنين الى الاوطان - النبل والتنبل وذم الكبر - المودة والخلطة استنجاز الوعد - تفضيل النطق على الصمت ... وغير ذلك كثير .

ومن عناوين هذه المقالات نستطيع أن نلمس غوصها فى كل الانحاء والاتجاهات .

ونلاحظ أن أغلب مقالاته تعد كأنها أجوبة على رسائل فى موضوعات معينة أو استفسارات عن أمور بعينها فمثلا مقالته فى ذم أخلاق الكتاب بدأها بالدعاء للمرسل اليه ثم معارضته فى رايه فى بيان أدلته على صدق ما رآه قال (١) : (حفظك الله وأبقاك وأمتع بك - قد قرأت كتابك فى مدح أخلاق الكتاب وأفعالهم ووصفك فضائلهم وأيامهم وفهمته) .

ثم بعد التقديم يعرض رأيه فيقول : (فقد رأينك أطنبت باحماد هذا الصنف من الناس وحكمت بفضيلة هذه الطبقة من الخلق ، فعلمت أن فرط الاعجاب من القائل متى وافق صناعة المادح رسخ فى التركيب هواه ، ورسبت فى القلوب أوتاده ، واشتد على المناظر افهامه ، وعلى المخاصم بالحق توقيفه ، وكان حكمه فى صعوبة فسخه وتعذر دفعه حكم الاجماع اذا لاقى محكم التنزيل .

---

(١) رسالة فى أخلاق الكتاب ص ١٨٧ .

ولســـت ادع مع ذلك توفيقك على موضـــوع زللك فى الاحتجاج وتنبيهك على النكتة من غلطك فى الاعتدال بما لا يمكن السامع انكاره ولا ينساغ له ابطاله .

وأبين مع ذلك رداءة مذاهـــب الكتاب وأفعالهم ولؤم طبائعهـــم وأخلاقهم بما تعلم أنت والناظر فى كتابى هذا : أنى لم أقل الا بعـــد الحجة ، ولم أحتج الا مع ظهور العلة ثم أستشهد مع ذلك الأضداد تبيانا ، وأجمع عليه الأعداء انصافا ، اذ كان فى ذلك من التبيان ما يبهرهم ، ومن القول ما يسكتهم .

ثم أقول : ما ظنك بقوم منهم أول مرتد كان فى الاسلام ، كتب لرسول الله ﷺ فحالف فى كتابه املاءه ، فأنزل الله فيه آيات من القرآن فهى فيه عن اتخاذه كاتبا ، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافرا ، وهو عبد الله بن سعد بن سرح (وقد ورد فى الاصابة فى ترجمته فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل (يعنى يوم الفتح فاستجار له عثمان فأجاره النبى ﷺ) .

ويقول : ولو كانت الكتابة شريفة والخط فضيلة كان أحق الخلق بها رسول الله ﷺ ، وكان أولى الناس ببلوغ الغاية فيها ساداتهم وذوو القدر والشرف منهم ولكن الله منع نبيه ﷺ ذلك ، وجعل الخط فيه دنية ، وصد العلم به عن النبوة ، ثم صير الملك فى ملكه والشريف فى قومه يتبجح برداءة الخط ، وينبل بشيخ الكتاب . وان بعضهم كان يقصد لتقبيح خطه وأن كان حلوا ويرتفع عن الكتاب بيده - وان كان ماهرا - وكان ذلك عليه سهلا - فيكلفه تابعه - ويحتشم من تقليده الخطير من جلسائه ... ومع ذلك أن سنخ(١) الكتابة بنى على أنه لا يتقلدها الا تابع ولا يتولاها الا من هو فى معنى الخادم . ولم نر عظيما قط تولى كفاية نفسه أو شارك كاتبه فى عمله . وكل كاتب فمحكوم عليه بالوفاء ، ومطلوب منه الصبر على اللأواء . وتلك شروط متنوعة عليه ، ومحنة مستكملة لديه .

---

(١) نسخ : أصل .

وليس للكاتب اشتراط شىء من ذلك ، بل يناله الاستبطاء عند أول الزلة وان أكدى ، ويدركه العذل بأول هفوة وان لم يرض ٠

يجب للعبد استزادة السيد بالشكوى ، والاستبدال به اذا اشتهى وليس للقاض تقاضى فائته اذا أبطأ ، ولا التحول عن صاحبه اذا التوى فأحكامه أحكام الأرقاء ، ومحله من الخدمة محل **الأغبياء** ٠

ثم هو مع ذلك فى الذروة القصوى من الصلف ، **والسنام الأعلى** من البذخ ، وفى البحر الطامى من التيه والسرف ٠ **يتوهم الواحد منهم** اذ عرض جبته وطول ذيله وعقص على خده صدغه ٠

ثم الناشىء فيهم اذا وطىء مقعد الرياسة ، وتورك مشورة الخلافة وحجزت السلة دونه ، وصارت الدواة أمامه ، وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم ملحه وروى لبزرجمهر أمثاله ، ولأردشير عهده ولعبد الحميد رسائله ولابن المقفع أدبه ، وصير كتاب مزدك معـــدن علمه ودفتر كليلة ودمنه كنز حكمته ـ ظن أنه الفاروق الأكبر فى التدبير وابن عباس فى العلم بالتأويل ٠ ومعاذ بن جبل فى العلم بالحلال والحرام وعلى بن أبى طالب فى الجرأة على القضاء والأحكام ، وأبو الهذيل العلاف فى الجزء والطفرة ، وابراهيم بن سيار النظام فى المكامنات والمجانسات ، وحسين النجار فى العبارات والقول بالاثبات ، والأصمعى وأبو عبيده فى معرفة اللغات والعلم بالأنساب ٠ فيكون أول بدوه الطعن على القرآن فى تأليفه ، والقضاء عليه بتناقض ٠ ثم يظهر ظرفه بتكذيب الأخبار ، وتهجين من نقل الآثار ٠٠٠

هذا هو المشهور من افعالهم والموصوف من أخلاقهم وهـذا المقال مرآة للكتاب يرون فيه طبائعهم وأخلاقهم وسلوكهم وقصر نظرهم وعدم وعيهم وقلة ثقافتهم والجاحظ ينهاهم عن الصـــلف والغرور ويضعهم فى مكانهم الحقيقى ،والمقال طويل جدا ،ويشتمل على الكثير من الاستشهادات من شعر ،وخطب ،ورسائل ،واقوال ،وآراء لأشخاص ينقل الجاحظ عنهم فى مقاله كما يذكر أسماء كتاب كثيرين والدواوين التى يعملون بها كديوان الجند وديوان الخراج وغيرهما ٠

ومما جاء فى وصف الجاحظ لكتاب الدواوين فى هذه الرسالة قوله: (خلق حلوة ، وشمائل معشوقة ، وتظرف أهل الفهم ووقار أهل العلم فان القيت عليهم الاخلاص وجدتهم كالزبد يذهب جفاء ، وكنبتة الربيع يحرقها الهيف من الرياح لا يستندون من العـــلم الى وثيقة ، ولا يدينون أخفر الخلق لاماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم ، الويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)(١) ٠

ويمكن تقسيم الرسالة الى مقالات متعددة فى وصف وذم أخـــلاق الكتاب وأفعالهم وكبرهم ٠٠٠ الخ ٠

وعلى الرغم من اعتقادى بوجود المقالة فى نثر الجاحظ وأن مقالاته كثيرة ومتنوعة فلست مع من يدعى أن كل كتابات الجاحظ يمكن ادخالها تحت فن المقالة ٠

ويرى د٠ مرسى أبو ذكرى(١) أن مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة والأمثلة الحية التى تضمنتها نماذج طيبة للمقال النقدى ٠ ويستشهد على رأيه بقول ابن قتيبة : « ولست أسلك فيما ذكرت من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد ، اذ استحسن استحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمة ، ولا لمتاخر بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقين وأعطيت كلا حظه ، ووفرت عليه حقه ، فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الا أنه قيل فى زمانه ، أو انه رأى قائله ٠ ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره وكل شريف خارجيا فى أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « لقد أكثر هذا المحـــدث

---

(١) ص ١٩٩ ذم أخلاق الكتاب حـ ٢ رسائل الجاحظ ٠

(١) المقال وتطوره فى الادب المعاصر ٣١ ٠

(٢) الشعر والشعراء مقدمة الكتاب ٠

وحسن ، حتى لقد هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمى والعتابى والحسن بن هانىء وأشباههم .

فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا به عليه . ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف ، لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »(١) .

ولا أوافق على رأى د. أبو ذكرى فمقدمة كتاب الشعر والشعراء على مالها من قيمة فى النقد العربى القديم فانها وصف لمنهج المؤلف وخطته فى بحثه وهذا المنهج يخالف فيه أكثر المعاصرين له ، ولكن لا يمكن أن نعدها مقالا نقديا فهى لم تتعرض لعمل معين أو لشاعر بعينه بالتقويم من استحسان واستهجان وبيان وجوه الجمال والقبح وعلى هذا فهى مختلفة تماما عن المقال النقدى وهى تشبه فى خطوطها العامة مناهج الكتب أو البحوث التى توضح طريقة سير العمل والهدف أو الغاية التى يهدف اليها مؤلفه مع فوائد ومزايا عديدة تعد من سمات هذه المقدمة بالذات ليس هنا مجال تفصيلها .

ومن الكتب العربية القديمة التى ظهر فيها ما يشبه المقالات الاجتماعية فى العصر الحديث كتاب الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ت ٤٠٠ هـ .

وهذا الكتاب يعد من أبرز الآثار الأدبية لأبى حيان التوحيدى الذى عد من أعلام الفلسفة الأدبية وقد عبر عن المعانى الفلسفية بالصور الحسية والتشبيهات اللفظية والعبارات الأدبية .

والمطلع على كتاب الامتاع والمؤانسة يشعر بثقافة مؤلفه ومعلوماته

---

(١) مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة .

الغزيرة المتنوعة فقد تحدث فى الأدب والفلسفة والحيوان والأخلاق والطبيعة والبلاغة والتفسير والحديث واللغة والسياسة والفكاهة والمجون وحلل شخصيات فلاسفة عصره وأدبائه وعلمائه . وبجانب هذا اهتم بالحالة الثقافية والاجتماعية للعراق خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وصفه القفطى قال : « هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة فى فنون العلم ، فانه خاض فى كل بحر ، وغاص فى كل لجة وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخه من كتاب الامتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيا ، وتوسطه محدثا ، وختمه سائلا ملحفا »(١) .

والكتاب ينقسم الى أربعين ليلة والليلة فكر وفلسفة وفن وأدب « فان كان الف ليلة وليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية فى ملاهيها وفتنها وعشقها ، فكتاب الامتاع والمؤانسة يصور حياة الارستقراطيين العقلية كيف يبحثون ؟ وفيم يفكرون وكلاهما فى شكل قصصى مقسم الى ليال ، وان كان حظ الخيال فى الامتاع والمؤانسة أقل من حظه فى الف ليلة وليلة)(٢) .

ويتسم هذا الكتاب بالجزالة فى العبارة والاطناب فى تصوير الفكرة والاكثار من الازدواج ، مع الاهتمام بالتعمق فى سبر غور الموضوعات التى يتناولها .

وفصول الكتاب الوصفية تشبه المقالات الحديثة وتقترب من المقالات التأملية الفلسفية(٣) . فقد ضم الكتاب صورا شخصية بارعة ، أصلحها للتمثيل وأقربها الى فن المقال الحديث وصف الصاحب بن عباد حيث ابرز نقائصه ومعايبه فى اطار يثير السخرية منه والازدراء به على شهرته بين معاصريه اذ ينظم الشعر فى مدح نفسه ثم ينحله الناس ليقولوه فيه

---

(١) أخبار الحكماء ، ص ٣٨٣ .

(٢) الامتاع والمؤانسة ، ج ١ .

(٣) المقال وتطوره فى الادب المعاصر ، ص ٣٤ .

وقد كشف أبو حيان ذلك فقال عن الصاحب انه كان يعمل الشعر ويدفعه الى أبى موسى المنجم ويقول : قد نحلتك هذه القصيدة امدحنى بها فى جملة الشعراء فيفعل أبو عيسى وهو بغدادى محكك قد شاخ على الخداع وتحنك وينشد فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه ووصفه بلسانه ومدحه بتحبيره : أعد يا أبا عيسى فانك والله مجيد ، زد يا أبا عيسى ، والله قد صفا ذهنك وزادت قريحتك وتنقحت قوافيك . ليس من هذا الطراز الأول حين أنشدتنا فى العيد الماضى ، ... ثم لا يصرفه عن مجلسه الا بجائزة سنية وعطيه هنيه ويغبط الجماعة من الشعراء وغيرهم لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراع ولا يزن بيتا ولا يذوق عروضا(٤) .

ونجده التزم فيه بالاسلوب الهادىء الخالى من السباب البذىء حتى لا يفوت الغرض الذى رمى اليه ، والهدف الذى يريد تحقيقه .

ومن الكتاب الذين عنوا بما أطلق عليه حديثا المقالة الفلسفية (اخوان الصفا) ولهم اثنتان وخمسون رسالة حوت الكثير من العلم .

وتدور موضوعات مقالاتهم حول نقد العقائد الهندية واليهودية والنصرانية والاسلامية من خلال عقيدة اخوان الصفا الشيعية العلوية وتهدف الى محاربة الحاكم الظالم ومن يعملون معه .

كذلك نجد من الكتاب القدماء من عنوا بالمقالة التاريخية والمقالة الاجتماعية من أمثال ابن خلدون فى مقدمته .

وفى العصر المملوكى وجهت عناية كبيرة للنثر فتنوعت موضوعاته وأفكاره فتحدث الكتاب عن الزلزال والفيضانات والأوبئة كالطاعون ، والكوارث الطبيعية ، وظهرت المقالات الاجتماعية والدينية ووجدت الخطابة المكتوبة وهى تعد كالمقالة الوعظية فى شئون الدين كما ظهرت المقالة الوصفية .

---

(٤) الامتاع والمؤانسة ، جـ ١ ، ص ٥٤ ـ ٥٦ .

وهكذا نجد أن هذا الفن ليس وليد العصر الحديث وانما جذوره ظهرت منذ العصر الأموى ولا أدعى أن المقالات القديمة تتوفر فيها كل المقاييس الحديثة ولكن أقول انها تشبهها وتشتمل على كثير من عناصرها وحققت الأهداف التى أرادها مؤلفوها كما تفعل المقالة فى العصر الحديث.

ولهذا السبب قال الأستاذ عباس محمود العقاد : ان هذا اللون كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة فى الآداب العالمية لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتانى ، أمام هذا الفن غير مدافع بين الأوربيين فقد ظهر هذا الفن لأول مرة فى فرنسا ١٥٧٢ »(١) .

---

(١) يسألونك ، ص ١ ، ط ١٩٤٦ مصر .

المقالة فى الأدب العربى الحديث :

ارتبطت المقالة فى العصر الحديث بالصحافة ومن هنا تعد الصحافة من أهم العوامل التى أدت الى تطور المقالة فى أدبنا الحديث ذلك أن الصحافة نشأت ومعها المقالة بوصفها الوسيلة الأساسية للصحيفة فى التعبير عن اغراضها المختلفة وآراء كتابها ٠ والصحافة تعنى الصحف والمجلات وأول جريدة أنشئت فى عهد محمد على كانت (الوقائع المصرية) وظلت قائمة طوال عهده وحدها ، فلم يظهر بجانبها فى الميدان صحيفة أخرى سياسية كانت أم أدبية ٠

وظلت الوقاع المصرية فى عهدى عباس وسعيد وحيدة كذلك تصدرها الحكومة ولا تظهر بجانبها صحيفة أخرى ٠

على أن مجىء عصر اسماعيل كان بداية لنهضـــة صحفية جديدة فظلت الوقائع المصرية تصدر بانتظام ، مع التطور فى تحريرها وطريقة اسلوبها الانشائى فانتقلت من مجال الخبر والسياســة ، ونشر المضابط النيابية ووصف الحفلات العامة وحفلات المدارس ؛ وســباق الخيل الى مجال الاهتمام العلمى والأدبى ٠

وفى عهد اسماعيل ونتيجة للأحداث الجســام التى مرت بمصر ، ظهرت الصحافة السياسية المتيقظة ومن هذه الصحف :

١ ـ صحيفة (وادى النيل) التى أنشأها الأديب عبد الله أبو السعود الذى يعد أول صحفى سياسى ظهر فى تاريخ مصر الحديث ٠ وعلى الرغم من كونه اديبا ومؤرخا ومترجما فان الناحية السياسية كانت غالبة عليه ، ولقد انشئت وادى النيل سنة ١٨٧٦ أى بعد أربع سنوات من بداية حكم اسماعيل وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع على شكل مجلة ٠ ولما غضبت الحكومة على سياستها أصدرت أمرا بتعطيلها سنة ١٨٧٢ ٠ أى أنها ظلت تصدر لمدة خمس سنوات ٠ وقد كانت لهذه الصحيفة مطبعة خاصــة بها اسمها مطبعة وادى النيل ٠

٢ ـ جريدة نزهة الأفكار التى أنشـــأها الأديبان ابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال سنة ١٨٦٩ ٠ وقد كان المويلحى جريئا فيما يكتبه من

مقالات وتعليقات وآراء فعطلها الخديوى اسماعيل بايعاز من وزير الحربية الذى توقع ماقد تحدثه من اثارة للخواطر وبلبلة للأفكار وكانت النزهة جريدة أسبوعية ولكنها لم تبق الا نصف شهر ٠ بعد أن صدر منها عددان ٠

٣ ـ جريدة الوطن التى انشاها ميخائيل عبد السيد سنة ١٨٧٧ وظلت تصدر الى ما بعد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ، ثم توقفت وعادت الى الظهور سنة ١٩٠٠ ٠

٤ ـ جريدة مصـر التى صدرت سنة ١٨٧٧ بادارة سليم النقاش وقد تولى تحريرها الشاب الثائر أديب اسحاق ٠ وكانت تصدر أسبوعية ٠ وبعد عام أصدرا معا بالاسكندرية صحيفة يومية اسمها التجارة ٠ وقد كان أديب اسحاق متأثرا بأفكار جمال الدين الافغانى وتعاليمه ٠ وكانت الجريدتان معرضا لآراء الأفغانى التحررية الثائرة مما جعل ولاة الأمور يتوجسون منه خيفة ٠ فعطلها رياض باشا سنة ١٨٨٠ ٠ وهكذا لم يطق الحكام بقاءهما أكثر من عامين أو ثلاثة أعوام ٠

٥ ـ جريدة روضة الأخبار التى كان يحررها محمد أنسى بن عبدالله أبو السعود وقد ظهرت بدلا من وادى النيل بعد تعطيلها ٠

٦ ـ وفى الاسكندرية أصدر سليم باشا الحموى جريدة باسم (الكوكب الشرقى) ولكنها لم تعمر طويلا ٠

٧ ـ أما جريدة الأهرام فقد اصدرها سليم تقـــلا ، وأخوه بشارة بالاسكندرية سنة ١٨٧٥ ٠ ثم نقلت بعد ذلك الى القاهرة وكانت أسبوعية فى أول أمرها ٠، ثم صدرت (صدى الأهرام) يومية ثم استقلت الأهرام بالظهور يومية ٠ ولم يبق الى اليوم من صحافة ذلك العهد البعيد الا هى٠

٨ ـ جريدة الاسكندرية صدرت سنة ١٨٧٨ لصاحبها سليم الحموى ولم تعمر طويلا ٠

٩ ـ جريدة (الكوكب المصرى) أصدرها الشيخ محمد وفا سنة ١٨٧٩ ٠

١٠ ـ جريدة (مرآة الشرق) ٠

١١ - صحيفة (أبو نضارة) أصدرها يعقوب صنوع سنة ١٨٧٧ . وكانت تقوم بدور المعارضة لسياسة الخديوى اسماعيل عن طريق الفكاهة والأسلوب الهزلى الذى يراد به الجد . ويقال انها صدرت بايعاز من السيد جمال الدين الأفغانى .

ويقول الكونت فيليب دى طـــرازى فى كتابه (تاريخ الصـــحافة العربية) « وقد بلغ مجموع الصحف منذ ظهور أول جريدة عربية عام ١٨٠٠ م حتى نهاية عام ١٩٢٩ م (أى فى مدة مائة وثلاثين عاما) ثلاثة آلاف وثلاثا وعشرين صحيفة ..

ومن دواعى الافتخار أن القطر المصرى كان سباقا فى مضمار الصحافة العربية (التنبيه) التى صدرت فى ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ فى الاسكندرية ، وجريدة الوقائع المصرية التى ظهرت فى كانون سنة ١٨٢٨ فى القاهرة(١) .

وأول من أستعمل لفظ الصحافة بمعناها الحالى كان الشيخ نجيب الحداد . وكان الصحفيون لا يفرقون فى أول الأمر بين الجريدة والمجلة فى الاستعمال فلما تولى الشيخ ابراهيم اليازجى ادارة صحيفة (الطبيب) البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتور بشارة زلزل والدكتور خليل سعادة ، أشار باستعمال لفظة مجلة قائلا عنها : انها صحيفة علمية ، أو دينية ، أو أدبية ، أو انتقادية أو تاريخية ، أو ما شاكل ذلك ، تصـــدر تباعا فى أوقات معينة . وبذلك ثبت هذا الاسم وتابعه فى ذلك جميع المجلات التى صدرت بعد مجلته ،كما اصطنعته الدوريات التى كانت قبلها .

وعندما أنشأ الشيخ ابراهيم اليازجى والدكتور بشارة زلزل مجلة البيان فى القاهرة ، قالا عن المجلة انها « جليس العالم ، وأستاذ المريد ، والموعد الذى يتلاقى فيه المفيد والمستفيد ، بل هى خطيب العلم فى كل ندوة ، وبريده الى كل خلوة والمشكاة التى تستصبح بها بصـــائر أولى

---

(١) مقدمة روضة المدارس ، ص ٩٢٨ .

الالباب ، والمنار الذى تأتم به المـــدارك اذا اشـــتبهت عليها شـــواكل الصواب »(١) ٠

ووظيفة المجلة كانت قامة فى حياة المجتمع العربى منذ القـدم ، وكانت هذه الوظيفة تؤدى بطرق تلائم العصور فمن ذلك مجالس الأدب والمناظرات والأمالى وتناقل الروايات ٠

والمجلة فى لسان العرب(٢) : الصحيفة فيها الحكمة ٠ كذلك روى بيت النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهـم ـ قويم فما يرجون غير العواقب

يريد الصحيفة ٠٠٠ وقال أبو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة ٠ وفى حديث سويد بن الصامت ، قال لرسول الله ﷺ : لعل الذى معك مثل الذى معى ، فقال : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان » ٠ يريد كتابا فيه حكمة لقمان ٠ ومنه حديث أنس : ألقى الينا مجال وهى جمع مجلة ــ يعنى صحفا ٠

« ومن الشائق أن كلمة Magazine التى يستعملها الانجليز وغيرهم بمعنى « مجلة » كلمة عربية الأصل ٠ وأول استعمال لها بمعنى الصحيفة الدورية المشتمل على مقالات فى موضوعات مختلفة كان فى سنة ١٧٣١ عندما ظهرت مجلة باسم The Gentelmen's Magazine ٠ وقـــد وصفت نفسها بأنها مجموعة شهرية تضم فيما يشبه المخزن مقالات فى الموضوعات التى ستتناولها بالكتابة ٠ وهذا المخزن الذى تشير اليه يرجع الى أن كلمة (مجـلة) استعملت فى أوربا أول مـــا استعملت بمعنى مخزن للبضائع نقلا عن الكلمة العربية مخزن ٠ وكان هـــذا الاستعمال شائعا فى الأسبانية والفرنسية ، ثم استعمل لخزان البندقية الذى يحتوى على عدة طلقات »(٣) ٠

---

(١) ن ٠ م ص ٩ ٠
(٢) لسان العرب ٠
(٣) مقدمة روضة المدارس ص ١٠ ٠

وقد مرت المقالة الحديثة باطوار : الطور الأول طور المدرسة الصحفية الأولى ويمثلها كتاب الصحف الرسمية التى أصدرتها الدولة أو أعانت على اصدارها ويمتد هذا الطور حتى الثورة العرابية • ومن أشهر الكتاب الذين شاركوا فى تحرير صحف هذه الفترة رفاعة الطهطاوى وحسين المرصفى ، وعبد الله أبو السعود ، وميخائيل عبد السيد ومحمد أنسى وسليم خورى ونجيب حداد ، وعلى مبارك وابراهيم اليازجى وغيرهم •

وقد نشروا مقالاتهم فى الصحف التى وجدت فى ذلك الوقت ومنها الوقائع المصرية ووادى النيل والوطن وروضة الأخبار ، ومرآة الشرق على التوالى وقد ظهرت المقالة فى هذه الفترة بصورة بدائية وكان أسلوبهم مليئا بالزخرفة والبديع المتكلف •

واهتمت هذه المقالات بالشئون السياسية أولا ثم بدأوا يتعرضون لبعض الشئون الاجتماعية والتعليمية •

وقد ظهرت فى هذه الفترة أول مجلة ثقافية علمية وهى مجلة (روضة المدارس) وأصدرها علمان من أعلام النهضة الحديثة فى بلادنا هما « على مبارك » ورفاعة رافع الطهطاوى •

وعندما صدر العدد الأول منها فى يوم السبت ١٥ من المحرم عام ١٢٨٧ من الهجرة الموافق ابريل سنة ١٨٧٠ م كانت تطرح هذا السؤال الهام : على أى منهج يكون تطورنا الحضارى ؟ هل نعود الى الماضى وننعم بالعيش فى فردوسه المفقود ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز قفزا الى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ونهمل كل مواريثنا الروحية والحضارية ؟

وكان الرد على هذا السؤال تجسده شخصية رفاعة رافع الطهطاوى فهذا الرائد العظيم ثمرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر ، فرفاعة تمتزج فيه الأصالة بالمعاصرة •

ولقد حدد على فهمى نجل رفاعة الطهطاوى الهدف من اصدار المجلة ، ورسم سياستها وحدد ميادين أعدادها من افتتاحية العدد الأول

وهى تدور حول (الاصالة والمعاصرة) قال على فهمى (هذه الصحيفة تتكفل ان شاء الله بانتشار الوان العرفان بين كل محب لاقتباس العلوم من أبناء الأوطان .. وعلى الخصوص بين أبناء المدارس المستظلين بظلالها الوارفة ، بما انطوت عليه من نشر الفوائد العلمية الفائقة وذكر جوامع الكلم الحكمية الرائقة ، ورقائق الفضــلاء العصريين ، ودقائق العلماء الماضين ، حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم وتمتلىء من زواهر الفنون وجواهر العلوم حقيبة عقولهم » .

وتحلقت حول رفاعة مجموعة رائدة من العلماء والمفكرين والأدباء والدارسين أسهموا معه فى تحرير المجلة ، وتاثروا به وبشخصيته المشعة الباهرة وتحولت الروضة الى معرض أنيق عميق لكل هذه العقول الراجحة المستنيرة وضمت الدراسات العلمية فى مختلف مجالات العلوم من رياضة وكيمياء وطب وعلوم عسكرية وعلوم اجتماعية وزراعة ونبات .

وتلألأت بالدراسات الأدبية واللغـــوية ، وحفلت بالفكاهة والالغاز والروايات والقصص والشعر .

وقد رادت هذه المجلة عـــدة ميادين فكرية وعلمية وأدبية : فعلى صفحاتها بدأت الحركة العلمية والفكرية تشق طريقها ، وعلى صفحاتها كتب « الحسين المرصــفى » ، « على فهمى » ، و« محمد ســـعيد » دراسات فى النقد الأدبى وكتب « صالح مجدى » ما اســـماه المقـالات الأدبية ، ومن الممكن أن نلتمس فيما كانت تنشر من ألغاز بداية الفكاهة فى الصحافة العربية ، كما كانت رائدة فى تعريف كثير من المصطلحات العلمية فى مجال الطب والهندسة والعلوم .. الخ ، وقد استنت فكرة الملاحق فى آخر أعدادها فكانت تنشر كتابا مؤلفا أو مترجما ينجم على أعداد المجلة وأسهمت فى ترجمة روائع الفكر العالمى الى اللغة العربية .

وبطبيعة الحال كان الأسلوب المتانق هو المستخدم فى هذه المجلة فهو الذى يمثل العهد الذى نشـات فيه . جاء فى الســـطور الأولى من افتتاحية المجلة تمجيدا لمصر واشادة بموقفها وسمو درجتها فى الحضارة مما جعلها (مباهية لغيرها من سائر الممالك ، مهتدية بانور المعارف الى

أعظم المسالك فقد اهتدى فيها كل سار بنور نار قراه ، وحمد فى مبدأ الغاية عاقبة سراه ، وزال تقتير فتور الهمة السابقة ، بتعزيز وفور النعمة اللاحقة ، وتنافس المتنافسون فى اكتساب العلوم والفنون ، وولع كل ذى همة سباقة ، ونفس تائقة مشتاقة ، باستخراج نفيس جوهرها المكنون ، وشتان بين اللاهى والمتذكر ، والساهى والمتفكر والمهتدى والتائه المتحير، والمظلم الحالك والمشرق المنير ٠ وما يستوى الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور) - وبعد مدح الخديوى اسماعيل على أنه صاحب الفضل فى انشاء هذه المجلة - على الرغم من أنها كانت من ثمار تفكير على مبارك باشا وزير المعارف - انتقل كاتب الافتتاحية الى بيان رسالة (روضة المدارس) قائلا : (وان جل مرغوب ديوان المدارس المصرية - اعتمادا على مساعدة العناية الخديوية ، تعميم العلوم وتتميم المعارف ، وانتشار الفنون واكثار اللطائف ، ومداولتها بين جميع أبناء الوطن ، وتسويتهم فى الورود على مستعذب هذا المشرع الحسن ، وابراز الوسائل المعينة على جلب قطافها بدون كبير مشقة ، واحراز الوسائط المسهلة لجذب أطرافها ولو بكثير نفقة ، فكان ذلك مطمحا لأنظار ديوان المدارس الملكية وأن يكون جاريا على سنن مرغوب الحضرة الخديوية العلية ، وأن يسدد سهم عزمه لاصابة الصالح والأصلح من الأعمال ويبذل همته فى اختيار الناجح والأنجح فى الحال والاستقبال ، مما يكون فيه نفع للديار الوطنية ، ووقع فى استكثار وسائل المدنية) ٠

ثم يكشف عن موضوعات الروضة وميادين الكتابة فيها ومواد تحريرها ٠ كما يكشف عن بيان لغتها السهلة العبارة ، الفصيحة الألفاظ ، السلسة التراكيب الغزيرة المعانى ، البعيدة عن التكلف ، تقريبا للعامة٠ وبعد هذا الأسلوب المرصع المسجوع الذى كان هم الكتاب فى ذلك العصر، ينتقل محرر الافتتاحية الى الأوساط التى أعدت المجلة لتقع فى أيديهم وتوزع عليهم ٠ وخاصة طلبة المدارس الذين ما أنشئت الروضة الا لهم ولا اقترحت الا من أجلهم ٠

ويكشف المقال الافتتاحى بعد ذلك عن منهج الروضة فى الابتعاد عن الاشتغال بالسياسة ، كما يعلن أن ادارتها تحت نظارة ديوان المدارس أى نظارة المعارف ، وأن المجلة ستصدر كل نصف شهر ، أى أنها سيصدر

منها فى كل شهر عددان . ولم يفت كاتب المقال الافتتاحى أن يغـــرى القراء باقتطاف ثمار هذه الروضـــة ، وأن يشجعهم على الحرص على تناولها والتقاط فوائدها قائلا : (فقد آن لكل ذى سعى جميل هام فى عشق بثينة المعارف ، وحان لكل ساع بكعبة حسنها وطائف ، أن يزاحم بمنكبيه ، ويتناول من مواد فوائد هذه الصحيفة ما يشتاق الانفس بيديه، ويتيقن أنه اهتدى للشاردة المطلوبة والآبدة المرغوبة ..) .

وانتهز كاتب المقال الفرصة للاشادة بفضل على باشا مبارك ناظر المعارف فى انشاء (دار الكتب) التى هى فى الوقت نفسه روضة فكرية أخرى يقتطف المترددون عليهـــا من ثمارها ، ويجمعون من نفائسها ما تتسع به دائرة معارفهم . ومن هنا اهتمت مجلة روضة المدارس بدار الكتب وأخبارها ، وأسماء مطبوعاتها حتى لا يفوت القارىء الانتفاع بها. وفى الغالب أن كاتب هذا المقال هو على فهمى رفاعة رافع الطهطاوى .

وقد صدر العددان الأول والثانى من الروضة بدون فهرس فيهـــا للمقالات ولأصحاب هذه المقالات ، ثم بعد ذلك صنعوا فى الصفحة الثانية من كل عدد فهرسا بالمواد التى يشتمل عليها العدد مبينا رقم الصـفحة وعنوان المقال ، واسم الكاتب مع التعريف به فى أغلب الأحيان .

وجرت مجلة روضة المدارس على نشر المقالات المطولة والدراسات المفصلة تباعا فى أعداد متتالية ، وكان كل مقال أو بحث يوضع فى نهايته عبارة (بقية تأتى) حتى يأتى ختام البحث كله فترفع هذه العبارة اشارة الى أنه انتهى . ولعل أغـــرب شىء فى تبويب المجلة هو أن المقـــالات والفصول لا تبدأ دائما فى رؤوس صفحات جديدة .

ولقد كانت روضة المدارس تشتمل على بعض الاعلانات .

ويدرك كل من يلقى نظرة على أعداد مجلة روضة المدارس أن عناوين المقالات والفصول فيها تمتاز بالطول وعدم الايجاز ، مما قد يبعث فى نفس القارىء الملل .

ومن أمثلة ذلك هذا العنوان (نبذة مفيدة تتعلق باعتناء الانكليز

الآن بتنظيم دار كتبهم وتعميرها بالكتب المتنوعة العديدة) - أو (تذييل رسالة الافتخار بين الدرهم والدينار الواردة فى العدد ٢٤ بتراجم من سبق لهم فيها محاسن أشعار ..) .

ولم تجر الروضة على تخصيص ترتيب معين لموضوعاتها . فتارة يسبق مقال أدبى مقالا فى الزراعة ، وتارة يسبق مقال فى الصناعة مقال فى الأدب وطورا يكون مقال فى التاريخ ســابقا على مقال فى اللغة ، وطورا يقدم الشعر على النثر ، وطورا يقدم النثر على الشعر ..

ومما يلفت النظر فى مجلة روضة المدارس وجود لفظة (المقالة) اشارة الى ما ينشر فيها سواء أكان الموضوع أدبيا أم علميا .

ولم يترك تحرير مجلة روضة المدارس المقالات والقصص والقصائد تقدم نفسها بنفسها من غير حاجة الى عبارة تمهد بها بين يدى القارىء ؛ ولكنها آثرت أن تقدم بين يدى كل بحث أو شعر أو حتى مسألة حسابية أو لغز بكلمة لطيفة كلها ثناء على الكاتب وتعريف وجيز به ، وقد يكون فيه تلخيص دقيق للمقال المقدم له . وهذه الطريقة فى مبالغتها فى الثناء على الكاتب ، وفى بيان مضمون المقال تجذب نظر المتصفح للمجلة من أول وهــلة .

وهذه المقدمات أيضا كانت لغتها مسجوعة ، كما تمتاز بالمغالاة فى تقريظ الكاتب أو الشاعر أو المعرب والثناء عليه وذكر عمله . كما كانت تزدحم بألون الزينة والزخرف فى القول ، والمحسنات البديعية .

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى العدد العاشر من السنة الأولى ، نشرت روضة المدارس قصيدتين للشــاعرين الأديبين عبد الله فكرى (بك) ، والسيد صالح مجدى بك ومعهما التقديم التالى (من أكرم الخلال مدح من حسنت سيرته ، وأحسن الفعال حمــد من طابت سريرته ، وذلك سـنة متاكدة سنها الأولون ، بل غريزة أصلية جبل عليها العالمون .

فلا غرو أن تهدى المدائح الآن لوزير عصره ، وظهير الخديوى فى مصره ، الذى أجمع على حبه الاقارب ، والأجانب ، واجتمعت الآراء على

مدحه من كل جانب حضرة الوزير الأكرم والمشير المفخم صاحب السعادة والدولة ، ولى عهد الخديوية الجليلة المصـــرية . فمن ذلك قصـــيدتان كأنهما يقوتتان أخرجتا من كيس دهقان ، أولاهما همزية غراء سجعت على أغصان ألفاتها حمامة ورقاء ، من نظم لسان العرب وترجمان الأدب، حضرة عبد الله فكرى بك . وثانيتهما سينية لحضرة السيد صالح مجدى بك وكيل أدارة المدارس الملكية ، ثم اقتفيت بهى أثرهما وارتويت من شهى كوثرهما بقصيدة لامية ، لعلمى أن المورد العذب كثير الزحام ، وأن الحضرة التوفيقية ممن تفتخر بمدحه سام وحام ...) .

ولقد اشتملت روضة المدارس على المقالات الأدبية ومنها(١) :

ـــ المقالة التعليقية : وهى التى تتنـــاول أمرا من الأمور الأدبية (الثقافية) بالتعليق .

ـــ والمقالة الحوارية : وهى تتناول الأحـــاديث الأدبية والثقافية التى تدور بين أديبين أو أكثر فى شأن من الشئون الأدبية .

ـــ والمقالة الموضوعية : وهى المقالة التى تتناول موضوعا أدبيا أو لغويا بصورة عامة ولا ترقى الى مستوى النقد والدراسة الأدبية .

ـــ والمقالة الفكاهية : وهى التى تتناولتجربة أو خاطرة أو فكرة وتصوغها فى أسلوب فكاهى ، ولا تستهدف توضيح فكرة نقدية أو دراسة أدبيـــة .

من أمثلة (المقالة التعليقية) عندما انشئت دار الكتب ، كتب على باشا مبارك تسجيلا لهذا الحدث وعلق على فكرة انشاء المكتبات العامة ، وضرورتها فى ترقية العقول وتهذيب النفوس ، والارتفاع بالذوق العام .

بدأ على مبارك مقاله بقوله : لا يخفى على كل ذى بصيرة ، وفكرة وقادة مستنيرة ، أن الحوادث التى توالت على الديار المصرية ، واغارت عليها بعد المصاريف العكسية والجزئية ، فى المدد السابقة ، التى كانت أخطار الفتن هائلة ومترادفة ، وامطـــار الشرور هائلة ومتواكبه ، لم

---

(١) روضة المدارس دراسة نقدية تحليلية ، ص ١٥٩ .

تكتف بتخريب المساكن وتدمير الساكن ، بل سـطت عقباتها على كنوز العلوم والفنون فسلبت نفيس جوهرها المكنون »(٢) .

وبعد أن تحدث عن التاخر الحضارى الذى ألم بالأمة أشـار الى دواعى النذهضة التى بدات أسبابها فى الظهور ، ثم أشار الى انشاء دار الكتب لتكون مركزا للحركة العلمية « يأوى اليها محبو الاطلاع ، ومن فيهم رغبة لتحصيل شوارد العلوم ، ولهم فى تقييد أوابدها دارة اتساع وقد تأسست دار الكتب الخديوية فى سراى درب الجماميز وتهيات بأحسن هيئة ، وتجهزت بأعظم تجهيز ، وعما قريب تفتح للطلاب وتكون لمن يرغب فى الدخول حاسرة النقاب ، ليس عليها حجاب »(٣) .

وهكذا نجد طريقة تناول المقالات الأدبية متعـددة متنوعة حسب الموضوعات وطبيعتها ولكن الأمر الذى لا يختلف هو هذا الأسلوب الذى اتبعه كل كتاب العصر بما فيه من سجع وترصيع .

وكان للمقالات الادبية التى نشرتها روضة المدارس دور فى تنمية الذوق الأدبى،كما أنها فتحت الآفاق أمام الشباب من الجيل الجديد للتعبر عن النهضة الثقافية ، وكذلك كان شأن المقالات التى اهتمت بالدراسات النقـدية .

ويمكن أن نوضح تأثير هذه المجلة الرائدة :

أنها هيأت المناخ لوحدة العرب الثقافية والفكرية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، كما أثرت اللغة العربية بمجموعة من مصطلحات العلوم والفنون نتيجة الترجمة والتعـريب ونقل منجزات الحضـارة الحديثة الى العربية .

أسهمت أيضا فى تطوير الصحافة الأدبية بما خطته من تقاليد جديدة واحتشاد علمى وأدبى وفنى ، واخراج جديد اعتبر فى ذلك الوقت قفزة واسعة فى الصحافة .

---

(٢)و(٣) روضة المدارس السنة الاولى العدد الاول ص ٧ ، ص ٩ .

كذلك أسهمت فى تطوير كل المجالات العلمية والأدبية مثل مجال الأدب والنقد ، فلقد كان لهذه المجلة اثرها البالغ على الدارسين والشعراء من أمثال شوقى ومصطفى صادق الرافعى وطه حسـين ، مصطفى عبد الرازق والزيات ، وأمين الخولى ٠

كما أثرت فى مجال الطب والكيمياء والزراعة والصناعة والمخترعات والتاريخ والتربية وعلم النفس والفلسفة ٠ والأخلاق ٠

فوجهت الاهتمام الكبير الى كتابة المقالات فى كل المجالات ٠

والطور الثـــانى :

ظهرت فيه المدرسة الصحفية الثانية التى تأثرت بدعوة جمال الدين الأفغانى ، وبنشأة الحزب الوطنى الأول وبروح الثـورة والاندفاع التى سبقت الحركة العرابية وكان للمدرسة السورية المتمصرة يد لا تنكر على تطوير المقالة فى هذه المرحلة من حياتها • وقد برز فى هذه المدرسـة عدد من الشخصيات التى ارتبط تاريخهـــا بتاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ومنهم أديب اسحاق وسليم النقاش وسعيد البستانى وعبد الله نديم ومحمد عبده وابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال وعبــــد الرحمن الكواكبى وبشارة تقلا •

وقد تخلصت هذه المدرسة من قيود السجع الى حد بعيد وأخذت تقترب من الشعب شيئا •

يقول د• أحمد هيكل (•• لم يكن من الممكن أن يتجهـــوا الى جمهور المواطنين عن طريق الصحف بتلك اللغة المتكلفة المتلاعبة الملتوية الثقيلة ، لأنها عاجزة عن علاج المشكلات أولا ثم لأنها لن تفهم من جمهور القراء ثانيا • وكان الوعى قد لفت الأنظار الى التراث العربى النثرى المشرق ، وأدرك الرواد من الكتاب ما فى هذا النثر من ترسل وبســاطة وحرية وقوة وكان قد أذيع ضمن ما أذيع من تراث - آثار نثرية جيدة يمكن أن تكون أنماطا للكتابة التى يجب أن توجـــه الى الجماهير عن طريق الصـــحف ، كبعض كتب ابن المقفع ، وكبعض آثار ابن خلدون فأخذ الرواد من المثقفين المصريين يكتبون موضـــوعات فى السياســـة والاجتماع والدين ، بهذه اللغـــة الجانحة الى الموضـوعية والوضـــوح والترسل ، وهم فى ذلك مراعون لمقتضيات الصحافة وتحديد أنهرها ، ومستوى قرائها ، ووسائل تأتيها • فكانت من هـــذه الكتابات المقالات الحقيقية الأولى فى الأدب الحديث »(١) •

وقد كان يؤازر المصريين ويشاركهم فى تلك الحركة - اخوانهم من مهاجرى الشام المسيحيين ، كما كان يوجههم جمال الدين الأفغانى ذلك

---

(١) تطور الادب الحديث فى مصر : ٢٧٠ •

المصلح الغيور - ومن هنا ولدت المقالة فى الوانها السياسية والاجتماعية والدينية حيث وجدت موضوعات عامة تدعو الى الكتابة ووجـــد جمهور كبير يتجه اليه الكتاب كما وجدت صحف تنقل هذه الكتابات الى أكبر عدد من المتلقين من متلعمين ومن مستمعين للقــراء من الأميين . ومن هنا وجدنا المقالات تميل الى الموضوعية فى الأغراض والأسلوب وقد كان لانتشار الصحافة - وأسـهام المهاجرين الشـــوام وتوجيهات الأفغانى - واحياء التراث العربى القديم أثر كبير فى المقالة الحديثة .

وقد كان من أوائل الرواد - الذين خلصوا المقالة من القيود واغلال الترصيع والمحسنات - الشيخ محمد عبده وله اثر كبير فى تخليص لغـــة النثر من الأثقال والتفاهات .

والشيخ بدأ مقالاته باسلوب المحسنات ثم استجاب لدعوة الأفغانى فى وجـــوب الترســـل كما قرأ بعض التـــراث البعيـــد عن الزخرف كمقـــدمة ابن خـــلدون وفتن باســـلوبها المرســـل القـــوى المعبـــر ، فلما اسند اليه تحرير الوقائع المصرية فى عهد الخديوى توفيق عمل على تخليص كتاباتها من أنصار التقليـــدية المتخلفة(١) فكان يكتب كتـــابه بموضوعية حية ، كما كان يحث الآخرين من كتاب جريدة الوقائع وغيرها على الأخذ بهذا الأسلوب الحى المرسل .

وأسلوب المقالة فى تلك الفترة لم يسر على طريقة واحدة أو شكل واحد بل اختلفت أشكاله نظرا لاختلاف الكتاب وثقافتهم أولا ، ثم نظرا لاختلاف الموضوع المعالج « فحين يكون الكاتب ذا ثقافة فكرية يغلب على أسلوبه الجانب الذهنى والقرب من القضـــايا المنطقية ، وما فيها من استدلال واحتجاج ، وحين يكون الكاتب ذا ثقافة فنية يغلب على أسلوبه طابع التصوير والخيال والشاعرية ، وخاصة اذا كان الموضوع على حظ من العاطفة يحتمل ذلك »(١) .

ومن أمثلة مقالات تلك المرحلة هذه المقالة للشيخ محمد عبده نشرت

---

(١) تطور الادب الحديث فى مصر : ٧٣ .

(١) ن٠م : ٧٤ .

فى الوقائع ونجد أسلوب الشيخ يتميز بالترسـل والموضوعية والبساطة وعنوان المقالة (خطأ العقلاء) ، وهى مقالة اجتماعية نفسية :

يقول الشيخ (ان كثيرا من ذوى القرائح الجيدة اذا أكثروا من دراسة الفنون الأدبية ، ومطالعة أخبـار الأمم وأحوالهم الحاضرة تتولد فى عقولهم افكار جليلة ، وتنبعث فى نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التى ينبغى أن يكون العالم عليها ولكونهم اكتسبوا هذه الأفكار ، وحصلوا تلك الهمم من الكتب والأخبار ومعاشرة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذى وصلوا اليه وساير العـالم بأسره ، أو الأمة التى هم فيها بتمامها على مقتضى ما علموه - هو أمر سهل - ، مثل سهولة فهم العبارة عليهم ، وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من أيديهم ، والألفاظ فى أسماعهم ، فيطلبون من الناس طلبا حاثا ، أن يكونوا على مشاربهم ، ويرغبون أن يكون نظام الأمة وناموسها العام على طبق أفكارهم ، وان كانت الأمة عدة ملايين ، وحضرات المفكرين أشخاصا معدودين ، ويظنون أن أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب والدفاتر ، ووضعت أصولا وقواعـد لسير الأمة بتمامها ، ينقلب بها حال الأمة من أسفل درك فى الشقاء الى أعلى درج فى السيادة وتتبدل العادات وتتحول الأخلاق ، وليس بين غاية النقص والكمال الا أن ينادى على النـاس باتباع آرائهـم ، تلك ظنـونهم التى تحـدثهم بها معارفهم المكتسـبة من الكتب والمطالعات . وانهم ان كانوا أصابوا طرفا من الفضل من جهة استقامة الفكر فى حـد ذاته ، وارتفاع الهمة وانبعاث الغيـرة ، لكنهـم أخطأوا خطأ عظيما من حيث أنهم لم يقارنوا بين ما حصلوه ، وبين طبيعة الأمة التى يريدون ارشادها ، ولم يختبروا قابلية الأذهان واستعدادات الطبائع للانقياد الى نصائحهم ، واقتفاء آثارها »(١) .

وهذا المقال يعد من المقالات الاجتماعية وقـد تناول فيـه الشيخ شخصية المثقف الذى يرسم القواعد والقوانين نظريا دون التعـرف على

---

(١) أدب المقالة الصحفية د. عبد اللطيف حمزة ٢ : ٨٣ وما بعدها .

الامكانات المتاحة لأفراد الشعب فليس كل ما يرسم من قواعد لاصلاح فساد المجتمع واخلاقياته يمكن تطبيقه وتنفيذه . وتنفيذ هــذا الأمر لا يحتاج فقط الى الاطلاع وكثرة الكتب والترتيب المنطقى ، وانما يحتاج دراســة لنفسية طوائف الشعب وخصائصه وممارسة الاحتكاك مع هذه الطوائف ومعاملتها للتعرف على امكاناتها ولكن بعض المثقفين لا يدركون أهمية ذلك ولذلك هم فقط يرسمون الخطط للاصلاح ولا يمكن أن يحدث اصلاح بهذه الطريقة ـ هذا ما تناوله الشيخ بأسلوب المقالة الصحفية الحديثة من حيث الطول والافكار والأقسام والأسلوب الذى يتميز بالوضوح والسهولة.

ومن أمثلة المقالات الاجتماعية فى هذا الطور مقالة لعبد الله النديم ت ١٨٩٦ هدف فيها الى تثقيف الشعب وحل مشكلاته الاجتماعية وقــد تحرر فيها من أسلوب السجع والبديع والتكلف يقول من مقالة بعنوان (عربى تفرنج) : « ولد لبعض الفلاحين ولد ، فسماه زعيطه ، وتركه يلعب فى التراب ، وينام فى الوحل ، حتى صــار يقــدر على تسريح الجاموسة فسرحة مع البهائم الى الغيط ، يسوق الساقية ، ويحول الماء ، وكان يعطيه كل يوم أربع حندويلات ، وأربع أمخاخ بصل ، وفى العيد كان يقدم اليخنى ليمنعه ان يأكل اللحم بالبصل ، وبينما هو يســوق الساقية ، وأبوه جالس عنده مر بهما أحد التجار ، فقال لأبيه : لو ارسلت ابنك الى المدرسة ليتعلم ويصير انسانا ، فأخذه وسلمه الى المدرســة ، فلما اتم العلوم الابتدائية أرسلته الحكومة الى أوربا ، وبعد أربع سنين ركب الوابور ، وجاء عائدا الى بــــلاده ، فمن فــرح أبيه حضر الى الاسكندرية ، ووقف بمصيف الجمرك ينتظره ، فلما خرج من « الفلوكة » قرب أبوه ليحتضنه ويقبله شان الوالد المحب لولده ، فدفعه فى صدره ».

وعبد الله النديم يسخر فى هذا المقال من الفتى الذى ملأه الكبر فلم يوافق على أن يحتضنه والده وتجرد من عاطفة حب الأب كما نسى تقاليد بلدة وقد عرض الكاتب هذا المقال بأسلوب ساخر ، وبأسلوب القصة واستخدم الألفاظ العامية فيه كى يفهمه أهل الريف الذين يخاطبهم والذين انتشرت فيهم هذه الظاهرة .

وهنا نرى كيف أن المقال أخذ من فنون النثر الأخرى أسسها وطرقها

فهنا اعتمد على أسلوب القص وفى أوقات أخرى قد يجـــرى حوارا أو يستخدم غير ذلك من أساليب الأدباء · ونلاحظ أن هذا الموضوع احتــاج اليه الشعب فى وقت بــدأ ينتشر التعليم وترســـل البعثات الى الخارج ويتنصل الأبناء من ارتباطهم بأهلهم وأوطانهم ·

والطور الثـالث :

بدأ خلال الربع الأول من القرن العشرين وفى تلك الفترة ظهـــر النضج السياسى والوعى الاجتماعى وبدأت تظهر مشـــاعر الشعب تجاه الاحتلال الانجليزى ، وسيطرة الأتراك،ورغبة الجميع فى تحرير الوطن من الأجانب، ثم ان المعارك والصراعات الجديدة التى وقعت فى تلكالفترة كان لها تاثير كبير فى تطور المقال من ذلك احتدام المعارك بين الكتاب حول الثقافة الأوربية التى سادت البلاد وحرية المرأة وتثقيفها وغير ذلك من القضايا الملحة والتى كانت تحتاج الى المناقشة والتماس الحل لهـــا وأهم الكتاب فى تلك الفترة على يوسف ، ومصطفى كامل، وعبد العزيز جاويش ، وولى الدين يكن ، وسليم سركيس ، ومحمد رشيد رضا ، وخليل مطران ونجيب الحداد ، وأمين الحداد ، ولطفى السيد ، ومحمد مسعود، ومصطفى لطفى المنلفوطى · وهؤلاء الكتاب تاثروا بالنزعات الوطنية والاصلاحية التى سبقت وبالنزعات الحزبية التى تلت ذلك · وقد ظهر فى هذه الفترة أحزاب ثلاثة هما : الحزب الوطنى سنة ١٩٠٦ بريادة مصطفى كامل وصحيفته اللواء ، وحزب الأمة ١٩٠٧ بزعامة احمد لطفى السيد ، وحزب الاصلاح باشراف على يوسف سنة ١٩٠٧ وصحيفة المؤيد ·

وقد تطور فى هذا الطور فن المقال تطورا كبيرا ووصل الى درجة عالية من الرقى واكتملت أصوله الفنية وظهرت أنواعه المختلفة وشارك فيه بعض الشعراء المشهورين من أمثال أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ·

أما أسلوب المقال فقد تخلص من البديع واعبائه واهتم بالجانب الفكرى فمالوا الى الموضوعية واصـــطناع المنطق وجنحوا الى الوضـــوح والدقة الى جانب أن بعضهم اهتم اهتماما كبيرا بالثقافة والفكر الغربى ومن أمثلتهم احمد لطفى السيد ومن مقالاته ما كتبه بعنوان « غرض الأمة

هو الاستقلال » يقول « استقلال الأمة فى الحياة الاجتماعية ، كالخبز فى الحياة الفردية ، لا غنى عنه ، لأنه لا وجود الا به . وكل وجود غير الاستقلال مرض يجب التداوى منه ، وضعف يجب ازالته ، بل عار يجب نفيه ... استقلال الأمة عمن عداها ، أو حريتها السياسية حق لهـا بالفطرة لا ينبغى لها أن تتسامح فيه ، أو أن تفنى فى العمل للحصول عليه ، بل ليس لها حق التنازل عنه لغيرها ، لا بكله ولا بجزئه لأن الحرية لا تقبل القسمة ولا تقبل التنازل فكل تنازل من الأمة عن حريتها — كلها أو بعضها — باطل بطلانا أصليا ، لا تلحقه الصحة بأى حال من الأحوال فلا جرم مع هذا المبدأ المسلم به عند علماء السياسة أن قلت : انه يجب على الأمة أن توجه كل قواها بغير استثناء للحصول على وجودها ، أى الحصول على الاستقلال »(١) .

والى جانب هذا الاتجاه وجد اتجاه آخر ، ذلك هو النثر المرسل الذى خلقته عصور الازدهار العربية ويمثل هذه الطريقة المنفلوطى وهو الى جانب محافظته كان لديه الكثير من الابداع والأصالة .

وطريقة المنفلوطى لها سمات أسلوبية واضحة أهمها البعد عن التكلف والنأى عن التقليد والقصد الى الصدق والاهتمام بحسن الصياغة وجمال الايقاع ورعاية الجانب العاطفى ، ثم الميل الى السهولة والترسل وترك التعقيد والمحسنات فيما عدا السجع المطبوع الذى يأتى بين الحين والحين للاسهام فى موسيقى الصياغة(٢) .

ويمثل تلك الطريقة مقالات المنفلوطى التى كان ينشرها فى المؤيد والتى جمعها بعد ذلك فى ثلاثة مجلدات باسم النظرات وهى مقالات فى الأدب والأخلاق والاجتماع .

وطريقة المنفلوطى كانت تمثل اتجاها وجد فى هذه الفترة فى كتاب المقال ولكنها لم تكن الطريقة المثلى فى الكتابة فقد عيب عليها الاهتمام

---

(١) تطور الادب الحديث فى مصر ١٧٣ .

(٢) مقدمة النظرات .

البالغ بالأسلوب وفقر الجانب الفكرى والمبالغة فى اصطناع الأسى واثارة العاطفة ثم عدم الدقة فى الاستعمال اللغوى أحيانا والميل الى حشــد الألفاظ المترادفة والعبارات المكملة والكلمات المؤكدة دون حاجة الى ذلك يقتضيها الموقف أو تحتاجها الفكرة (١) ٠

قال فى نظراته من مقال بعنوان أيها المحزون (ان كنت تعلم أنك قد أخذت على الدهر عهـــدا أن يكون لك كما تريد فى جميع شــئونك وأطوارك ، والا يعطيك ولا يمنعك الا كما تحب وتشتهى فجدير بك أن تطلق لنفســـك فى سبيل الحزن عنانها كلما فاتك مارب ، أو استعصى عليك مطلب ٠ وان كنت تعلم أخلاق الايام فى أخذها وردها وعطائها ومنحها ، وأنها تنام عن منحة تمنحها ، حتى تكر عليها راجعة فتستردها ، وأن هذه سنتها وتلك خلتها فى جميع أبناء آدم ، سواء فى ذلك ساكن القصر وساكن الكوخ ٠٠ فخفض حزنك وكفكف من دمعك فما أنت أول غرض أصابه سهم الزمان ، وما مصابك بأول بدعة طـريفة فى جريدة المصائب والأحزان ٠

أنت حزين لأن نجما زاهرا من الأمل كان يتراءى لك فى سماء حياتك فيملأ عينيك نورا وقلبك سرورا ، وما هى الا كـــرة الطرف أن افتقدته فما وجدته ، ولو أنك أجملت فى أملك لما غلوت فى حزنك ، ولو أنك أنعمت نظرك فيما تراءى لك ، لرأيت برقا خاطفا ما تظنه زاهرا وهناك لا يبهرك طلوعه فلا يفجعك أقوله ٠

أسعد الناس فى الحياة من اذا وافته النعمة تنكر لها ، ونظر اليها نظر المستريب بها وترقب فى كل ساعة زوالها وفنائها فان بقيت فى يده فذاك ، والا فقد أعد لفراقها عدته من قبل)(٢) ٠

وكثير من مقالات المنفلوطى أدبية ذاتية تأملية نفسية كما أنه يستخدم الأسلوب القصصى فى كثير من مقالاته ٠ وقد يهدف الى الاصلاح الاجتماعى والدينى ٠

---

(١) تطور الادب الحديث فى مصر ١٦٧ ٠

(٢) النظرات ، ج ١ ، ص ٦١ ٠

قال فى مقال بعنوان الحجاب :

« لقد كنا وكانت العفة فى سقاء من الحجـــاب موكوء فمازلتم به تثقبون فى جوانبه كل يوم ثقبا والعفة تتســـلل منه قطرة قطرة حتى تقبض التكرش ، ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة » .

« عاشت المرأة المصرية حقبة من دهرها هادئة مطمئنة فى بيتها راضية عن نفسها وعن عيشها ترى السعادة كل السعادة فى واجب تؤديه لنفسها أو وقفة تقفها بين يدى ربها أو عطفة تعطفها على ولدها ، أو جلسة تجلسها الى جارتها تبثها ذات نفسها وتستبثها سريرة قلبها ، وترى الشرف كل الشرف فى خضـــوعها لأبيها وائتمارها بأمر زوجها ونزولها عند رضاهما . وكانت تفهم معنى الحب وتجهل معنى الغرام فتحب زوجها لانه زوجها كما تحب ولدها لانه ولدها ، فان رأى غيـــرها من النساء أن الحب أساس الزواج رأت هى أن الزواج أساس الحب فقلتم لها : ان هؤلاء يستبدون بأمرك من أهلك ليسوا بأوفر منك عقلا ولا أفضل رأيا ، ولا أقدر على النظر النظر لك من نظرك لنفسك ، فلا حق لهم فى هذا السلطان الذى يزعمونه لأنفسهم عليك ، فازدرت أباها ، وتمردت على زوجها وأصبح البيت الذى كان عرسا من الأعراس الضاحكة مناحة قائمة لا تهدأ نارها ولا يخبو أوراها .

وقلتم لها لابد أن تختارى زوجك بنفسك حتى لا يخدعك أهلك عن سعادة مستقبلك ، فاختارت لنفسها أسوأ مما اختار لها أهلها ، فلم يزد عمر ســـــعادتها على يوم وليلة ثم الشـــقاء الطويل بعـــد ذلك والعذاب الأليم .

وقلتم لها : ان الحب أساس الزواج فمازالت تقلب عينيها فى وجوه الرجال مصعدة مصوبة حتى شغلها الحب عن الزواج .

وقلتم لها : ان سعادة المرأة فى حياتها أن يكون زوجها عشيقها

---

(٢) الصفوة الحجاب ، ص ٥١ أوكى القربة شد رأسها بالوكاء والوكاء الرباط.

وما كانت تعرف الا أن الزوج غير العشيق فاصبحت تطلب فى كل يوم زوجا جديدا يجى من لوعة الحب ما أمات الزوج القديم ، فلا قديما استبقت ولا جديدا أفادت .

كذلك انتشرت الريبة فى نفوس الأمة جميعا وتمشت الظنون من رجالها ونسائها ، فتعاجز الفريقان ، واظلم الفضاء بينهما وأصبحت البيوت كالأديرة لا يرى فيها الرائى الا رجالا شرهيين ونساء عانسات .

ذلك بكاؤكم على المـــرأة أيها الراحمون ، وهـــذا رثاؤكم لهـــا وعطفكم عليها .

نحن نعلم كما تعلمون أن المرأة فى حاجة الى العلم فليهذبها أبوها فالتهذيب أنفع لها من العلم ، والى اختيار الزوج العادل الرحيم فليحسن الآباء اختيار الأزواج لبناتهم وليجمل الازواج عشرة نسائهم والى النور والهواء تبرز اليهما وتتمتع فيهما بنعمة الحياة فليأذن لها أولياؤها بذلك وليرافقها رفيق منهم فى غدواتها وروحاتها ، كما يرافق الشاه راعيها خوفا عليها من الذئاب . فان عجزنا عن أن تأخذ الآباء والاخوة والازواج بذلك فلننفض أيدينا من الأمة جميعها نسائها ورجالها فليست المرأة بأقدر على اصلاح نفسها من الرجل على اصلاحها انا نضرع اليكم باسم الشرف الوطنى والحرمة الدينية أن تتركوا البقية من نساء الأمة مطمئنات فى بيوتهن ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتهم من قبلهن فكل جرح من جروح الأمة له دواء الا جـــرح الشرف ، فان ابيتم أن تفعلوا فانتظروا قليلا ريثما تنتزع الأيام من صدوركم هذه الغيرة التى ورثتموها عن آبائكم وأجدادكم لتستطيعوا أن تعيشـــوا حياتكم الجديدة ســـعداء أمنين »(١) .

وهذه المقالة رد على من نادى بتحرير المرأة ، وقد رد الكاتب على هذه الدعوى من منطلق آراء المواطن المسلم المحافظ الذى لا يقبل تقليد الغرب الأعمى فى دعواه الى التحرر الكامل للمرأة من سيطرة الرجل ومزاولتها لكل ما يتمتع به الرجل من أعمـــال . وهـــذا يخالف ديننا ومجتمعنا الشرقى المحافظ .

---

(١) الصفوة : ٥٣ الحجاب ، مصطفى لطفى المنفلوطى .

أما الاتجاه الثالث فى تلك الفترة فكان محاولة بعض الشعراء كتابة نثر فيه بعض خصائص الشعر وهذا أدى الى وجود المقالة المسجوعة ومن أبرز من يمثل هذا الاتجاه كتاب أسواق الذهب لأحمد شوقى .

كتاب أسواق الذهب لشوقى(١) :

وهو الأثر النثرى الوحيد لأحمد شوقى ويبدو أنه كتبه على سنوات كما يبدو أن معظم مقالاته كتبها أثناء النفى فى أسبانيا ١٩١٤ - ١٩١٩ ، وأن الملل والضيق هما اللذان دفعاه الى كتابة هذه الموضوعات .

وقد تناول هـذا الكتاب مقالات في الفلسفة والدين والحياة الاجتماعية كما تناول موضوعات من التراث المصرى القديم قبل الاسلام ومقالات سياسية ومقالات تاريخية ومقالات وصفية ومقالات تأملية .

والمقالات الفلسفية تناول فيها أمورا فلسفية تشغل العقول البشرية مثل الشمس والموت والحياة والغد والأمس واليوم ، فمن ينكر وجود الله من الملاحدة يعطيه الأدلة المنطقية والحجج العقلية التى تعينه على التفكير والاستدلال على وجود الله فى كل ما يحيط به ، وهو من خلال عرضه للأدلة يطلب منه أن يستخدم عقله ليدله على الحقيقة وهى وجود الله فى كل ما يحيط به فيقول له : « ... قم الى السماء تقص النظر ، وقف بالأرض سلها من زم السحاب... ومن أقعد الجبال وانهض ذراها ».

ويتحدث عن الفرق بين المؤمن والملحد فيرى أن المؤمن آمن فاستراح وأن الملحد لم يؤمن فلم يسترح . ويتحدث عن يوم القيامة فيقول « قامت على غير قدم حتى طال عليها القدم وقيل مالهده عدم ، كلا لتحزن عمادا ، ولتذهبن رمادا ، وليبعثن الله جمادا ... » .

ويتحدث الى الميت فيقول « لست والله صاحب الآخرة ، وأن كنت صاحب الجنازة الفاخرة حتى تشيع بيتيم بعدك مضيع أو بائس من وراءك يائس » .

---

(١) أسواق الذهب .

ثم يتحدث عن مشيعى الميت الى مثواه الاخير فيقول : « انظر رحمة الله هل ترى غير باك كضاحك المزن ، ليس وراء دمعة حزن او وارث مشغول بما ملك او فضولى يسال عم ترك .

ثم يتحدث عن افتراق المشيعين عن الميت وبقائه هو وحده ليرى نتيجة عمله ، وشوقى فى حديثه هنا يريد أن يقول لكل انسان لا تغتر بالحياة فكل ما فيها كذب وبهتان .

يقول شوقى للميت : « وآخر عهدك بباطل الحيـاة وغرورها ولو اطلت على فان طالما حملك ، وباطل بالامس شغلك وقليل متاع قتلك ، ثم لم يبق لك .. لم تر غير حلم بتر وملعب ستر ، وماء عبر ، وظل هجر ، ومال خسر .. » .

ثم يتحدث عن الآخرة ثم القبر ثم يوجه حـديثه الى كل انسـان اغتر بالمـال .

وأغلب الظن أن هذه المقالات كتبت قبل وفاة الكاتب بعام واحد حيث عكف عن قراءة القرآن وكتب الحديث . وكان حينذاك يتوقع الموت فى كل لحظة لنوبات المرض التى كانت تعاوده بين الحين والاخر .

وقد كتب اربع مقالات عن الحياة فقال : (القبس والنفس والروح القدس) ثم تناول حب آدم للحياة وطرده من الجنة بسبب نهى الله له عن الاكل من شجرة حددها الله له ، فاكل منها فطـرده الله من الجنة ليعيش فى الدنيا ويعمرها هو واولاده من بعده .

والمقال الثانى تناول معنى الحياة فى صورة الانسان ثم يتحدث عن علم الحياة فيقول « ان علم الحياة عند الله الذى يهبها ويستردها ، والذى يقصرها ويمدها والذى يخلقها ويستجدها .

والمقال الثالث تناول الموت وقد وصف الحياة بأنها ابنة الموت .

أما المقالة الرابعة للحياة فقد عرف فيها الحياة بما جاء فيها فى

القرآن الكريم : « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » فليس هناك داع لتمسك الانسان بها لأنها الى فناء ٠

يقول : « الحياة توهم ، عشنا بالوهم الزمن الرغد ، عشنا بالوهم الزمن النكد ، وبالوهم عادينا وبالوهم والينا وبالوهم مرضنا وبالوهم تداوينا ، والحياة لعب ٠٠ حتى اذا جاءت سكرة الموت كان ذلك أول العهد بالحقيقة ٠٠٠ » ٠

والمقال الخامس ٠ هو اليوم الذى منه الأمس الذى انقضى من حياة الانسان عرفه شوقى تعريفا فلسفيا فقال :

أمس مـــا أمس ؟ ٠٠ خطـــوة الى الرمس ٠٠

ويطلب من الانسان أن يبكى على يومه كما بكى على أمسه لأنه يوم سينقضى من عمره فهو خطوة الى قبره يقول : « ٠٠٠ وقد هان عليهم اليوم الراحل ، كما هان على المسافر فطوى المراحل ، فلا العبرة أراقوا ، ولا على العبرة أفاقوا شغلتهم دنياهم وأفنوا مناياهم وألهاهم هواهم فسبحان الذى ألهى بالأمل ، وشغل بالأمل ، واستنهض الانسان لأعباء اليوم فحمل(١) ٠٠٠ » ثم يوجه نصيحته الى الانسان (اعمل فى يومك ما أمكن العمل ، وتمتع به ما تسنى التمتع ٠٠ فما تدرى أعوام حياتك أم دقائق) وهذا هو معنى بيته :

دقات قلب المـــرء قائلة له ان الحيـــاة دقائق وثـــوان

وقدكتب شـــوقى مقالات دينية عن الشـــهادة والصـــلاة والصـــوم والزكاة والحج ٠

يقول عن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (مطلعها الله ومقطعها النبى ٠ ويصفها بقوله « هى كنه اليقين وهى الحق المبين ـ كانت شعار الداخل فى الدين الجديد،وجواز الخارج الى اقطار التوحيد٠

---

(١) أسواق الذهب ٧٦ ـ ٧٨ ٠

وكتب مقالات نقدية وعرف النقد بقوله « فن قديم توارثه الاواخر عن الأوائل فأخذته حضارتهم فحسنته على عادتها والنقد حارس الادب ومكمل الكتاب والكتب ، وهو آلة انشاء ، وعدة بناء ، وليس كما يزعمه الزاعمون معول هدم ولا أداة تحطيم .

والناقد مستهدف يعرض عقله وبضاعته وخلقه وحكمه على الناس .
ويتحدث عن أنواع من النقاد لا ينبغى أن تعتمد عليهم وتأخذ بآرائهم « .. ومن نقد على غضب أسخط الحق ومن نقد على حقد احترق ، وان ظن أنه حرق ومن نقد على حسد لم يخف بغيه على أحد ومن نقد على حب حابى وجمح به التشيع .

كما كتب المقالة الرمزية وهى وحيدة فى كتابه أسواق الذهب ، وتناولت موضوع الأسد فى حديقة الحيوان .

يقول الأستاذ أحمد محفوظ(١) « زار شوقى حديقة الحيوان وأعجبه الأسد فى القفص وانشأ فيه مقالا نثريا وخاف عليه أصدقاؤه من هذا المقال خشية أن يظن الملك فؤاد أنه هو المقصود بالأسد الحبيس فى القفص ولكن شوقى أصر على كتابة المقال ولم يحدث له مكروه لأن الملك لم يفطن الى ما بداخل المقال » .

أما مقالات شوقى الفرعونية فدعا فيها المصريين الى ان ينظروا الى ماضى أجدادهم المجيد وأن يقارنوه بحاضرهم المليء بالخزى والعار من احتلال واستعمار من دولة غربية غريبة عن الدين والعادات والتقاليد علهم يعتبرون فيحطموا الحاضر ويطردوا المستعمر ويعيدوا جزءا من أمجادهم القديمة . يقول شوقى عن الأهرام : « ما أنت يا اهرام أشواهق أجرام ، أم شواهد اجرام ، وأوضاح معالم أم أشباح مظالم »(١) - ويوجه حديثه الى الانسان المصرى الذى رضى بالذل والاستعباد فيقول « قم وانظر ماذا فعل أجدادك القدماء ، انهم بنوا الحضارات .. أما أنت اليوم فتعيش

---

(١) حياة شوقى : ١٤٩ - ١٥٠ .
(١) أسواق الذهب : ٧٤ .

فى ذل وهوان ، ياكليل البصر عن مواضع العبر ، قليل البصر بمواقع الآيات الكبر ، قف ناج الاحجار الدوارس ، وتعلم فان الآثار مدارس ..».

ويتحدث عن الذين وطئوا مصر من الانبياء لعل المصرى يستيقظ من سباته ويحافظ على بلاده يقول شوقى « فى هذا الحرم درج عيسى صبيا ، وفى هذا الهرم خرج موسى نبيا وفى هذه الهالة خـــرج يوسف كالقمر وضيا .. » .

ويختم مقاله بقوله .. وههنا نتعلم أن حســن الثنـــاء مرهون باحســان البناء » .

ولشوقى مقالات وطنية فى كتابه أسواق الذهب فقد أفرد مقالا فى الوطن ، وآخر فى الحرية وثالثا فى الجندى المجهول الذى يفنى حياته فى سبيل وطنه .

يقول شوقى عن الوطن « الوطن موضع الميلاد ، ومجمع أوطار الفؤاد ، ومضجع الآباء والأجداد ... أول هواء حرك المروحتين ، وأول تراب مس الراحتين ..

ويذكر حقوق الأبناء نحو وطنهم فيقول : « مدرسة الحق والواجب حق الله وما أقدسه ، وحق الوالدين وما أعظمه،وحق النفس وما ألزمه ».

ثم يذكر واجب المواطنين نحو طنهم « صيانة بنائه والعناية باشيائه والنصيحة لأبنائه والموت دون لوائه » .

ويدعو كل انسان فى وطنه الى التفانى فى خدمة وطنه فالوطن محتاج الى العظيم والحقير ليكونا يدا واحدة تعمل لاسعاد الوطن يقول : « رأس مال الأمم فيه من كل ثمر كريم ، وأثر ضئيل أو عظيم ومدخر حديث أو قديم ، ينمو على الدرهم كما ينمو على الدينار » .

ويقول « فيا خادم الوطن عليك أن تبلغ الجهـــد .. فانما الوطن كالبنيان فقير الى الرأس العاقل والساعد العامل والى العتب الوضيعة والسقوف الرفيعة .. » .

والوطن لا يتم تمامه ، ولا يخلص لأهله زمامه .. حتى يجيـــل العلم فيه يد العمارة ، ويجمع له بين دولاب الصناعة وسوق التجارة .. فيا خيل المستقبل حاربوا الأمية .

ويتحدث عن أضرار الأمية على الشـــعب .. فانها كســـح الأمم وسرطانها ، والثغرة التى تؤتى منها أوطانها ظلمات يعربد فيها خفاش الاستبداد ، وقبور كل ما فيها لضيعة غنيمة وزاد ..

ويدعو الى طلب العلم .. اطلبوه فى مدارس الزمان وحلقاته وخذوه عن جهابذته وثقاته ..

ويدعو الى الاتحاد والتآلف يقول : « وبنوا الوطن الواحد اخوة وان ذهب كل فريق بكتاب ، ووصلت كل طائفة من باب ، واتبع أناس الانجيل ، وأناس اتبعوا التنزيل وما وطن المحسنين الا الأسرة الكبرى ، والسقف الواحد .

ثم يتجه فى النهاية بالدعاء الى الله أن يشمل كنانته بعطفه فيقول : « ربنا وانزلهم على أحكام العدول وقضايا الأخلاق ولا تخلهم من العواطف وان كن عواصف ، ولا تكلهم للأهواء فانها هواء . وخذهم بروح العصر وسنة الزمان واجعلهم حفظة العرش وحرسة البرلمان .

كذلك كتب شوقى مقالات تاريخية تجلت فيها براعته وقدرته على بعث الماضى حيا نضرا .

كتب شـــوقى ثلاث مقالات تاريخية قنـــاة السويس والمســـجد الحرام ، البحر الأبيض المتوسط .

ولشوقى أيضا مقالات عن الحياة أعطى فيها حكما موجزة تسـير عليها الحياة كالخير والصبر والأمومة والشـــباب وشـــهادة الدراســـة وشهادة الحياة .

---

(١) نشأة النثر الحديث وتطوره : ١٣٢ د. عمر الدسوقى .

يقول شوقى عن الامومة : هى رسالة المرأة على الارض وشـــأنها الاول فى الحياة ، وهى حجر الاساس فى الاسرة ٠

٠٠٠ وفى امومة اجتمعت خلال البر ونوائب الحق وتبعات الواجب وصور البطولة وفضائل الايثار ومواطن الصبر الجميل ٠ وينصح الفتاة قائلا : فيأيتها الفتاة المدلهة بصباها المزهوة بحسنها اذكرى أن الجمال طليق الا من قيدين كلاهما أجمل منه الشرف والعفاف ٠ اذا انســل منهما عثر فى خطاه الاولى وذوى فى ابان النضرة ٠

وهكذا كانت مقالات شوقى فى كتابه أسواق الذهب مقالات متنوعة فظهر ثقافته بأمور الحياة المختلفة والعلوم المختلفة ولكنه تناولها بأسلوب الشعراء واهتم فى أكثرها اهتماما كبيرا بالسجع ٠

أما الكتاب الآخر الذى يمثل مقالات الشــعراء فهو كتاب صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكرى :

وكلا الكتابين يحوى مقـــالات فى موضوعات مختلفة ، وان غلب عليها طابع التاملات والوصف ، وما الى ذلك من الموضوعات القريبة من ميدان الشعر ٠ وكل مقالة تعتمد فى أسلوبها على الســجع ، وحشــد المترادفات ، وايراد الاشارات التاريخية ، وبث الحكم والامثال ٠

ويزيد صهاريج اللؤلؤ على كتاب أسواق الذهب بتضمين المقالات بعض ما يناسب المقام من الشعر ، اما للمؤلف واما من التراث كما أنه يشتمل على بعض قصائد مستقلة للمؤلف ٠

وهذا نموذج من صهاريج اللؤلؤ للبكرى ، يقــول فيه تحت عنوان « العزلة » متحدثا عن عوامل هجرة للحيـــاة الاجتماعية الحضرية وما فيها من مفاسد « ٠٠٠ وأما الاخلاء ، والصحب والسجراء(١) فحسبك من رجل عون فى كل أمر لم ترده ، ونصير فى كل مطلب لم تقصده ٠ فان

---

(١) جمع سجير وهو الخليل الوفى ٠

عرض لك بعض الحاج ، فالعلوى يسترفد الحجاج . ماء يتلون بلون الاناء ونيلوفر يدور مع الشمس فى الاصباح والامساء . ان جـــددت أو شقيت فعليك . مدح مع المادح ، وقدح مع القادح .

والقوم من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى ،ولأم المخطىء الهبل
أجسام متدانيه ، وقلوب متنائية وان كان خبر سوء فحماد الراوية

حدث عن البحر ولا حرج ، مئذنة فى ظاهر مستقيم وباطن معوج

له لطف قـــول دون كل رقيــة ولكنه فى فعـــله حية تســـعى

وأما أبناء السامة فان احدهم غادة ينقصها الحجاب ، ينظر فى المرآة ولا ينظر فى كتاب ، وانما هو لباس على غير ناس ، كما تضع الباعة مبهرج الثياب على الأخشاب :

وهل ينفع الوشى السحيب مضللا وان ذكوت فى القوم قيمته خزى

رماد تخلف عن نار وحوض شرب أوله ولم يبق منه غير أكدار آباء وأحساب ، وحال كشجر السلجم ، أحسن ما فيه ما كان تحت التراب ، ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل) الى رطانة بالعجمة بين الأعراب (أبرد من استعمال النحو فى الحساب) . لو كان ذا حلية لتحول) ، وهل عند رسم دارس من معول :

وقح تواصــوا بتـــرك البر بينهم
تقول ذا شـــرهم بل ذاك بل هذا

ميسر يلعب ، ومال يسلب . وخدن يخدع ، وكلب يتبع وعطر ينفح . وفرس يضبح :

أبا جعفـــر ليس فضـــل الفتى اذا راح فى فضـــل عجـــابة
ولا فـــى فراهـــة بـــرذونه ولا فـــى نظـــافة أثـــوابه

دنيا موجودة ، ونفس مفقودة ، وعقل أسير ، وهوى أمير (اليوم خمر وغدا أمر) فبيناه غنى يتملك ، اذا هو فريق يتصعلك قوت ، كيلا تموت . ومن ايوان كسرى الى بيت العنكبوت .

يقول د. احمد هيكل (وليس من شك فى أن هذا الاتجاه برغم جودة بعض نماذجه كان صحوة الموت بالنسبة للنثر البديعى المتكلف الذى لفظ آخر انفاسه بعد سيطرة الاتجاه المرسل،وتطور طرقه وتنوعها)(١).

يقول احمد شوقى من مقالة فى كتابه أسواق الذهب بعنوان (المال) يظهر فيها عنايته الكبيرة بالسجع : « يا مال الدنيا أنت، والناس حيث كنت سحرت القرون،وسخرت من قارون وسعرت النار يانيرون تعود الحقد أن يحالفك، وكتب على الشر أن يخالطك ويؤلفك.الفتنة ان حركتها اتقدت،وان تركتها رقدت والحرب وهى الحرب،تبعثها ذات لهب،منك الرياح ومنك الحطب . تزرى بالكرام ، وتغرى بالحرام ، وتضرى بالاحرام فقدانك العز والضر ونكد الدنيا على الحى . حالك وحال الناس عجب تملكهم من المهد ويقولون أصبنا وملكنا ، وترثهم عند اللحد ويقولون : ورثنا وتركنا . من عاش قوموه بما ملك ومن هلك تساءلوا : كم ترك ؟ المحروم من أوثقك ، والضائع من أطلقك ، وهما فقيران ، من جمعك ومن فرقك ، كثيرك هم وقليلك غم ، ومع التوسط الخوف والطمع ، والحرص والجشع حذر النفاذ ، ورغبة فى الازدياد ، الملك سوقة اذا نزل اليك ، والسوقة ملك اذا علا عليك . أرخصت الجمال ونقصت الكمال . وخطبت لهجن الرجال ربات الحجال صويحباتك هن المفضلات ، وغيرهن المتروكات المعطلات العريان من ليس له منك سترة ، والمستضعف من ليس له منك قدرة ... » (١) .

وقد وجدت هذه الاتجاهات الثلاثة فى هذا الطور من أطوار المقالة فى الأدب العربى .

---

(١) تطور الادب فى العصر الحديث : ١٧٠ .
(١) أسواق الذهب ، ص ٦٧ .

والطــور الرابع :

وهى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ وامتدت حتى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ٠ وفى هذه الفترة بلغ النشاط السياسى والوعى الفكـرى والنضـــوج الأدبى ذروته وازداد النشاط الصحفى بتعدد الأحزاب والصـحف اليومية والأســـبوعية ومن الصحف التى ظهرت فى هذه الفترة وكان لها تأثير عميق فى الحيـــاة بصورة عامة جريدة السفور لعبد الحميد حمدى ، الوجدانيات لمحمد فريد وجدى ثم صحف الثورة مثل الاستقلال لمحمود عزمى والبلاغ لعبد القادر المازنى ، صحيفة وادى النيل لمحمد توفيق دياب ، والشعب ، والمساء ، والجهاد ، وروز اليوسف والمصرى ، وغير ذلك من الصحف ٠

وقد تعددت ثقافات وميول الكتاب فى هذه الفتـــرة وبالتالى زاد التنوع فى موضوعات المقالات فظهر المقال النقدى والمقال النفسى والمقال التاريخى والمقال الفلســـفى الى جانب المقالات السياسـية والاجتماعية والدينية والقصصية كما تنوعت بين المقـــالات الذاتية التأملية والمقالات الموضوعية ومن الكتاب الذين ظهروا فى هذه الفترة وعملوا على تجديد الأدب واثرائه بآرائهم ومناهجهم يعقـــوب صروف وعبد العزيز جاويش ومحمد ابراهيم المويلحى وجبران خليل جبران ومحمد رشـــيد رضـــا ومصطفى صادق الرافعى وأمين الريحانى ومى زيادة وعبـــد العـــزيز البشرى وشكيب أرسلان وابراهيم عبد القادر المازنى وعباس العقاد وأحمد حسن الزيات وطه حسين ٠

يقول د٠ السيد مرسى أبو زكرى(١) (تبارى كتاب هذا الطور على صفحات الجرائد المختلفة حتى شـــهد المجتمع الأدبى صراعا بين أنصار القديم بقيادة مصطفى صـــادق الرافعى ودعاة التجـديد بزعامة طه حسين ، وأسفرت المعركة عن انتعاش الفكر العربى الحديث ٠ وهيأ أدبا عربيا حديثا له شانه وكيانه وشاركت المرأة فى الحياة الأدبية فكان لندوة مى زيادة أثرها فى حياة الأدب والأدباء وظهرت أقـــلام بعدها

---

(١) المقال وتطوره فى الادب المعاصر ٠

لموهوبات من أمثال : عائشة عبد الرحمن وسهير القلماوى وأمينة السعيد، وفدوى طوقان ، ووداد سكاكينى وملك عبد العزيز ، ونازك الملائكة(١)٠

ونتيجة لاخلاص هؤلاء الكتاب وأمثالهم أصبح المقال أوضح فكرة وأشمل موضوعا وأكثر أنواعا مع نضج واتقان فى آداء المعانى وأسلوب الكتـابة ٠

يقول د٠ زكى مبارك ناقدا أسلوب أحمد حسن الزيات فى كتابه « وحى الرسالة »(٢) (هو أسلوب كاتب يؤمن بأن الكتابة فن من الفنون فهو لا يكتفى بشرح الغرض الذى يرمى اليه وانما يتجه عامدا متعمدا الى تادية المعنى تادية جميلة توحى الى القارئ فكـــرة العناية بالأسلوب الأنيق ٠ والزيات يغرب فى بعض الأحيان ، ومعنى ذلك أنه يوشى كلامه كلامه بالألفاظ الغريبة من حين الى حين ليحول تلك الألفاظ الى الكلام المأنوس ، وفى ذلك منهج مقبول فى احياء المهجور من المفردات اللغوية، فلم تخلق تلك المفردات مهجورة ، وانما عاشت دهورا ثم تناساها الكتاب والشعراء ، فاضيفت ظلما الى الغريب » ٠

« والزيات لم يبرز هذا المنهج بين أدباء العصر الحديث فقد اختطه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، والمرحوم السيد توفيق البكرى ، ودعا اليه أستاذنا الشيخ محمد المهدى ، ولكن مزية الزيات هى القصـــد فى الاغراب بحيث لا يقع منه فى المقال الواحد غير لفظة أو لفظتين وذلك يزيد ثروة القارئ من الوجهة اللغـــوية بدون أن يوقعـــه فى التعنت والارتباك ٠

ويستطيع الكاتب وهو يراجع وحى الرسالة أن يقيد هذا النوع من المفردات لأن احياء تلك المفردات خصيصة أصيلة من خصائص هذا الكتاب٠

وكتب د٠ طه حسين عن القديم والجديد ٠ وهو مذهب نقدى شغل

---

(٢) زكى مبارك ناقدا ، ص ١٦ وما بعدها ٠

الشعراء منذ العصر الجاهلى ، واشتدت الخصومة حول أنصار القديم وانصار الحديث منذ العصر العباسى . ويرى د. طه حسين أن هذه القضية مستمرة مادامت الحياة مستمرة يقول : « ... فمادامت هناك حياة فهناك قديم وجديد ، وجهاد بين القديم والجديد ، وأنصار للقديم وأنصار للجديد . وكما أننا مضطرون بحكم الحياة الى أن نخضع للتطور ، فنحن مضطرون بحكم التطور نفسه الى أن نحتمل الخلاف بين الذين يبكون مغرب الشمس والذين يبتسمون لاشراقها وكل ما نستطيع أو كل ما نرجو انما هو ألا ننفق حياتنا فى بكاء على الماضى أو ابتسام للمستقبل ، فقد يصرف البكاء والابتسام عن أن ننتفع بتراث الماضى أو نحيا بآمال المستقبل »(١) .

وفى هذه الفقرة نشعر ان د. طه حسين كان معتدلا يرى أن القصد أساس الخير فى كل شىء وهو يعلم بقيمة القديم ويدعو الى الانتفاع به كما يدعو الى الصدق فى الأدب والحياة فى الواقع الجديد وقد اهتم بالأدب فى كل عصوره مع اختيار الأسلوب المعتدل لعرضه فلم يستخدم اللغة الغريبة القديمة بل استخدم العربية الواضحة الطيعة لأداء المعانى المختلفة ودعا الى ملائمة اللغة للحياة الجديدة ويقول (أكاد أعتقد أن ليس للقديم أنصار ، أى أن أنصار القديم ليسوا مخلصين فى نصرهم للقديم ، أو أنهم يخدعون أنفسهم حين يظنون أنهم ينصرونه . ذلك أن هؤلاء القوم يحيون كما يحيا غيرهم من الناس . وثق أنهم ليسوا أقل الناس استمتاعا بلذات الحياة وليسوا أقل الناس استبشاعا لما فيها من بشع ، واستعذابا لما فيها من لين .

واذن فهم بين اثنين : اما أن يكونوا صادقين حين يبكون القديم ويحرصون عليه ، فهم يحيون حياتهم كارهين ويأخذون بلذاتها ويحتملون آلامها دون أن يكون لهم فى شىء من ذلك رأى . فان كانوا كذلك فهم خليقون بالرحمة والعطف والاشفاق . وكيف لا ترحم من يحيا راغما ويلذ راغما ويألم راغما !

---

(١) حديث الاربعاء ٢ : ٣١ .

واما الا يكونوا صادقين فى حبهم للقديم وحرصهم عليه ، واذن ففيم هذا الضجيج والعجيج ، وفيم اثارة الخـــلاف واطالة القول فيما لا يغنى ولا يفيد ، ذلك أن القديم والجديد ليسا مقصورين على اللغة فى الفاظها ومعانيها أو فى أساليبها وتراكيبها وانما هما يتناولان اللغة كما يتناولان غيرهما من مظاهر الحياة المعنوية والمادية . وغريب أنك لا ترى الجهاد عنيفا ولا تراه يشبه العنيف فيما يمس مظاهر الحيـــاة المادية .

فلو أنك طلبت الى الذين يسرفون في نصر القديم ويمقتون أنصار الجديد ويصفونهم بالكفر ، أن ياكلوا ويشربوا ويجلسوا على نحو ما كان ياكل أجدادهم منذ قرون وعلى نحو ما كانوا يشربون ويلبسون ويجلسون لما سمعت منهم الا انكارا ، ولما رأيت منهم الا ازورارا .

ولقد أريد أن أرى بين أنصار القديم أولئك الذين لا يزالون ياكلون ويشربون فى الصحاف والأكواب من النحاس والفخار وقد جلسوا على حصير ورفضوا الكراسى رفضـــا وأبوا أن يستمتعوا بكل ما أتاحت لهم الحضارة الحديثة من أدوات الترف واللذة البريئة . أريد أن أرى هؤلاء ولكنى يائس من رؤيتهم . ولست أشك فى أن من بينهم من يستمتعون فى حياتهم الخاصة بأحدث ما اخترفت الحضارة من هذه الأدوات ، على حين لا يظفر من ذلك أنصار الجديد الملحون فى الدعوة اليه الا بالشىء القليل . وسواء علينا أكان أنصار القـــديم يستمتعون بالجديد راضين أو كارهين فهم يستمتعون به .

والأمر على هذا النحو فى اللغة وما يشبه اللغة . فهم مضطرون سواء ءأرادوا أم لم يريدوا ، الى أن يتحدثوا الى الناس بلغتهم ليفهمهم الناس ، وهم مضطرون الى أن يسمعوا لغـــة النـــاس ليفهموهم . وما نحسبهم حين يبيعون أو يشـــترون أو يحاورون فى عمـــل من الأعمال يصنعون أساليب رؤبة والعجاج وأشباه رؤبة والعجاج . اذا لضحك منهم البائع والمشـــارى والمحاور ، واذا لمـــا وقف والعجاج . اذا ضحك الناس منهم بل لتجاوزه الى ضياع منافعهم وفساد اغراضهم عليهم .

وأنا ضمين لك بعدولهم عن القديم والجديد حين تتعرض منافعهم للخطر واغراضهم للفساد .

نصر القديم اذا ضرب من التكلف ، وربما كان نوعا من البدع يقصد اليه أصحابه تزينا وتجملا واختلابا لألباب طائفة من الناس . فأما أولئك الذين ينصرون القديم عن ايمان واعتقـــاد ، وينصرونه فى العمل كما ينصرونه فى القول فيحيون حياة القدماء ويسيرون سيرتهم ، فانى أبحث عنهم دون أن أجد لهم أثرا ظاهرا .... !

على أن هناك قوما مخلصين فى اشفاقهم من الجديد وبكائهم على القديم ومصدر اخلاصهم أنهم لا يفهمون الجديد ولا القديم ولا الصـــلة بينهم ، وانما هى الفاظ تخيفهم وتبعث فى نفوسهم عواطف متناقضة ، فيحنون الى تلك وينفرون من هذه ، وهؤلاء لا يناقشون ، وانما يبين لهم الأمر على وجهة ، ولا نحســـب الا أنهم مطمئنون حين يعلمون أن أنصار الجديد لا يريدون أن تبدل الأرض غير الأرض أو أن يخلق العالم خلقا جديدا .. »(١) .

ود. طه حسين يرى أن الأسلوب القديم جدا لا يصلح كما أن الأسلوب الحديث جدا بعيد كل البعد عن ملائمة الحياة التى نحياها والعصر الذى نعيش فيه يقول ((يخيل الى أن من الخير أن يتفق الأدباء على أن لهذا العصر الذى نعيش فيه حاجات وضروبا من الحس والشعور تقتضى أسلوبا كتابيا يحسن وصفها ويجيد التعبير عنها دون أن يسرف فى القـــديم أو يغلو فى الجديد ولست أدرى لم لا يتفق الأدباء على هذه القضية ونحن فى حياتنا المادية انما نلائم بين حاجاتنا وبين الأدوات التى نستخدمها لنرضى هذه الحاجات فما لنا اذا أردنا أن نتكلم لندل على هذه الحاجات لا نلائم بين لغتنا وبين حاجاتنا أو بعبارة أصح : مالنا لا نلائم بين اللغة وبين الحياة ؟

لسنا نعيش عيشـــة الجاهليين ، فمن الحمق أن نصـــطنع لغـــة الجاهليين . ولسنا نعيش عيشة المصريين فى أوائل القرن الماضى ، فمن الاسراف أن نستعير لغات هذه الأجيال وأساليبها لنصف بها أشـــياء لم يعرفوها ، وضروبا من الحس والشعور لم يحسوها ولم يشعروا بها ...

---

(١) حديث الاربعاء ٣ : ٣٢ .

واذن فليس من سبيل الى ان نكون صادقين حين نتكلم أو نكتب كما كان يتكلم الجاهليون أو كما كان يكتب أهل بغداد . واذا فالغلو فى اصطناع الأساليب الجاهلية أو العباسية على أنه مخالف لطبيعة الحياة التى يقتضى أن يكون اللفظ ملائما للمعنى ، وأن تكون اللغة مرآة الأطوار المختلفة التى ينقلب فيها المتكلمون - أقول ان اتخاذ هذه الأساليب عيب خلقى فى نفسه ، لأنه يدل على أن الكاتب يعيش فى تناقض متصل مع حياته الواقعية ، فهو يحس شيئا ويقول شيئا آخر وهو يشعر بشىء وينطق بشىء آخر . اتخاذ هذه الأساليب نقص أدبى ، لأن الكمال الأدبى يستلزم أن تكون اللغة ملائمة للحياة ، وهو نقص خلقى ، لأنه كذب للكاتب على نفسه وعلى معاصريه وهو نقص من جهة أخرى ، لأنه لا يدل على أقل من أن الكاتب ينكر شخصيته ولا يعترف لها بالوجود . وأى انكار للشخصية اشد من أن تحس وتشعر ثم تستحى أن تصف احساسك وشعورك كما تجدهما فتستعير لهذا الوصف أساليب لا تلائمه وضروربا لا تؤديه »(١).

وينقد د. طه حسين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى تمسكه بالأسلوب القديم الذى أصبح لا يلائم العصر الحديث يقول د. طه حسين (أعرف أن الأسلوب الذى اتخذه الأستاذ الرافعى كان مستعذبا فى عصر من العصور ، ولكنى أعرف أنه انما كان مستعذبا لأنه كان يلائم هذا العصر ، فاذا انقضى هذا العصر وانقضى معه ما ألف الناس من ضروب الحياة فيه ، فيجب أن ينقضى معه أيضا أسلوب التعبير الذى كان الناس قد اتخذوه وسيلة لوصف ما يجدون فى أنفسهم ... ومهما يقل الأستاذ الرافعى وأنصاره - ان كان له أنصار - فليس من شك فى أنه لم يشعر كما كتب ، ولم يفكر كما كتب وانما شعر بطريقة وكتب بطريقة أخرى فلسنا نراه هو فى كتابه ، وانما نرى فى هذا الكتاب تكلفة ومحاولة الاجادة »(٢) .

ونجد أن كثيرا من الكتاب ناقش د. طه حسين فى مقالاته التى كان ينشرها فى جريدة السياسة يوم الاربعاء من كل أسبوع والتى جمعت بعد

---

(١) حديث الاربعاء ج ٣ ، ١٠ ، ١١ .
(٢) حديث الاربعاء ٣ : ١٢ .

ذلك لتكون كتابه حديث الأربعاء وسبب المناقشة والاعتراض أن د. طه حسين اعتمد فى كتابة هــذه المقــالات على كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وذلك فى تصوير الحيــاة العقليــة فى الدولتين الأموية والعباسية . حيث يقرر أن هذه المقالات لا تكاد تتجاوز طائفة بعينها من الشعراء وتركز على ناحية معينة هى ناحية اسرافهم فى المجون وما كان لذلك من أثر فى حياتهم . وما كان بين ذلك وبين الحياة الاجتماعية والسياسية فى تلك البيئة من صلة ويذهب فى مقالته الى أن هذا العصر كان عصر شك وعبث ومجون . وهذا الرأى الجرىء لقى معارضة وهجوما من الأدباء والكتاب والنقاد(١) .

فهم ينعون عليه أولا اعتماده على كتاب الأغانى كمصدر أساسى فى كتابته التاريخ ؟.وتاريخ هذه الفترة من حياة العرببالذات ويتساءلون:هل يفيد الأدب وتاريخه تسجيل هذه الصفحات بالذات ؟ وثالثا هم يستهجنون منه هذا الحديث الطويل حول المجون والعبث عندما يصور الحياة العقلية فى القرن الثانى الهجرى . ورابعا يعجبون من أنه اختار من شعراء هذا العصر أبا نواس وأصحابه بالذات دون غيرهم وقال عنهم أن هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون عصرهم حقا ، وكانوا أشد تمثيلا وأصدق لحياته تصويرا من الفقهاء والمحدثين وأصحاب الكلام عندئذ وجــد هــذا الرأى هجوما ونقــدا(١) .

واكتفى هنا بمقالة نقدية للأستاذ رفيق العظم حول كتاب حــديث الأربعاء وعنوانها « الأستاذ طه حسين » نشرها فى جــريدة السياســة اليومية الصادرة فى ١٩٢٣/٢/٧ وهذا نصها :

ســيدى الأستاذ :

أطالع بشوق وامعان مقالاتكم الأسبوعية فى أدب القدماء والمحدثين أو حديث الأربعا ومما يلفت النظر ويستدعى التمحيص والحذر فى ذلك

---

(٢) معارك طه حسين الادبية والفكرية ، ص ١٢١ .

(١) المرجع السابق : ١٢٢ .

الحديث حكمكم أن أبا نواس ومن فى طبقته أو على شاكلته من الشعراء كانوا مثالا صادقا للعصر الذى عاشوا فيه . وان الرشيد والمأمون ذهبا من الشك والاستمتاع باللذات فى ذلك العصر مذهب أبى نواس وأحزابه من شعراء المجون . وقد سردتم طائفة من الشعر والأخبار المنسوبة اليهم واستنتجتم منها ذلك الحكم الذى يحتاج الى تمحيص كثير .

ان الحقائق التاريخية ولا سيما فى تاريخ الاسلام تشبه الدر الملقى بين أشواك يحتاج ممن يريد استخراجه من تلك الأشواك الى أناة وروية ونظر فى وجه السلامة من أذى الشوك . ولا نريد أن نذهب بعيدا فى مذاهب الشك التى ذهب اليها الأستاذ وانما يكفى أن نتنبه مما نقول وهو العليم بما عاناه رواه الحديث ، ونقلة الأخبار النبوية فى تمحيص تلك الأخبار . وتنظيفها من شوائب الوضع المكذوب ولا سيما فى أيام الفتنة الكبرى التى انقسم فيها المسلمون الى شيع سياسية .

نقرأ فى كتب التاريخ أخبارا نسبها شيع العباسيين الى خلفاء بنى أمية وأخبار نسبها شيع آل على الى خلفاء بنى العباس هى أحط ما ينسب الى خلفاء او ملوك أو سمهم ما شئت كانوا فى مثل مرتبتهم من العزة والمنعة وبسطة الجاه والملك . وكان من المحال أن يكونوا من انحطاط الأخلاق والسيرة فى المنزلة التى أنزلهم اليها الوضاعون ويدوم لهم ذلك الملك العريض والشهرة الذائعة فى التاريخ . ونقرأ ما هو أقبح من ذلك فى كتب القصاصين منسوبا الى الخلفاء وأهل العلم والأدب فلو سلمنا بكل ما جاء من تلك الكتب والأقاصيص واعتبرناها أخبارا صحيحة ليس فيها شائبة من شوائب الكذب والاختلاق والتلفيق لكان لنا أقبح مثال من أمثلة العصور الاسلامية الأولى التى نعتبرها من مفاخر تاريخنا الغابر المجيد .

الحقيقة التى يجب أن تقال ان التنازع السياسى بين الشيع الاسلامية أدخل من روايات بعض الاخباريين شوائب فى التاريخ الاسلامى ليست هى منه فى شىء وانما هى من وضع المتزلفين لبيوت الامارة والملك أو المتشيعين لبعض المذاهب السياسية والدينية .

ولما أنكر ابن خلدون أقوال الملفقين الذين لفقوا على الرشيد تلك

الحكايات الشائنة لم يكن فى انكاره الا على حق لما عرف عنه من بعد النظر فى التاريخ وصحة بحوثه فى علم الاجتماع وأخلاق الأمم ومنازعها شأن كل مؤرخ بحاث لا يلقى الكلام على عواهنة ولا يأخذ الحوادث بظواهرها ولا شك عند كل منصف أن ابن خلدون أوثق وأصدق كلاما من أبى نواس وأمثاله من المجونيين • هذا اذا صحت كل أخبار المجون المنسوبة الى هؤلاء المجونيين •

أما القصص أو كتب القصاصين فلها شأن آخر لأن واضعيها انما وضعوها لأغراض وبواعث تجارية أو سياسية أو دينية • أما الاغراض التجارية فهى الكسب والانتفاع وأما البواعث السياسية والدينية فهى منع العامة من الخوض فى سياسة الخلفاء والحكام والخوض فى أخبار الصحابة وما شجر بينهم على ما يقال أو يظن • اذ من المعلوم أنه لم يكن فى القرون الأولى للاسلام من وسائل التسلية وأماكن اللهو العامة ما يقضى فيه العامة أوقات الفراغ • وهم فى حاجة الى الاجتماع فكانت أكثر أحاديثهم فى مجتمعاتهم تدور على أخبار الصحابة وحوادث الصدر الأول لقرب العهد به ثم سياسة الخلفاء وحكامهم • وقد كان ذلك يجرى فى كثير من الأحيان الى الشجار ثم الفتنة ثم تقرأ فى أخبار أهل السنة والشيعة فى بغداد عاصمة الملك والخلافة وكانت هذه المنازعات والفتن تقضى أحيانا الى اهراق الدماء بين العامة الذين يتشيع كل فريق منهم لرأيه ومذهبه بلا علم ينفع أو فهم يردع فكان هذا سببا فيما يظهر لتفكير العلماء فى وسيلة من الوسائل تشغل العامة عن الخوض فى مثل تلك الأخبار • فأخذ بعض الأذكياء فى وضع قصص تتلى فى المجتمعات فيلهو بها العامة من الأخبار المثيرة للعواطف أو الأحقاد فكان فيها المختصر المبعثر فى ثنايا الكتب ومنها المطول المجموع فى كتب على حدة ، ومن ذلك أخبار الفتوحات كفتوح الشام ، وفتوح مصر ، وفتوح اليمن المنسوبة الى الواقدى وهى ليست له وكتاب قصة عنترة العبسى وواضعها مجهول وكتاب ألف ليلة وليلة وكاتبها مجهول أيضا وقد قالوا انها مترجمة عن الفارسية ولكن أخبارها لا تدل على ذلك • ولما استطاب الناس أمثال هذه القصص والأخبار وأصبحت ضرورة من ضروريات الحياة لأن فيها نوعا من التلهى وترويح النفس تنافس الرواة والقصاصون فى تدوين الأخبار ووصفها تارة مجموعة وتارة مفرقة فى كتب الأدب كأخبار العشاق

والشعراء والبخلاء والكرام وغير ذلك فكان منها الغث والسمين ومنها الملفق والقريب من الصحة . وقد غالى بعض الاخباريين فى ايراد أخبار المجون والتهتك والانغماس فى الشهوات مغالاة تكاد تشهد على نفسها بالغلو والتلفيق لما فيها من العبث بالأخلاق والتجرد من معانى الأدب الذى أخذ من الشعراء والأدباء المنسوبة اليهم بسبب كبير ينافى ما ينسب اليه من أطراح رداء الحشمة والمروءة . ولا أظننى مخطئا اذا قلت ان ما نقل من هذا القبيل عن أبى نواس وأضرابه من شعراء ذلك العصر ويسميه حضرة الأستاذ د. طه حسين عصر الشك والمجون ويتخذه دليلا على حكمه على أهل ذلك العصر انما هو تلفيق قصصى يراد به أحد أمرين : اما تشويه سمعة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون ، واما سد نهمات العامة من أمثال تلك القصص المخزية والروايات الملفقة . على أن لوصح شىء منه لما كان لنا أن نتخذه دليلا على شيوع الفحش والفجور والشك بين أهل هذا العصر لأنه مجون لا يجوز أن يتعدى الماجن مهما تطاول الى النيل من سواه باسم المجون .

وعلى أنى أعتقد كما قلت ان ما نسب الى أولئك الشعراء كأبى نواس ، وبشار بن برد ومن فى طبقتهما محل للشك ولا سيما اذا صح ان شعر أبى نواس لم يجمع فى كتاب (ديوان) على حدة فى حياته وانما جمعه رواة القصص وأخبار شعراء المجون وتناقلوه بعد وفاته بزمن قريب أو بعيد ، ومحل هؤلاء الرواة من الثقة أو عدمها لا يحتاج الى تعريف بعد الذى قدمناه . وحسبنا أن الأستاذ طه حسين نفسه تردد فى قبول رواية عبدوس عن المقاطع الشعرية التى قال ان أبا نواس أنشدها له قبيل وفاته فى التوبة والاستغفار تردد الأستاذ فى صحتها وقال : انها قصة متكلفة من غير شك وانما نعتقد أن الرجل قال أكثر هذا الشعر فى أوقات مختلفة من حياته : فالذى جوز للأستاذ الشك فى صحة هذه القصة يجوز الشك فى صحة أكثر القصص والروايات التى نقلت عن أبى نواس وغيره من شعراء المجون ويثبت أنها قصص موضوعه ليست لها قيمة تاريخية فلا يصح أن تتخذ مثالا صادقا لذلك العصر .

واذا قرئت فانما تقرأ لأن فيها فكاهة وترويحا للنفس لا لأنها أمثلة من تاريخ أمة كان عصرها ذاك عصر جد لا هزل وعصر نهضة عامية بلغت

فيه اقصى ما يمكن أن تبلغه أمة فى عشرات من السنين . ولقد أحســـن الأستاذ فى مقالته الأخيرة بالاشارة الى ذلك فى قوله انه لا يرغب أن تكون حياتنا كلها خلا وانما يريد ألا تخلو من الفكاهة واللذة فكان فى قوله هذا دليلا على أنه يريد أن يخفف عن أبى نواس عبء الحمل الذى ألقاه على عاتقه وأن يستدرجنا (ونعم ما فعل) الى الشـــك فى صحة تلك القصص المخزية وانه انما أوردها للفكاهة ولا سيما بعد أن عـــزز ذلك بقوله : ان أبا نواس لم يكن قليل الخطر ولا رجلا لا يؤبه له وانما كان ذا مكانة عالية وعالية جدا : ثم سرد عن تاريخ الحافظ ابن عساكر أسماء من رووا عن أبى نواس وروى عنهم أبو نواس ولا جرم أن المجاهـــرة بالمجون والاستمتاع باللذات ثم رواية الحـــديث نقيضان لا يجتمعان . وهذا ما يؤيد رأينا فى أن أكثر ما نقل عن أبى نواس وأضرابه من شعراء المجون انما هى روايات قصصية بعيدة عن الصحة وأن لا يصح أن تتخذ دليلا على حالة الأمة الروحية والخلقية وفوق كل ذى علم عليم) .

ورد . د. طه حسين فى جريدة السياسة اليومية الصادرة فى ٢٢ فبراير على مقال الأستاذ رفيق العظم بمقال بعنوان (حديث الأربعاء ردا على نقد كيف نفهم التاريخ) .

قال (مازلت أذكر هذا المقال وأريد أن أرد عليه . فان الخلاف بين هذا العالم الجليل وبينى لا يتناول أشياء مفصلة فحسب . وانما يتناول مبدأ عاما قبل كل شىء . وقد عرف الناس رأى هذا العالم الجليل فى هذا المبدأ وأريد أن يعرف رأيى فيه . ولست أدرى أطمع فى اقناع هذا العالم الجليل أم أيأس منه . لأن الخلاف بينى وبينه جوهرى جدا وشديد جدا. يذهب مذهبا فى التاريخ وفهمه . وأذهب مذهبا آخر فى التاريخ وفهمه ويخيل الى أن ليس الى الاتفاق بين هذين المذهبين من سبيل .

لا يزال العالم الجليل رفيق بك العظم ، وكثير من العلماء المعروفين فى الشرق يسبغون على التاريخ الاسلامى صـــفة من الجلال والتقديس الدينى أو الذى يشبه الدين تحول بين العقل وبين النظر فيه نظرا يعتمد على النقد والبحث العلمى الصحيح . فهم يؤمنون بمجد القـــدماء من العرب وجلال خطرهم وتقديس مكانتهم فهم يضيفون اليهم كل خيـــر

وينزهونهم عن كل شر ويصفونهم بجلائل الأعمال ويرفعونهم عن صغائرها . وهم يتخذون ذلك قاعدة من قواعد البحث ومقياسا من مقاييس النقد . فاذا اضفت الى الرشيد شيئا فليس هذا الشيء صحيحا الا اذا كان خليقا بالرشيد يليق به وبمكانته وليست هذه المكانة هى مكانته نفسها وانما المكانة التى خلعها عليه القدم وبعد العهد وظلال الخلافة وكرامة الدين وسطوة الأمة .

فاما النقد التاريخى من حيث هو نقد علمى ، فاما النظر الى الناس من حيث هم ناس ووصفهم بما يمكن أن يوصف به الناس وتحليل أخلاقهم وعاداتهم كما تحلل أخلاق الناس وعاداتهم والملائمة بين هذه الأخلاق والعادات وما اكتنفها من الظروف والأحوال . فذلك شىء قلما يفكر فيه هؤلاء العلماء ولا يتلفتون اليه . ولست أغض من قدر هؤلاء العلماء وانما أجلهم واكرمهم . وحسبك أن أمامهم فى هذا المذهب هو ابن خلدون . ولعلك تعلم انى أجل ابن خلدون وأكبره ولكنى أخالفهم فى الرأى وأرى أن مذهبهم فى التاريخ غير مستقيم وانه خليق أن يتغير وأنه سيتغير بدون شك - بل أرى أن مذهب تقديس السلف وتنزيهه عن الصغائر ، مذهب اسباغ الدين على التاريخ طور من أطوار التاريخ لابد أن يمر به . بل طور من أطوار الحياة العقلية والسياسية للناس لابد من أن يمروا به وقد خضعت لهذا الطور أمم أخرى غير العرب فكتب مؤرخوها كما يكتب د. رفيق العظم ورأوا فى الآباء والأجداد ما يرى فى قدماء العرب .

ذلك ان هذه الأمم اذا اضطرتها حروف الحياة الى أن تنزل عن مجدها وتنحط عن مكانتها العالية فتخضع لخطوب الدهر حينا وتنام عن العزة والسلطان ثم استفاقت من هذا النوم وتنبهت بعد الغفلة وطمحت الى أن تسترد المجد القديم وتستأنف سيرها فى سبيل العلياء شعور تجدد فى نفسها انما هو الشعور بهذا المجد القديم والحاجة الى اجلال أسلافه وأكبارهم واتخاذهم مثلا أعلى . كانت لا تنظر الى هؤلاء الناس نظرا علميا مجردا بريئا . وانما تنظر اليهم نظرا ملؤه الاعجاب والاكبار لانك تقتفى أثرهم وتحتذى على مثالهم واذن فرأيك فيهم غير صحيح وحكمك لهم أو عليهم متهم . وكيف تستطيع أن تجمع بين النقد العلمى الذى لا يعرف الهوى ولا يتأثر بالميول والعواطف . ومن هنا يتأثر بحثك

ونقدك بهذا الاعجاب وهذا الميل الى الاحتذاء والتقليد فتصرف همتك الى أن تبرىء موضع اعجابك من كل عيب وتدفع عنه كل مكروه وتبذل كل ما تستطيع من قوة وجهد لتوجد فنا من النقد التاريخى له قيمته وخطره ولكن الغاية التى يسمو اليها ليست علمية بالمعنى الصحيح لأنه يسمو الى التنزيه والتمجيد لا الى التحقيق الذى لا يسمو الى مدح ولا الى ذم ٠

انظر الى مقدمة ابن خلدون والى القسم الأول من المقدمة انظر بنوع خاص الى منهجه التاريخى والى هذا النقد الذى بسطه ليبين اغلاط المؤرخين وتورطهم فى ضروب من الخطأ فى الحكم تجده قد تصور قواعد علمية لا بأس بها فهو يكره الغرض والهوى ويحذر من أخطار كثيرة تحيط بكاتب التاريخ ، وهو يحبب اليك أو يحتم عليك تحكيم العقل فيما يبدو لك من الحوادث وهو يصل من كل هذا الى استنتاج قوانين قيمة فى النقد التاريخى ٠

ولكنه لا يكاد يعرض لتطبيق هذه القوانين كما يقولون حتى يتورط فى مثل ما تورط فيه المؤرخون من قبل لأنه متأثر بمجد القدماء وصلاح القدماء وطهارة القدماء وانحطاط المعاصرين وفساد أخلاقهم وأحوالهم ٠٠٠ وهو اذا اراد أن يدفع عن الرشيد ما اتهم به من العبث والمجون لم يذهب مذهب المؤرخين فى ذلك انما تحدث اليك بأن الرشيد كان يصلى مائة ركعة فى اليوم وكان يحج سنة ويغزو سنة أخرى ٠ واذا كان هذا شأنه فليس من الممكن أن يعبث ولا أن يلهو ولم يفكر ابن خلدون فى أن من حق مؤرخ آخر أن ينكر عليه أن الرشيد كان يصلى مائة ركعة فى اليوم أو أن يزعم له أن الرشيد كان يجمع بين الصلاة وبين العبث ٠ ولم يخطر ذلك لابن خلدون لأن ابن خلدون كان يعجب بالرشيد ويكبره ويريد أن يضعه هو وأمثاله من الخلفاء موضع القدوة الصالحة والمثل الأعلى ٠٠٠

لقد كان رواة العرب ومؤرخوهم الذين عاشوا أيام مجد العرب وعزتهم لا يكرهون أن يصفوا خلفاء العرب وأمراءهم بما يتصف به الناس من نقص ٠ لأن هذا الوصف لم يكن يؤذيهم ولا يؤذى العرب فى أيامهم وحسبك أن تقرأ فى أى كتاب من كتب الأدب والتاريخ لترى خلفاء العرب

وقمراءهم وذوى المكانة فيهم يوصفون بالخير والشر . بالرفعة والضعة . بما هو مشرف وبما هو مزر . ذلك لأن هؤلاء الناس كانوا ناسا لا ملائكة .

يقول الأستاذ وأصحابه أن هذه الأخبار مختلفة منتحلة . وأنا أول من يعترف بأن كثيرا من الأخبار مختلق منتحل – ولكنى لا أستطيع أن أؤمن بأن كل خبر يصف القدماء بما لا يرضى منتحل وأن كل خبر يصفهم بما يرضى صحيح هذا اسراف واسراف كثيرا . انما الصدق والانصاف هو أن نعرض لهذه الأخبار المختلفة بالنقـــد والتمحيص فتتبين بقـــدر ما تستطيع ما كان منها صـــادقا وما كان منها منتحلا،وانا أزعم ان كثيرا جدا من هذه الأخبار صادق . وأزعم أن كثيرا جدا من خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا كما يقول الرواة يعبثون ويصطنعون ضروبا من اللهو كان يكرهها الدين .

لقد كان « اغسطس » ، « ويقريوس » « ونيرون » كبار الكهنة فى روما ولكنهم كانوا قياصرة أيضا . فكانوا يؤدون للدين حقه وكانوا يؤدون للدنيا حقها . ولقد كان لويس الرابع عشر والخامس عشر مظهرا لقسوة المسيح فى فرنسا ولكنهما كانا فى الوقت نفســه مظهرا لسلطان الفرنسيين وثروة الفرنسيين ومجون الفرنسيين فكان يصليان وكانا يعبثان وكانا يسمعان وعظ آباء الكنيسة وخطبائها . وكان هـــذا الوعظ يوجه اليهما عنيفا مخيفا كأنه الصـــواعق فيعجبان ويفزعان من ســـخط الله وينصرفان الى القصر فما هى الا ان يتورطا فى الموبقات . ولا نقل كان هذان مسيحيين وكان قياصرة الرومان وثنيين وكان خلفاؤنا مسلمين . فقد تختلف الديانات فى جوهرها لكن الأثر الدينى فى نفـــوس الناس واحد لا يكاد يختلف فمن المسيحيين والوثنيين أتقياء كما أن من المسلمين والاسرائيليين أتقياء ورعون . لا تقل ان مجد العرب وما كانوا يأتون من جلائل الأعمال وما كانوا يقومون به من فتح وبسط السلطان كان يحول بينهم وبين اللهو والعبث . فأنا أذكـــر لك أن اغســطس لم يكن خاملا ولا عاجزا . وأن لويس الرابع عشر لم يكن كسلا ولا مغرقا فى النوم . وما رأيك فى أن عصر الثورة الفرنسية وهو عصر الجد المفزع المخيف كان أشد العصور الفرنسية دعابة ومجونا . وكانت تجرى فيه أنهار الدماء وأنهار الخمر .

(فن كتابة المقال)

وما رأيك فى هذا العصر الذى نعيش فيه ؟ وما رأيك فى الحرب الكبرى وما جرت على أوربا من هول ؟ أتظن أن الأوربيين انصرفوا الى جد هذه الحرب واخطارها عما فى الحياة من عبث ولهو .

كلا لقد ازداد سلطان اللهو ثباتا فى أوربا . ولقد كان الجندى يقتتل ويتعرض لألوان الهول حتى اذا ظفر باليوم أو الأيام بعيدا عن ساحة القتال اندفع فى لذاته وشهواته اندفاعا لم يكن يعرفه قبل الحرب فلم يكن الدين اذن ليمنع الأمويين والعباسيين أن يستمتعوا بلذات الحياة ولم يكن الفتح ليمنعهم أن يستمتعوا بهذه اللذات ، ولم يكن العلم بينهم وبين ذلك ، فما كان حظهم من العلم بأكثر من حظ المعاصرين من أهل أوربا وأمريكا ولقد كان حظهم من اللذة أقل من حظ المعاصرين من أهل أوربا وأمريكا وهذا خليق بنا أن نتدبر حين نقرأ التاريخ ونحاول فهمه وتفسيره . خليق بنا أن نفهم قانونين وضعهما ابن خلدون ، ولكن أن نفهمهما أحسن مما فهمهما ابن خلدون ، وهما أن الناس جميعا متشابهون مهما تختلف أزمنتهم وأمكنتهم ، وأن الناس جميعا مختلفون مهما تشتد بينهم وجوه الشبه . ويجب أن نفهم هذين القانونين وأن نحسن الملائمة بينهما ، وأن نعرف فيم يختلف الناس وفيم يتشابهون ؟ وما أثر هذا الاختلاف وهذا التشابه ؟

ونحن اذا فهمنا هذين القانونين عرفنا أن العصر العباسى قد كان كغيره من عصور المجد والحضارة ـ فيه جد وهزل . وفيه شك ويقين .

وأنا أزعم وأعتقد انى قادر على اثبات ما أريد ، وأن القرن الثانى للهجرة قد كان عصر لهو ولعب وقد كان عصر شك ومجون . وكل شىء يثبت صحة هذا الرأى . فقد كان هذا العصر عصر انتقال من بداوة الى حضارة ومن سذاجة الى تعقيد . ومن فطرة خالصة الى علم وفلسفة وقد كان فوق هذا كله عصر امتزاج أمم مختلفة وشعوب متباينة منها البدوى ومنها الحضرى ومنها الجاهل والعالم ، ومنها الغنى والفقير ومنها الهادىء والحاد ، افتريد أن تختلط هذه الأمم وتمتزج هذه الشعوب دون أن تضطرب لهذا الاختلاط والامتزاج .

أخلاق وعادات ونظم ودون أن ينهار بناء قديم ويقوم بناء جديد ؟ انك لا تستطيع أن تمزج طائفة من عناصر الكيمياء المختلفة دون أن يحدث

لهذا الامتزاج اضطراب وانقلاب جديدان أفتريد أن يمتزج العربى والفارسى والرومى وأن تبقى الأخلاق والعادات كما كانت دون أن ينالها فساد أو اضطراب ؟ ذلك شىء تستطيع أن تفترضه فى الخيال فأما فى الحياة الواقعة فليس اليه من سبيل .

ها نحن أولاء عاشرنا الأوربيين معاشرة ليست بالقوية ولا المتصلة فانظر الى أثرها القوى العميق فى حياتنا العامة والخاصة .

ثم حدثنى عما يمكن أن يحدث لو أن الاتصال بيننا وبين الأوربيين كان من القوة والعمق بحيث كان ، الاتصال بين العرب والفرس والروم لست أدرى لم نفرق بين هذه العصور والأجيال المتشابهة وان اختلفت المتفقة وأن افترقت يجب أن يفهم قانونى ابن خلدون فالناس جميعا متشابهون مهما تختلف أزمنتهم وأمكنتهم مختلفون مهما تشتد بينهم وجوه الشبه .

أنا أزعم اذن أن القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون وأزعم ان كل شىء فى هذا العصر يؤيد هذا الرأى . وحسبى أن الفت نظر رفيق بك الى أن هذا القرن قد بدأ بخلافة الوليد بن يزيد وختم بخلافة الأمين بن الرشيد وأحب أن يقارن بين هذين الخليفتين . ثم الفت نظر الأستاذ الى بشار ومطيع وأبى نواس والرقاشى والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وحماد عجرد ويحيى بن زياد وابن المقفع وابان بن عبد الحميد وغيرهم من الشعراء والمفكرين . ولا أريد أن أذكر الفقهاء وأصحاب الكلام مخافة أن يغضب المتحرجون .

الفت نظر الأستاذ الى هؤلاء جميعا وأحب أن يقرأهم ويدرس حياتهم على هذه القاعدة وهم أنهم أناس لا ملائكة .

ولكننى أخشى ألا يفعل الأستاذ لأنه اتخذ لنفسه قاعدة تقديس القدماء أما أنا فلا اقدس القدماء ، وانما انظر اليهم كما انظر اليك والى نفسى . واعلم انهم مثلك ومثلى يجدون من يعترف بأن كثيرا من الأخبار مختلق منتحل ولكنى لا أستطيع كل فيما مضى)(١) .

---

(١) معارك طه حسين الأدبية والفكرية .

والمقالات السابقة مقالات نقـــدية تنـاولت تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول موضحة خصائصه من وجهة نظر د٠ طه حسين تلك الوجهة شديدة الواقعية شديدة المنطقية ، كثيرة الاعتماد على العقـــل ٠ وهو يعتمد فيها على أصول النقد التاريخى كما عرفه ابن خلدون وكما درسه على أيدى أساتذته الأوربيين وأرى انه فى هذا المقال قـد ناقض أراءه بعض المناقضة وذلك لحكمه على العصر العباسى الأول بأنه عصر شك ومجون على الرغم من رأيه فى نفس المقال والذى يقول فيه :

(٠٠٠ العصر العباسى قد كان كغيره من عصور المجد والحضارة ـ فيه جد وهزل ، وفيه شك ويقين) ٠

ورأى الأستاذ رفيق العظم فيــه الكثير من العاطفية وتقـــديس القـــدماء ٠

دارت بين طه حسين وغيره من كتاب عصره ومؤرخيه ونقاده كثير من المعارك التى تمثل الصراع بين أنصار القديم ودعاة التجديد ٠ وقـــد هيأت هذه المعارك لانتعاش الفكر العربى الحديث ، وأسفرت عن أدب عربى حديث له مكانته وأصبح المقال فى هذا الطور أوضح فكرة وأشمل موضوعا وأكثر تفرعا كما أنه أصبح كالكتاب الصغير أو البحث المدروس دراسة أكثر وعيا وقد اتسعت فى بعض أنواعه ثقافة الكتاب وظهر فيــه عمق المعنى مع وضوح الأسلوب وسهولته ويسره ٠

ومن أمثلة المقالات الأدبية النقدية التى ظهر فيها الكثير من ضروب المعرفة وألوان الثقافة وحقائق الأدب ، والتى أوجدت وعيا علميا وفنيا ٠

كتب د٠ محمد عوض محمد نقدا لكتاب على هامش السيرة هذا نصـه(١) : « اذا ذكرت كلمة « الســيرة » فى هـــذه الأقطار الفسيحة التى يظلها الاسلام فانها لن تنصرف الا الى معنى واحد والى سيرة واحدة هى سيرة محمد بن عبد الله ﷺ ٠٠ وهيهات أن يكون فى الدهر كله سـيرة أطيب نشرا وأعذب ذكرا من سيرة هذا النبى الأمى ،

(١) مجلة الرسالة ١٨/١٢/١٩٣٢ ٠

الذى نشأ وسط الصحراء المقفرة المظلمة فلم يلبث أن ملأ العالم خصبا ونورا وانى لأجلس الساعة لأقول كلمتى الضعيفة فى هذا الكتاب الذى بين يدى — تعود الى خاطرى ذكرى عهد بعيد كنت أطلب العلم فى مدرسة المعلمين ، وكنت أكثر من الاختلاف الى دار الكتب المصرية حيث أعكف على مطالعة الأسفار التى لها صلة بسيرة هذا النبى الكريم وكنت أكثر على الخصوص من مطالعة ما كتبه المستشرقون عن الاسلام وعن الرسول عليه السلام . فكنت أحيانا أجد ما يطفىء الغـــلة وتبرق له الأســـارير وينشرح له الصـــدر . فانطلق الى دارى راضـــيا ، تمـلأ قلبى الغبطة والسرور . وأحيانا كنت — ويالالأسف ! — أقرأ ما يبعث فى القلب حنقا وكمدا فانصرف الى منزلى حزينا كئيبا مكلوم الفؤاد .

ولست أدرى تماما ما الذى كان يجذبنى الى كتب المستشرقين فى تلك السنين مع أنها كتبت فى لغة غير لغتى وكنت أجـــد فى مطالعتها عسرا ومشقة .. لعلى كنت أقبل عليها اذ يشوقنى الانصات الى شهادة غير المسلمين بفضل الاسلام ، لكنى أرجح الآن أن هناك سببا آخر أدق وأخفى وهو انى كنت ألتمس سيرة محمد بن عبد الله ﷺ فى تلك الكتب غير العربية لأن ما كتب فيها — على علاته — ســهل التناول ، متســق الوضع ، ولهذا لم تنته أيام دراستى فى ذلك العهد حتى طالعت مثـــلا مؤلفات « السيد أمير » على الانكليزية ، ولم أستطع أن أقرأ جزءا واحدا من سيرة ابن هشام . وكان أكبر ما ينفرنى من هذه الكتب القديمة ذلك الاكثار من الأسانيد وادخال الحديث فى الحديث بحيث يختلط الكلام على غير من تعود مطالعة هذه الأسفار .

ولقد شكوت الى الأستاذ د. طه حسين أننى بت مضطرا — قبل أن أبدى رأيا فى كتابه الجديد — الى مطالعة هذه الأســـفار القديمة وانى سأعيا بكل هذه الأسانيد الطويلة العريضه ، وهـــذه الأخبار المتداخـل بعضها واستمتاع بها .

فقال الأستاذ : ان ألذ شىء عندى فى كل ما أطلع وأقرأ هو هذه الأسانيد الطويلة التى تنفر منها وليس شىء أحب الى من أن أنصت الى الخبر أو الحديث وأتتبعه من أول الرواية الى آخرها .

فعجبت أولا كيف يتسنى لانسان ذوى ذوق سليم أن تحلو له قراءة العنعات التى لا تكاد تنتهى . لكنى لم ألبث أن أفهمت أن المـرء متى عرف الرواة جميعا وعلم من أمر كل منهم شيئا . فان هذه الأسماء لاتصبح مجرد أسماء ، بل أشخاصا تعرفهم يتحدثون اليك ، وتعلم أيهم تستطيع أن تركن الى كلامه وروايته .

وبعد أن شرح لى الأستاذ هذا الأمر الذى أشكل على وتبينت ـ أو على الأقل ثبت لدى ما كنت أتوهمه من أمره وما أكاد أثبته ـ أن ثقافة د. طه حسين الحقيقية هى ثقافة أزهرية متينة قوية الأساس ضـــخمة الدعائم ، وطيدة الأركان . وأن ليست ثقافته الغربية التى نسمع عنها الشىء الكثير ، الا رداء وطلاء أن بهر العين منظره فانه لا يذهب الى غور بعيد . وقديما قال نابليون فى الروس : انك اذا حككت الروس بدا لك التترى . وفى وسعنا أيضا أن نقول اذا حككت طه حسين برفق بدا لـ كالأزهر القح الصميم بكل ما تحمله هذه الكلمة من فضل وعلم .

وقد استطاع طه حسين ـ على غير عمد ـ أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان والرومان والسكسون واللاتين ، وأثارته هذه الزوابع التى برع فى اثارتها أثناء كلامه عن أشخاص مثل ديكارت وليبنتز وبودلير وعن التجديد ، وما ادراك ما التجديد .. فلعل أصدقاء طه حسين أن يحمدوا للشخص الضعيف كاتب هذه السطور أن كشف لهم من أمر صديقهم ما خفى عليهم طوال هذه السنين .

وبعد فان بين يدى كتابا ليس موضوعه جديدا على قـــراء هـــذه الصحيفة فان الفصول الثلاثة الأولى قد ولدت مع الرسالة وظهرت فى أعدادها الأولى وأعرف أن الكثير من قرائها قد راقهم من الموضوع جدته وطرافته ولست أشك فى أن بهم شوقا للاستزادة من تلك الفصول . فهاهو قد أتمها أربعة عشر فصلا ، وما أظن ـ وما أرجو ـ أن سيقف بها عند هـــذ الحـد .

ان كتب د. طه حسين بين صـنفين : الأول كتب أدبية بحتة ، والثانى كتب فى نقد الأدب وفى تاريخه . وهو نفسه ينعت هذين النوعين

بالأدب الانشائى والأدب الوصفى ، يمثل الأول مثل شكسبير ، ويمثل الثانى كاتب مثل سانت بوف . أن يكون شاعرا فلم يأت بعظيم ، فانقلب الى النقد ولسان حاله يقول: من استطاع فليكتب،ومن لم يستطع فلينقد!

فى هذه العبارات شىء من التحامل على الناقدين ، وقد أوردناها على هذه الصورة عمدا لأننا لا نريد أن نتحامل على طه حسين الكاتب الناقد ، وأن ننتصف منه لطه حسين المؤلف الأديب. فقد رأينا فى الأستاذ أحيانا ولعا بالانصراف الى النقـــد والى المؤلفات النقدية مثل حـــديث الأربعاء ، وحافظ وشوقى ، والأدب الجاهلى . ولقد تعجبه هذه الضجة التى تبعثها كتاباته ويغتبط بهذا العسير الذى يثيره فى الفضاء يملأ به الجو حينا من الزمان .

والحقيقة التى نرجو أن يدركها الأستاذ قبل فوات الأوان هى أن الصفحة الواحدة من كتاب الأيام أبقى من كتاب الأدب الجاهلى كله .

وليس لطه حســـين اذن فى الأدب البحت ســـــوى كتب ثلاثة : « الأيام » ، « وفى الصيف » ، « على هامش السيرة » الذى بين أيدينا ويمتاز هذا الكتاب الجديد عن سابقيه بأن المؤلف لم يلجأ هنا الى حوادث حياته الخاصة ، بل انصرف الى الأخبار القديمة ، فالتمس وحيه بين صفحاتها .. والذى يدهش له القارىء ان يرجع الى تلك الكتب القديمة ثم يعود الى (هامش الســيرة) فيرى أمامه شـــيئا مبتدعا مخترعا ، وجدة جذابة مطرافة معجبة . ومع هذا كله لا يرى خروجا عن الأصول التى استوحاها المؤلف واستهلمها .

اعتمد طه حسين على الكتب القديمة كما اعتمد شكسبير على قصص فلوطرفوس وأمثاله ، وشـتان بين الســـبيل التى سلكها شكسبير وبين الأصل الذى استرشد به .. وكذلك كان طه حسين يتناول الحادث الذى يمر به قارىء السيرة عجلا ، دون أن يلفت نظره منه شىء ، يتناوله ثم يأخذ فى تصويره وتحليله وابرازه واظهاره وتقليبه على نواحيه ، حتى يثبت أمام العين وثوبا ، ويبدو ما فى الحادث البسيط من حكمة وشعر ، ومن قوة وسحر ، واكبر شىء ساعد طه حسين على تأليف كتابه هذا هو مقدرته على تبين الموقف الذى ينطوى على شىء كثير من الحكمة ومن

الشعر فيختار هذا الموقف ثم لا يزال يصقله ويجلوه حتى يبديه للعين رائعا مجسما ملموسا . وقد خدمه التوفيق فى الكتاب كله ، فان الفصول وان - تفاوتت أحيانا - فانها جميعا تشهد بحسن الاختيار والابداع فى التصـــوير .

وقد أصبحت أشخاص هذا الحديث ، وليست أســماء مجــردة ، وألفاظا مسطورة بل كائنات حية بارزة نكاد أن نحسها ونراها تتحرك بين ايدينا وقد أبدع طه حسين أيما ابداع فى وصف شخصية عبد المطلب ووصف حياته منذ أن أخذ فى حفر زمزم الى التقائه بأبرهة الأشرم ، الى رقاده رقدة الموت بين الأبناء والأحفاد . يصف طه هذا كله فنرى الصور أمام أعيننا ماثلة قوية لا لبس فيها ولا ابهام .

فى الكتــاب الشىء الكثير الذى يســتثير الاعجاب ، ولكن أكبــر ما يعجبنا فيه هذا الابداع فى تصوير الأشخاص العـــامة - شخص عبد المطلب خاصة ، ثم هذه الحياة التى تنتظم المناظر والمواقف ، بحيث يسرى القارىء عن نفسه ، وقد نقل نقلا الى ذلك الزمان وتلك الأمكنة .

وقف المؤلف فى هذا الكتاب على (هامش السيرة) ، لم يقف فى وسطها ولا بعيدا عنها بل على هامشها - وقد كان من حسن التوفيق أن اختار هذا الموقف الذى مكنه من أن يبتعد عن السيرة أحيانا اذا دعا لذلك داع ثم يعود اليها بعد أن يطوف بالآفاق معرجا على بلاد الروم والأحباش واليمن وقد اضطر الى أن يبتعد عن السيرة قليلا لكى يشرع لنا ماذا دعا أبرهة الأشرم الى الاغارة على البيت الحرام فى العام الذى قدر للعالم فيه أن يستقبل أكرم أبنائه وأشرفهم . فلقد جاء أبرهة من الحبشة الى اليمن لكى يؤدى يهود اليمن على اضطهادهم للمسيحيين الذين استوطنوا بعض جهاتها .. وهذا كله اضطر المؤلف الى أن يرينا كيف حلت اليهودية محل الوثنية ، وكيف انتقلت اليهودية الى بعض نواحى جزيرة العرب ، وكيف حملها « تبع » ملك اليمن الى صنعاء والى اليمن . ثم كيف أخذت النصرانية تنتشر وسط الاضطهاد والمذابح فى مختلف الأنحاء : فى مصر وبلاد الحبشة وفى نجران من بلاد اليمن . وكيف قام يهود اليمن فذبحوا نصارى نجران . وجاء الأحباش الى اليمن ليثأروا من اليهود . وكيف

بقى أبرهة الحبشى حاكما على اليمن ثم حـاول أن ينشر المسـيحية فيها وفيما جاورها من الأقطار • وهكذا أقبل على الحجاز بجيشه وفيلته • وأراد أن يدمر الكعبة فرده الله ودمره هو وجنوده • وفى تلك السنة ولد الصبى اليتيم محمد بن عبد الله •

كان لابد للمؤلف أن يبتعد عن السيرة قليلا ، لكى يشرح لنا كل هذه الحوادث واضطر لأن يقوم بهذا الشرح فى خمسـة فصـول (من السادس الى العاشر) تحس أثناء قراءتها أن المؤلف يكتب فى شىء من السرعة والايجاز كأنما يخشى أن يطول غيابه عن مكة وأهلها ، وعن السيرة وما يحيط بها فهو يريد أن يسرع بالعودة اليها ، وهو لهذا مضطر أن يلخص الحوادث على خطورتها تلخيصا ، ويكتفى فى بعض المواضع بأن يلم بها الماما •

ولقد هممت بأن أؤاخذه على هذا لولا أنى كنت ذكرت أن المقام لا يحتمل الاطناب ، وأن الاطناب فى نقش الاطار يحجب جمال الصورة ويضعف تأثيرها •

برغم هذا كله فان فى هذا الوصف العجل للحالة الروحية فى الشرق قطعا هى آية فى دقة الخيال والتصوير • وان كان لابد من الاستشهاد فلنذكر للقارىء على سبيل التمثيل تلك القطعة التى يعرض علينا فيها آلهة اليونان فيرينا ابولو والمريخ وارتيمس وأثينا وقد اجتمعوا لينظروا فيما عساهم يفعلون ، فلم يلبثوا ان اجمعوا أمرهم على أن يرحلوا عن الديار التى سادوا فيها زمنا طويلا ، وتحكموا فى أهلها قرونا وقـد آن لهم أن يتراجعوا أمام هـذه الآيات السـماوية الجـديدة التى محتهم ونسخت دينهم •

بمثل هذا الحوار الشعرى الجميل يصـف لنـا المؤلف كيف زالت اليونانية وحلت محلها اليهودية والنصرانية • وهذه القطعة وحدها تشهد بأن المؤلف قد رزق النصيب الأوفر من خصوبة الخيال والقدرة على الباس الحادث العادى ثوبا شعريا رائعا •

وهنالك فائدة أخرى استفادها المؤلف فى موقفه (على الهامش)

ذلك أنه استطاع ألا يتقيد بالترتيب الزمنى للحوادث ، فاذا بدا له أن يسهب فى وصف شخصية راقته وأعجبته اندفع فى وصفها الى النهاية ، لا يلفته عن ذلك حادث أو خطب . فقد أعجب - مثـلا - وحق له أن يعجب بشخصية أم أوفى فى النساء حاضنة النبى ﷺ ، فلم يزل يصف حياتها منذ ولادة محمد بن عبد الله الى أن شـهدت عهد أبى بكر وعمر وعثمان ، ثم يعود بعد ذلك الى حديث الرضاعة ووفاة عبد المطلب .

وهذه الخطة التى الزم بها المؤلف نفسه قد تبـدو غريبة وربما أعترض عليها بأنها تدفع بالقارىء من أول السـيرة الى عصر الخلفاء الراشدين ثم تعود به مرة أخرى الى بدء السـيرة . ولا تزال بالقارىء هكذا ذهابا وايابا . ومع أن لهذا النقـد وجاهته التى لا شك فيها فان للمؤلف عذره بأن الذى يريد أن يكتبه ليس حديث السـيرة بالذات بل دراسات مستقل بعضها عن بعض ، وفى وسع القارىء أحيانا أن يطالع الفصل مقتطعا من الكتاب فلا يكاد يفتقر الى ما سبقه .

بقيت كلمة لابد منها عن أسلوب الكاتب ، أى طريق الأداء ، عن المعانى والابانة عما فى صدر المؤلف .

ان لطه حسين من السيطرة على اللغة العربية التى لا تضارعها لغة فى قوتها وفصاحتها ، كما لا تضارعها لغة فى شدتها ومنعتها ، ان لطه حسين من السيطرة على هذه اللغة وعباراتها المتينة الرصينة مالا يعرفه الا الذين عاشروه عن كثب ورقبوه وهو يعمل فى قوة ونشاط ومتى وفق الى اختيار الموضوع الذى يرضـاه وهداه خياله الواسـع الى طـريقة معالجته ، فقد هان الأمر وسهل كل شىء ومضى فى الاملاء كما يتدفق النهر الجارى .

غير أننا اذا كنا نشكو شيئا فانا نشكو هذه القوة بعينها السيطرة التى قد تطغى أحيانا فتدفع الكاتب الى التعسف والى الابتعاد عن الطريق التى يسلكها الناس جميعا . انظر اليه مثلا اذ يحدثك عن الدمع الذى يتساقط غزيرا من العينين فيقول لك أنها دموع غلاظ ويكفى أن يعلم طه أن الناس جميعا يقولون دموع غزار ، لكى يقول هو دموع غلاظ .

هذا الشيء ، والقليل منه مما قد يصادفنا فى الكتاب ، ســنة من ســنن القوة والسلطان رأيناها من قبل فى مثل أبى تمام وأبى الطيب المتنبى الذى كان يتعمد قول الشيء الغريب النادر ، لأنه قوة ولأنه مدل بقوته ولأنه لا يبالى بالأرض ومن عليها ٠

وما أحسن المثل العامى الشهير (العافية هبلة !) ٠

على أن المؤلف فى هذا الكتاب قد أدى معانيه بلغة فيها بلاغة وابداع يفوقان حتى الذى ألفنا منه وتعودناه ٠ والسبب فى هذه الاجادة سهل ايضاحه : فان الموضوع الذى يعالجه هنا موضوع عربى صميم والبيئة عربية خالصة ، والمتكلمون من قريش وغير قريش من الناطقين بالضاد ٠ وهذا كله قد أتاح للمؤلف فرصة لأن يتدفق فى نهره العربى الفصيح الذى لا توشبه عجمة اللاتين ولا التواء الساكسون ٠ فانطلقت سـليقته العربية حرة طليقة ٠

وأكبر الظن أنه هو ليس مدركا لهذا الأمــر ٠ ومع ذلك فان فى الكتاب قطعا قد بلغت فى الأسلوب الشعرى منزلة يصعب أن نجد لهـا ضريبا ٠ حقيقة ان أمثال تلك القطع ليس فى كل مكان من الكتاب ولكنها فى كثير مـ نالمواضع ، بحيث يصبح من العبث أن نستشهد هنا بقطعة أو قطعتين ، ولابد للقارىء من الرجوع الى الكتاب كله ولابد من قراءته فى تأمل وتمهل وتذوق لهذه الفصول الرائعة التى يسمو فيها النثر حتى يضاهى الشعر ، ويؤثر فى النفس تأثيرا شعريا خالصا ٠

وللمؤلف شغف بالوضوح والبيان فهو لا يحاول أن يســتر معنى ولا فكرة بستار أو غشاء فهو ليس من عشاق الغموض ، بل أنه ليسرف فى حبه للوضوح والجلاء اسرافا ٠ ولهذا نراه يكثر من التكرار وقد يعده الناس من ضرورات النثر المنسجم ولهم فى هذا بعض الحق ولكن أكبر الحق فى هذا أن الذى يدفعه الى تكرار اللفظ من آن لآن هو رغبته فى أن يفهم عنه ما يقول من غير لبس ولا ابهام ٠

والآن وقد أوشك هذا النقد أن يختم ، يتردد فى النفس سؤال من ذلك الطراز الذى يدفعنا الى الفضول الأدبى ٠ وهو من أى أنواع الأدب

هذا الكتاب الذى بين أيدينا ؟ أهو رواية قصصية تاريخية ؟ أهو من نوع المقامات أم مجرد مقالات ؟

ولست أدرى ، ولع النقد بتصنيف كل شىء وتسمية كل أثر ولئن كانت الفاكهة لذيذة شهية ، فهل يضيرنا أن نجهل اسمها ؟ ان الفكـــر البشرى ما برح مولعا بأن ينسج على غير منوال .لكن اذا اجتهدنا نجد لهذا المؤلف شبيها بين المؤلفات فلعل أقرب شىء يشبهه هو تلك الملاحم التى تصـــف العصـــور الغـابرة ، وتجمع بين القـــوة والاعجاز . هذا رأيى »(١) .

والمقال السابق مقال نقدى سلك فيه صاحبه الأســـلوب الأدبى فى اختياره لألفاظه وطريقة تصويره ، وقد بـــدأ بتعريف للكتاب ثم بيان مميزاته مع الاســـتعانة بالشـــواهد والأمثـــلة التى تدعـم رأيه وهى كثيرة تخص اختيار الموضوع ومنهجه وأسلوبه وألفاظه وعاطفته واستعانته بالبيان ، كما أنه لم يغفل بعض وجوه القصور التى تركزت فى مخالفته للعرف فى اختياره للألفاظ ، وفى المنهج الذى اتبعه .

وأسلوب الكاتب فى نقده أسلوب سهل واضح بعيد كل البعد عن الالتواء والغموض ، وهو أسلوب ناقد يبين المزايا والعيوب لا أسلوب عدو مخاصم يهدم ويستهزىء ويجرح .

وان كنت أشعر بشدة تعاطفه مع د. طه حسـين وميـــله اليه . ولا أوافقه على عدم الاهتمام بتصنيف الفنون الأدبية وتحـــديد أنواعها فهذا أسلوب غير علمى فى البحث ، وتحديد النوع الأدبى يعين الناقد على تقويمه وبيان وجوه الكمال والنقص فيه . كما أنه أخطأ فى تعريفه الملحمة فالملحمة لا تعنى فقط مزج الحقيقة بالخيال فى القصص المأخوذ من التراث القديم بل لها حدود أكثـــر من ذلك وهى أنها من الشـــعر القصصى الذى يحكى بطولات خارقة وأبيات الشعر فيها تصل الى عشرات آلاف من الأبيات ... الخ وعلى هامش السيرة ليس فيها من هذا شىء كثير ولا قليل .

---

(١) معارك طه حسين الأدبية والفكرية ، ص ١٤٠ _ ١٤٧ .

والصحافة فى هذا الطور أبرزت كل جديد وذكرت كل مناسبة وكل عيد ومن المقالات الثقافية ما دار حول المجمع اللغوى الجديد ٠

ففى مناسبة مرور خمسة أعوام على انشاء مجمع اللغة العربية حيث انشىء عام ١٩٣٢ ليحافظ على سلامة اللغة ويجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون والآداب ملائمة لحاجات العصر ٠ أجرت جريدة الأهرام حديثا مع عميد كلية الآداب د٠ طه حسين حول طبيعة مجامع اللغة فى العالم، وهل هذه المجامع ضرورة من الضروريات اللازمة لحيـــاة الأمم ؟ وأى المجامع الأجنبية فى رأيه أقرب الى طبيعة المجمع اللغوى العربى ٠ وفى الحديث هاجم د٠ طه حســين بعض مشروعات المجمع وفى مقـدمتها اهتمامه البالغ باللهجات ، فقال : ان هذا من شان كليات الآداب بالجامعة أو المعاهد المتخصصة ، وطالب بأن يهتم المجمع أكثر باحيـــاء الآداب العربية ، وقرر أنه ان كانت القوانين تعوق تحرك المجتمع فى سبيل ذلك فلتعدل هذه القوانين ٠ وكانت هذه الآراء الجريئة بمثابة الشرارة الأولى لاشعال معركة كبيرة اشترك فيها عدد من الصـحف وعـــدد من الكتاب والمتخصصين وفى مقدمتهم د٠ منصور فهمى كاتم ســر مجمع اللغـــة العـــربية ٠

لقد وجهت الأهرام أسئلتها للدكتور منصور فهمى فصرح بما يخالف آراء د٠ طه حسين وعلى الأخص فى موضوع اللهجات ، وبأن من حق المجمع اللغوى ان يواصل هذا المشروع الذى من شـــأنه توحيد اللهجات العربية ورفعها بلغة سليمة فصحى توحـــد بين الجميع فى الكتابة وفى والتخاطب ، وقد أكد الدكتور مسئولية المجمع فى وضع اصـــطلاحات العلوم ، وقد رد د٠ طه حسين فى الأهرام بأن المجمع يضحك منه الناس لو أنه انصرف الى وضع الاصطلاحات عن العناية بصـــفاء اللغة ونقائها فالعلماء هم وحدهم الذين يضعون اصطلاحات منهم ٠ والفاظهم الخاصة وما ينبغى لغيرهم حتى ولو كان مجمعا لغويا أن يشاركهم فى ذلك وهذا نموذج من مقالات الدكتور طه حسين التى نشرتها جريد الأهرام بتاريخ ٤ - ٣ - ١٩٣٧ بعنوان (طبيعة مجامع اللغة) آراء لعميد كلية الآداب وهـــذا نصـــه ٠:

- تحتفل اليوم دوائر مجمع اللغـــة العـــربية الملكى بفض الدورة

الحاضر بعد أن عقد حضرات أعضائه الجلسات القانونية التى نص على عددها فى مرسوم انشائه . ويستقبل الناطقون بالضاد فى العام القادم مجمع اللغة العربية ان شاء الله فى هيئته الجديدة وتاليفه الجديد .

ثم بدأ د. طه حسين يصف طبيعة مجامع اللغــة ، وكونها ضرورة من الضروريات اللازمة فى حياة الأمم ثم قال :

سمعت ما دار حول هذا الموضـــوع فى مجلس النواب والظاهر أن البرلمانيين قد فهموا أن عمل المجامع هو وضع الاصطلاحات العلمية ، وهذا خطأ ولا يتفق وطبيعة المجامع وذلك لأن وضع الاصطلاحات العلمية ليس من عمل المجامع ولا يصح أن يكلف المجمع وضع المصطلحات لأنه غير مختص وانما أصحاب كل علم وحدهم الذين يضعون الاصطلاحات لعلمهم ، والمجمع يسجل من هذه الاصطلاحات فى المعجم ما يراه ملائما لأصـــول اللغـــــة وروحها . وانها لكارثة كبـرى أن يكلف مثلى بوضع الاصطلاحات فى الطب والطبيعة والفنون العلمية المختلفة مع أن تسمية الأشياء ، يجب أن تكون نتيجة للعلم بها .

فالدكتور على أبراهيم باشا وأصحابه هم وحدهم الذين يجب أن يضعوا الاصطلاحات للطب والمجمع عليه أن يســـجل ليس غير ولو أن الأكاديمى الفرنسية عنيت بوضع الاصطلاحات للعــــلوم والفنون لكانت موضع سخرية الفرنسيين جميعا والعلماء فى مقدمتهم فمن العبث اذن أن يكلف المجمع بوضع الاصطلاحات أو أن يضيع وقته فيها ، ذلك فضلا عن الأشياء المادية التى تتصل بحياتنا اليومية فاى أعضاء المجمع يستطيع أن يضع الأسماء لأجزاء (الأتوموبيل) أو أى آلة من الآلات المستحدثة التى لا عهد للعرب بها ...

وهنا مسألة أخرى هى مسألة اللهجات فليس المجمع مدرسة لدراسة اللهجات فى معاهد خاصة تلحق بالجامعات وبكليات الآداب بنوع خاص وما أعرفه أن المجمع الفرنسى مثلا لم يعن فى يوم من الأيام باللهجات بل هو يحاربها لأن عمله الأول انما هو الاحتفاظ بنقاء اللغة وصفائها .

فاذا أريد درس اللهجات العربية القديمة كما تمثلها قرارات القرآن

الكريم فهذا شىء متصل بالمعجم التاريخى وبالنحو والصرف وهو شىء مخالف كل المخالفة لما يراد من درس اللهجات الحديثة .

وعلى كل فهذا العلم الحديث لا يدرس فى المجامع اللغوية وانما يدرس فى المعاهد والجامعات .

بقيت مسالة احياء الأدب العربى ، وأنا أعتقد بكل اخلاص أن المجمع اللغوى اذا لم يكن من عمله نشر الكتب العربية القديمة فلن ينتظر منه كثير فقد رأيت أن ليس من اختصاص المجمع اللغوى العناية بوضع الاصطلاحات وقد رأيت أن اللهجات الحديثة من شئون المعاهد والجامعات ، فاذا لم يعن المجمع بناحية الآداب العربية القديمة وتشجيع الانتاج الأدبى الحديث فلست أدرى لم ينشأ ؟ ولم تنفق عليه الأموال ؟ وقد كان احياء الآداب العربية غرضا من الأغراض الأساسية للمجمع فى المشروع الذى أعده حضرة صاحب السعادة على الشمس باشا حينما كان وزيرا للمعارف ، وصاحب السعادة أحمد لطفى السيد حينما كان وزيرا للمعارف أيضا .

وأيسر ما يقال فى هذا المجمع . اذا أراد أن يعنى ببعض الاصطلاحات العلمية الحديثة التى يضعها العلماء ، كان أول واجب أن يقرأ الكتب العربية القديمة التى ألفت فى هذه الأيام ، فان من المدهش أن توضع الاصطلاحات الطبية التي توجد فى كتب الرازى وابن سينا وما ترجمه العرب عن اليونان فى العصر العباسى .

وكثير جدا من هذه الكتب فى الطب والطبيعة والرياضة والعلوم الطبيعية مقبور يحتاج الى من ينشره . فاذا لم ينشره المجمع ليستعين به على تحقيق الاصطلاحات وعلى وضع المعجم التاريخى فلست أدرى ماذا يصنع المجمع اذن ؟

وعلى كل حال فأنا أعتقد أن القوانين ليست ضربة لازب ، وأن المجمع نفسه سيقترح قريبا تعديل قانونه بحيث يتمكن من المساهمة فى احياء الأدب العربى بالنشر والتحقيق والى أن يتم هذا تسعى الجامعة المصرية فى النهوض ببعض ما تستطيع من ذلك .

(فن كتابة المقال)

وما أقوله أخيرا بالنسبة لهذه المعارك أنها أفادت فائدة كبيرة ونمت الوعى وزادت من ثقافة الشباب فى هذه الفترة كما علمت الكيفية الجادة لمناقشة الآراء ويمكننا أن ندرك أنها لم تعتمـــد فقط على ثروة لفظية ولا موهبة فى فن الكتابة ولكنها ومع اظهارها لوجهـــة نظـــر كاتبها وشخصيته وآرائه الخاصة فقد أوضحت اتساع ثقافات هؤلاء العمالقة من الكتاب ومؤرخى الأدب والأدباء ففى هذه المقالات الى جانب المقـــدرة البيانية نلمح اتقان اللغة العربية وفروعها المختلفة والتاريخ الاســلامى والآداب الشرقية والغربية والقدرة على الجدل والمحاجة وترتيب الأفكار وتسلسلها ووضوحها ٠

هذا الى جانب أن هذه المقالات كانت مادة علمية للباحثين فدرسوها وحللوها ونقدوها ووقفوا على مزاياها ونقائصها ٠

وهنا أقول ان المقالات الأدبية قد نمت نموا عظيما فى هذه الفترة كما أستمرت للمقالات الصحفية مكانتها ٠ والذى أقصده بالمقال الصحفى أنه المقال الذى يتناول المشكلات القائمة والقضايا العارضة من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ٠

والمقال الأدبى يهتم بالأدب ويعرض لمشكلات الأدب والفن والتاريخ٠ والمقالات الأدبية التى تهتم بشئون الأدب ونقده أقرب الى طبيعة المقال وفنه الأصيل من المقال الصحفى،وقد وجد من كتابنا من أجاد فى النوعين مثل الأستاذ عباس محمود العقاد فقد اشتهر فى مقالاته السياسية بحملاته الشعواء على خصوم الوفد الذى كان يدافع عن سياسته ويبرر خططه ٠

والدكتور محمد حسين هيكل امتازت مقـــالاته الصحفية بالفقـه القانونى والتأثر بالمذاهب السياســـية والاجتماعية الحـــديثة والدكتور طه حسين كانت مقالاته الصحفية تظهر فيها ذخائر اطلاعه على الأدب العربى والتاريخ الاسلامى واشتهر بعض الكتاب باجادة المقالة الصحفية دون أن تكون لهم مشاركة مأثورة فى المقالة الأدبية ومن هؤلاء الكاتب الصحفى الأستاذ عبد القادر حمزة ، وقد كان فى مقالاته الصحفية ، من أقدر الكتاب على الدفاع عن وجهة نظر الحزب الذى ينتمى اليه واخراجه من الأزمات التى تعرض له والأستاذ احمد حافظ عوض ، وكان يمزج

مقالاته الصحفية بالفكاهة والسخرية اللاذعة ، د. محمود عزمى وكانت تبدو من خلال مقالاته الصحفية ثقافته الاقتصادية واطلاعه على تيارات السياسة الغربية .

ومن أقدر كتاب المقالة الأدبية الخالصة الأستاذ ميخائيل نعيمة ، والأستاذ جبران خليل جبران ، والآنسة مى (١) .

الطـور الخامس :

وهو يبدء بعد الحرب العالمية الثانية الى وقتنا الحاضر ، وهـذه الفترة واكبت كثيرا من الأحداث منها ثورة ١٩٥٢ ، والعهد الاشتراكى وظهور الميثاق ، وحرب ١٩٦٧ ونكسة ١٩٦٧ وانتصار العاشر من رمضان ١٩٧٣ ، وتغير نظام الحكم فى مصر من الملكية الى الجمهورية، وتعدد الأحزاب السياسية ، وظهور مكانة مصر بين الدول العربية ووقوفها موقف الريادة ، وارتقاء مكانة مصر عالميا ، وقد انعكست كل هذه الأحداث على حياتنا الفكرية وبدا الكتاب يستبعدون المفاهيم القديمة فى الحرية والعدالة والمساواة وتمكن الكتاب خلال هذه الفترة من ممارسة الحرية والشعور بها وانطلقوا فى كتاباتهم دون الوقوف عند حد ، فاتوا بالجديد فى الأدب والفكر .

وظهر فى هذا الطور كثير من الكتاب من أمثال : محمود أبو الفتح وأحمد أبو الفتح وكامل الشناوى ، وعلى ومصطفى أمين ، ومحمد التابعى ومحمد حسنين هيكل ، وزكى نجيب محمود ، وأحمد بهاء الدين وحسين فوزى ، توفيق الحكيم ولويس عوض ، ومحمد زكى عبدالقادر وأحمد الصاوى محمد ، وعلى محمود الجمال ، وابراهيم نافع ، وانيس منصور ومحسن محمد ونجيب محفوظ وغيرهم ممن يعملون فى الصحف المصرية والعربية اليوم ومعظم هؤلاء مازالوا يعيشون بيننا اليوم .

ومن أمثلة المقالات السياسية ما كتبه محمد حسنين هيكل بجريدة الاهرام بعد نكسة ١٩٦٧ تحت عنوان « مصر الالتزام والقدر » جاء فيه :

---

(١) على هامش الأدب والنقد ٢٠٦ .

« لعـــل الموقف المصرى هو أوضـــح المواقف على مسرح الصراع الكبير والخطير الدائر الآن على أرض الشرق الأوسط ، والموقف المصرى ســهل بسبب وضوحه ، وهو لنفس السبب صعب ، والوضوح نهار ، والنهار تعرض ، وذلك بعكس الغموض الذى يمكن أن يكون ليلا ، والليل نهارا .

ومن هنا فلعل الحديث عن دور مصر - فى صراع الأطراف العشرة على أرض الشرق الأوسط - أن يكون فى بعض نواحيه حاصل ...

وهو على احسن الفروض يؤكد اكثر مما يضـــعف ، ويذكر اكثر مما يجـــــدد .

ان مصر كانت - ومازالت - على ارتبـــاط وثيق بمجمـــوعة من الالتزامات هى :

١ - النضال المستمر لتحقيق حريتها السياسية والاقتصادية والعكرية .

٢ - اعتبار حرية مصر مفتاحا للحرية الاجتماعية من اليقين العميق بوجوه التاريخ والمصير .

٣ - نتيجة لذلك يجىء رفض مصر لقيام أى عـــازل جغرافى أو سياسى أو عسكرى بينها ، وبين شعوب الأمة العـــربية ، وخصوصا فى الشرق الأوسط ، حيث الخطر جاثم وعدوانى .

٤ - كان الخطر الذى انتهجته السياسة المصرية فى المجال الدولى تعبيرا عن ذلك كله ، من حيث عدائه للاستعمار وصداقته مع كل القوى المعادية له فى العالم وانتهاج طريق عدم الانحياز .

ولم تكن المشكلة الحقيقية للالتزام المصرى أنه واجه غزوة من أعتى الغزوات الموجهـــة الى الأمة العـــربية ، وهى الغـــزوة الاستعمارية - الصهيونية - ولكن المشكلة الحقيقية كامنة أن الالتزام المصرى واجه هذه الغزوة العاتية فى ظروف مرهقة لأنها - داخل الأمة العـــربية - كانت ظروف الحيرة والتمزق على مفارق طرق التطور .

١ - هل الاطار الصحيح لنضال هـذه الأمة العـربية هو الجامعة الاسلامية أو الجامعة العربية ؟

٢ - هل الهدف هو الاستقلال الوطنى بحدوده الانعزالية ٠٠ أو هو القومية العربية بأبعادها الشاملة ؟

٣ - هل يكون العمل العربى داخل الاطار ، ونحو الهـــدف على أساس المنهج التقليدى ؟ ٠٠ أو أن المنهاج الحتمى هو الثورة لتعويض التخلف وتحقيق النمو ؟

٤ - لما كان كل تفاعل تاريخى يخلق أنبياؤه ، ويخلق ادعياؤه فى نفس الوقت ، فان العالم العربى خـلال ســنوات طويلة دفع كثيرا فى معاناته بحثا عن اجابات على الأسئلة التى واجهت طريق تطوره من هذا كله ، فان مشكلة الالتزام المصرى ، انه كان يقود عالما عربيا تتضارب داخله الارادات فى صراع مع عدد أو أعـداد ، توحـــدت ارادتهم على قهرها فضلا عما يملكونه من أسباب القوة المادية المتفوقة ٠

ان مصر - انصافا وليس تعصبا - لم تهرب من قـــدرها ، وانما واجهته بشجاعة ، ووصلت الى الحزب من أجله على أرضـــها ، وعلى كل أرض عربية ٠

— من ١٩٥٢ - ١٩٥٦ حاربت مصر على أرضـــها حتى تحقق انتصار السويس العظيم ٠

— من ١٩٥٥ ولثلاث سنوات بعدها كانت مصر وحدها تتحمل عبء الثورة الجزائرية ، حتى تنبهت الأمة كلها الى أهمية الحرب من أجل عروبة واستقلال الجزائر ٠

— ١٩٥٧ انتقلت القوات المصرية الى سوريا فى وجه تهـــديد بالغزو من حلف بغداد وقتها ٠

— ١٩٥٨ كانت قوات الجمهورية العربية المتحدة على أهبـــة الاستعداد لحماية ثورة العراق من أى تدخل أجنبى ٠

— ١٩٦٢ ذهبت مصر الى اليمن ، وتركت على جبالها أربعة آلاف شهيد ٠

— كانت هناك قوات مصرية تقطع عرض البحر الأبيض المتوسط لمساندة الجزائر ٠

— ١٩٦٥ كان هناك لواء مصرى مدرع فى بغداد يشـــارك فى حماية الثورة وعندما سحب هذا اللواء بعد ١٩٦٧ – وبسبب الحرب – كانت تلك هى الفرصة التى أنتهزتها عناصر الانقلاب التى أطاحت بحكم عبد الرحمن عارف ، ومهدت لعودة حزب العراق متواطئا مع برطانيا ٠

— ١٩٦٦ كانت مصر تشارك عسكريا فى صنع اسـتقلال اليمن الجنـوبية ٠

— ١٩٦٧ كانت تواجه محنتها الكبرى ، بحـرب شـــاملة مع اسرائيل وكانت بداية الحرب بسبب تهديد موجه الى سوريا ٠

— فى ذلك الوقت – كما قلت – قـــدرت مصر موقفها الوطنى والقومى تقديرا وضعت فيه كل تجربتها ، وكان تقديرها أن الموقف يحتاج الى الفصل ولا يحتاج الى الانفصال ، وأنه بالفعل يمكن أن تستفيد من كل ما ضاع على الأقل ٠٠ وأما بالانفصال فانها تضيع مابقى ٠ كان رأيها فى الشعارات المطروحة أيام الضياع كما يلى :

— وقف اطلاق النار : نعم ، ولكن كى نستطيع بعده أن نعود الى اطلاق النار بكفاءة واقتدار ٠

— الاتحاد السوفيتى : لا يجب أن ننسى أنه اذا كان هناك أمل فى سلاح لن يجىء الا من الاتحاد السوفيتى وحده دون غيره ٠

— الحرب الشعبية : ذلك شعار مشكوك فى نتائجه بالنســـبة لظروفنا وبدلا من أن نقول بالحرب الشعبية ، فليكن قولنا له : حرب الشعب فى المعركة والجيوش فى الحرب هذه المرة ، لا يجب أن تكون تقليدا وانما عليه أن يبدع ، ومع العلم أيضا أنه لابد أن يكون هنـــاك مجال – بالقطع فان هناك مجالا – لفصائل شعبية مسلحة تقوم بدورها فى المواجهة المستمرة مع العدو ٠

وهذا المقال سياسى تحليلى حلل الكاتب فيه وضع مصر بين الدول العربية والتزامها القومى بعد نكسة ١٩٦٧ ودورها فى المنطقة العـربية ونقد خلاله أوضاعا معينة لا يرضاها عربى غيور على وطنه وعروبته ٠ وأسلوب سهل واضح خال من الغموض وفى هذا الطور وجدنا المقالات

الطويلة والقصيرة تهتم بمختلف شئون الحيـــاة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية والادبية والذى ساعد على هذا التطور الكبير للمقالة هو كثرة الصحف اليومية والاسبوعية على اختلاف مقاصدها وتخصصاتها ومن الصحف التى ظهرت خلال هذه الفترة جـريدة أخبـــار اليوم(١) الذى كان صدورها تحقيقا لحلم رواد مصطفى أمين وعلى أمين طوال سنوات عديدة وقد صدر عددها الأول فى ١١ من نوفمبر سـنة ١٩٤٤ ٠ وكان نجاحها كما يقول محمد حسنين هيكل « حـدثا صـحفيا ضـخما وكذلك حدثا سياسيا ، وارجع هيكل النجاح الفورى الذى حققته أخبار اليوم الى عاملين « أولهما سـلسـلة المقـــالات المثيرة التى راح الأستاذ مصطفى أمين لعدة شهور يكتبها تحت عنوان عام يقول (لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد*) ويرى هيكل انهـا كانت مقـــالات حافلة بالأسرار والحكايات والقصص ومشوقة الى حد كبير ٠

وأما العامل الثانى فى رأى هيكل « فالفضل فيه للأستاذ على أمين ويضيف : ان شكل أخبار اليوم وترتيبها بدا جديدا أمام القارىء المصرى٠ ومع أنه كان استيحاء مباشرا لشكل وتريب جريدة «الصنداى اكسبريس» البريطانية الا أن القارىء المصرى رحب به »(٢) ٠

كذلك ظهرت جريدة الأخبار اليومية وهى احدى الآثار الهامة التى تركها على أمين فى تاريخ الصحافة المصرية والعربية ، وصـــدر العدد الأول منها فى ١٥ يونيو سنة ١٩٥٢ ٠٠ وأحدث صدور هـذه الجريدة ضجة كبرى فى الأوساط الصحفية ٠ ويكفى أن نعلم أن جريدة كبرى مثل جريدة المصرى خفضت سعرها فى اليوم نفسه الذى صـدرت فيه جريدة الأخبارمن ١٥ مليما الى ١٠ مليمات ـ هذا بالاضافة الى الفن الصحفى الجديد الذى فوجىء به القراء والصحفيون بصـــدور العـدد الأول من الأخبار ، فقد كانت الصحف اليومية تحبـــذ نشر المقالات على صفحتها الأولى فى حين راى على أمين انه يجب نشر أكبر عدد من الأخبار فى الصفحة الأولى للجريدة مع الميل الى التركيز فى صياغة الأخبار ٠

---

(١) على أمين شخصية ومدوسة ص ١٨٨ ٠

(٢) نفس المرجع ٠

وظهرت فى هذه الفترة مجلة (آخر ساعة) تاريخ الصحافة المصرية كواحدة من أشهر المجلات السياسية فى مصر . وقد أنشأها محمد التابعى سنة ١٩٣٤ كما ظهرت مجلة هى فى سنة ١٩٦٤ وكانت هناك مجلة حواء ومجلة الجيل كما أن هناك مجلات وصحف تظهر كل يوم .

وقد ظهرت فى هذه الفترة أساليب جديدة فى المقالات وانتشرت المقالات القصيرة مثل فكرة على أمين التى يكتبها فى جريدة أخبار اليوم والأخبار . وهى قصيرة مبسطة والمفردات المستخدمة فيها محدودة ومن النادر أن نجد كلمة أو تركيبا لغويا لا تفهمه وعلى الرغم من تكبد الكاتب الكثير من الصعاب حتى يكتب فكرته فقد وجدنا الفكرة تخرج فى النهاية واضحة مفهومة مؤدية الغرض الذى انشأها من أجله ومن الأفكار التى دعا اليها فى عموده فكرة (عيد الأم) فهذه الفكرة العظيمة هى احدى بنات إفكار على أمين وواحدة من الآثار التى تركها وقد نبتت هذه الفكرة فى عقل على أمين فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٥٥ حينما كتب فى عموده اليومى (فكرة) بجريدة الأخبار قصة أم جاءته تشكو ابنها الذى ربته وأعطته شبابها ورفضت أن تتزوج بعد وفاة زوجها وهى فى سن العشرين ، وكبر الابن وحصل على احدى الشهادات وهجر أمه التى ربته وعلمته ، وجاءت تشكو لعلى أمين ، الذى كتب قصتها فى عدد الأخبار الصادر فى ٦ من ديسمبر سنة ١٩٥٥ . وكانت هذه القصة دافعا له كى يقترح على القراء الاحتفال بيوم واحد فى العام يطلق عليه (يوم الأم) وفى هذا اليوم يقدم الأبناء لأمهاتهم الهدايا الصغيرة ويرسلون لهن خطابات صغيرة تعبر عن العرفان بالجميل ، وتساءل على أمين فى ختام فكرته (ولكن أى يوم فى السنة نجعله عيد الأم اختاروا أنتم اليوم . وأنا أجعله عيدا للشرق وعيدا للقلوب) وبعد ثلاثة أيام عاد يكتب من جديد عن فكرة عيد الأم فأشار الى يوم الأم الذى يحتفل به الشعب الأمريكى ، حيث يوافق الأحد الأول من شهر مايو من كل عام ، وهوم يتأرجح بين أول مايو ، ٦ مايو وقال على أمين انه يفضل تحديد يوم معين لا يتغير للاحتفال بعيد الأم فى مصر وبلاد الشرق .. واقترح يوم ٢١ مارس من كل عام للاحتفال بعيد الأم وعلل اقتراحه بأنه (اليوم الذى يبدأ فيه الربيع) وتتفتح فيه الزهور) وقد

أحدث طرح هذه الفكرة جدلا كبيرا على صفحات الصحف وفى الأوساط السياسية والشعبية بين مؤيد ومعارض ، الا أن فكرة عيد الأم مالبثت أن أصبحت أمرا مقبولا فى أوساط الجماهير . ويرجع على أمين نجاح هذه الفكرة لحماس المعلمين والمعلمات فى مختلف المدارس ، وقد بذلت فيما بعد جهود ضخمة لالغاء هذا العيد وتغيير اسمه الى عيـــد الأسرة ولكنهم عادوا واطلقوا عليه عيد الأم . وقد تردد منذ الاحتفال بعيد الأم ولا يزال وسيظل يتردد على ألسنة البعض أن الاحتفال بهذا العيد يجعل اليتامى الذين فقدوا أمهاتهم يعيشون في هذا اليوم فى تعاسة تؤرقهم ، وأجاب على أمين على هذه النقطة فى عديد من المقالات التى أجريت معه فى ذكرى عيد الأم ، فهو يرى أن الدموع التى تبلل وجوه اليتامى فى هذا اليوم انما تغسل قلوبهم ، ثم هو يدعو الشباب الى اســـعاد أم نسيها أولادها أو أم فقدت وحيدها ، ولو بزهرة أو ابتسامة ، كما يدعو الأمهات السعيدات بأولادهن أن يذكرن الأطفال اليتامى الذين فقدوا أمهاتهم ويقول (أطلب من كل واحدة منهن أن تحاول فى هذا العيـد احتضان طفل يتيم . أطلب منها أن تقدم له هدية فى احتفالات هذا اليوم السعيد ، فاننى أتمنى ألا نترك طفـــلا يتيما يذرف الدموع فى أسـعد أعيــادنا) .

ولا شك أن الاحتفال بعيد الأم ، أتاح فى كل عام فرصة تسليط الضوء على كفاح أمهات فى أعماق الريف والبدو ، واختيرت ، أمهات مثاليات كتبت الصحافة عن دورهن فى تربية أولادهن ، وسجلت أجهزة الاذاعة المسموعة والمرئية قصص هؤلاء السيدات وكفاحهن فى الحياة . ويكفى أن نعلم أن الأم المثالية على مستوى جمهورية مصر العربية سـنة ١٩٨٣ راعية غنمنجحت فى تربية أولادها : الأول دكتور مهندس يقيم فى الولايات المتحدة ، والثانى مهندس بترول ، والثالث طبيب امتياز.

وهذا الموضوع من الموضوعات الاجتماعية فى مجتمعنا وكان له اثر كبير فى اسعاد الكثير من الأمهات والفضـــل يرجع للصـــحافة ولفكرة على أمين .

ومن القيم الاجتماعية التىتناولهـا على أمين فى مقالاته الايمان

بالله وقد دعا الى غرس هذه القيمة فى قلوب قرائه فى مصر والعـــالم العربى وهو يرى أن الايمان بالله (أضمن دواء طبى) فالمريض المؤمن يستطيع دائما ان يقاوم المرض أكثر من الكافر المتشائم وهو يربط بين الايمان بالله والتفاؤل يقول فى فبراير سنة ١٩٥٨ « اننى أؤمن بعدالة السماء ، فاذا حرمت السماء فتاة من الجمال أعطتها خفة الدم ، واذا حرمت شابا من بصره أعطته عقلا جبارا يرى به جمال الدنيـــا ، واذا حرمته من المال أعطته شبابا وصحة وايمانا يحول بها التراب الى ذهب وبالأسلوب نفسه يكتب فى مستهل سطور فى احدى الفكر التى كتبها فى المنفى فى أواخر الستينات : « اذا شاخت أسنانك تستطيع أن تعوضها بطقم أسنان ، واذا ضعف بصرك تستطيع ان تضاعف قوته بنظارة واذا تكاسلت معدتك تستطيع أن تعيد لها النشاط ببعض الحبوب واذا عجزت ساقاك عن حمل وزنك الثقيل، تستطيع أن تجلس على كرسى متحرك!.. كل شىء فى جسم الانسان ممكن تجديده ماعدا القلب فان التجاعيد اذا تسللت الى القلوب ترفض الجلاء »(١) .

وقد تناولت المقالات فى هذه الفترة قيمة العمـل يقول على امين (ليس المهم من أين تبدأ ، ولا نوع العمل الذى تبدأ منه ، بل المهم أن تبدأ وتتفانى فى عملك الأول ثم فى عملك الثانى ثم فى الثالث الى أن تصل الى العمل الذى يقودك الى النجاح) .

يقول من مقالة نشرت فى الاخبار الصادرة فى ١٩٥٨/٢/١٦ عن « قيمة العمل » ويظهر فيها عنايته بقضايا مجتمعه فكرة .

اذا أحببت عملك وتفانيت فيه . اذا فكرت فيه بالنهار وحلمت فيه بالليل . اذا ركزت كل خلايا عقلك وقلبك فى هذا العمل . اذا احترمته وقدسته ، وفضلته على أى مهنة أخرى . اذا ذهبت اليه وأنت تسرع الخطا . وكأنك على موعد مع حبيبة العمر !

اذا أحسست فيه بالخشوع والرهبة التى تحس بها وأنت فى بيت من بيوت الله ، اذا اعتبرت كل فشل يصادفك هو مجرد مقدمة محتملة لنهاية لذيذة ، وتجربة متوقعة تسبق كل نجاح .

---

(١) على أمين ، ص ٩٩ .

اذا شعرت بالفخر وأنت تقوم بهذا العمل · اذا لم يركبك الغرور وآمنت بانه لا يزال بينك وبين الكمال مشوار طويل وانك تستطيع أن تضيف كل يوم شيئا جديدا وفكرة جديدة ترفع مستوى انتاجك · اذا أحببت كل من يعملون معك وأحببت المقعد الذى تجلس عليه ، والمكتب الذى تعمل فيه والجدران والنوافذ والأرض التى تسير عليها ! اذا لم تحقد على الذين تفوقوا عليك ، وانما تعترف لهم بالكفاية والقدرة والبراعة ، وتحاول أن تدرس سر تفوقهم عليك ، وتصلح عيوبك بدلا من أن تخدع نفسك وتتصور أنك خال من العيوب ! اذا فعلت كل هذا فلن تقف قوة على الأرض فى طريقك ! ستصل الى القمة وستجد الحظ فى انتظارك والدنيا تحيطك بذراعيها »(٢) ·

والحب دعا على أمين كمفكر اجتماعى الى غرسه فى قلوب الناس طوال حياته ·

والحب عنده لا يقتصر على الحب المتبادل بين الرجل والمرأة ، بل هو أشمل وأعم من تلك النظرة الضيقة لهذه القيمة الاجتماعية · فهو يرى أن الحب الناجح هو العلاقة القائمة على تفاهم وصداقة واحترام وانسجام » وهو « ليس مجرد شعور سلبى ، بل عمل ايجابى » كتب على أمين فى منتصف الستينات قائلا « اننى أريد أن اغرس بذور الحب فى كل شبر من أرض البلاد العربية ، فبالحب نستطيع أن نحول الخرائب الى بنايات والصحارى الى غابات ، والأكواخ الى فيلات جميلة ! أما الحقد والكراهية والحسد ، فانها لم تقم فى يوم من الأيام كوخا صغير ! انها تحول ناطحات السحاب الى خرائب ، والمزارع الخصبة الى صحارى والفيلات الجميلة الى مأوى للحشرات والفئران ·

وقد طالب مصطفى أمين بعد وفاة على أمين أن يصبح للحب عيد فى مصر والدول العربية ·· ويقول انه استفتى قراءه فى اختيار يوم من أيام السنة للاحتفال بهذا العيد فكان يوم ٤ من نوفمبر من كل عام عيدا للتسامح والصفح والمغفرة عن خطايا الأصدقاء · وأصبحت أجهزة الاعلام

---

(٢) الأخبار ١٩٥٨/١٢/١٦ ·

فى مصر تحتفل كل عام بعيد الحب وتمنح وزارة الداخلية المصرية زيارة استثنائية لأقارب المسجونين فى هذا اليوم(١) .

ووجدنا الصحافة فى هذا الطور تعــــرف بأمراض العصر وأسـبابها ووسائل الوقاية منها مثل الايدز والسرطان والادمان والتطرف والتعصب المقيت وتنشر المقالات الدينية للتوعية ، هذا الى جانب الصفحة الأدبية التى تعرف بالجديد من الكتب الجديدة والتى تقوم هذه الكتب كما تناقش بعض القضايا الأدبية مثل الشعر الحر والشعر العامى وأسباب حصول نجيب محفوظ على جـائزة نوبل كما تعـــرض انتاجه وتحلله وتحاول الاهتمام بنشر وشرح التراث أو الموازنة بين الشعراء القدماء والشـــعراء المحدثين فالصحافة فى عصرنا الحاضر أدت دورا عظيا لتثقيف الشعب فى شتى جوانب الحياة عن طريق المقـــالات المتنوعة الواضحة الأفكار السهلة فى الأسلوب .

---

(١) على أمين شخصية ومدرسة ، ص ١٠٥ .

الوان من المقال فى صحف اليوم :

يعنى المقال الصحفى بأخبار العالم وأهم الحوادث اليومية داخلية أو خارجية رسمية أو شعبية ، ومعنى ذلك انه يهتم بالساسة والاجتماع والاقتصاد والدين والثقافة والأدب والعلم والرياضة ٠

وأهم ما يميز الصحافة اليوم العمود الصحفى : وهو يوزع على أبواب شتى بعناوين ثابتة تتضمن كل جوانب الحياة ٠

والعمود الصحفى يركز فيه الاهتمام على الجوانب الانسانية التى تحتاج الى غزارة العواطف ، والقدرة على التأمل فى سلوك الناس ، وتحليل هذا السلوك تحليلا يقوم على قواعد علم النفس الحديث ٠

وكاتب العمود يحتاج الى قوة البيان وجمال الأسلوب والقدرة على ربط الأحاسيس وادماج التأملات ، حتى يستخرج منها مادة انسانية تمتع العقول وتريح المشاعر ٠

والأعمدة ذات الموضوعات الانسانية أقرب الموضوعات الصحفية الى الأدب الخالص لأنها تشتمل على عمق التفكير ، وغزارة الشعور ، وجمال التعبير ٠ والعنصران الأساسيان للعمود الصحفى هما الخاطرة والفكرة ٠

أما **الخاطرة :** فهى لمحة ذهنية خاطفة لحادث عرض ، تحمل مشاعر الكاتب ازاءه وتخلو من الأسانيد ولا تحتاج الى حجج على صدقها، ولا تتجاوز عمودا فى الصحيفة ويحتاج هذا اللون الى ذكاء الكاتب وقوة ملاحظته ويقظة وجدانه ، ومجاراة الطابع الصحفى الذى يهتم بالأشياء القصيرة ذات الدلالة الكبيرة ، ويؤثرها على الكتابة المطولة ٠

والخاطرة من الألوان النثرية الى نشأت فى ظل الصحافة المعاصرة وجاءت تحت عناوين ثابتة ٠

ومن الخواطر التى تكتب فى جريزة الأهرام ما يكتبه الأستاذ أحمد

---

(١) المقال وتطوره فى الأدب العربى المعاصر بتصرف من ص ٣٣٠ وما بعدها ٠

بهجت تحت عنوان صندوق الدنيا ، ومجرد رأى لصلاح منتصر ، رأى الأهرام ، ومواقف لأنيس منصور .

وهذه الخواطر لا تختص بجانب واحد من جوانب الحياة ولا بثقافة خاصة بل هى وجهة نظر أصحابها فى أى جانب من جوانب الحياة .

ومن أمثلة هذه الخواطر ما كتبه الأستاذ أنيس منصور فى عموده فى الصفحة الأخيرة من الأهرام متحدثا عن طيبة المصريين فقال(١) :

«كثيرا ما أشعر أننا نحن المصريين (عبطاء) أى طيبون أكثر من اللازم وليس لذلك علاج ، فمن مظاهر عبط المصريين التسامح مع من شتمهم وأهانهم ، وليس أسهل عليك من أن تعانق من أهانك – أنت الذى تعانقه – وتقول : صافية كاللبن . مع أن المفروض هو أن تنتظر من أهلنك حتى يعتذر لك ويطلب منك الصفح عنه ، ولكننا نبادر بالصفح والسماح عملا بالمثل الشعبى الذى يقول : اقصر الشر .. الباب الذى يجىء منه الريح اقفله لتستريح .. ويابخت من بات مظلوما ولا ظالما .. والعفو من شيم الكرام . .ويابخت من قدر وعفا .. مثلا فى مصر الآن فنانون عرب .. انفتح لهم التليفزيون والحفلات العامة ، ومن المؤكد أنهم قد أهانوا مصر فى مناسبات معروفة بالصوت والصورة ، وينسى المصريون ذلك لا لأن المصريين ضعاف الذاكرة ،ولكن لأنهم أكبر من الانتهازيين من النساء والرجال ، ولأن وجودهم فى مصر يكفى عقابا لهم ولهـــن .. فلو كانت بلادهم كريمة عليهم لعاشوا فيها ولكنهم ضاقوا ببلادهم وضاقت بهم ، واتسعت لهم صدور المصريين وموادهم ومحلاتهم » .

« أما الشىء المدهش حقا فهو أن يتصور هؤلاء السفلة أن وجودهم هذا ضعف مصرى لأنهم ضرورة فنيـــة ، ولأنه لو كان فى مصر من هو أحسن منهم ما سمحت لهم بالبقاء والتعالى على أمثالهم من المصريين . ولكنهم لا يعرفون الحقيقة السياسية والأخــــلاقية نحن بلـــد اللاجئين السياسيين من كل لون ودين ولأسباب انسانية من ناحية ولأسباب سياسية أيضا ، فاذا كا نقد لجأ الشاه الينا (شـــاه ايران) ، فمن الممكن أن

(١) الأهرام ١٩٨٠/٩/٢٧ .

نستقبل الخمينى والقذافى وحافظ الأسد والملك حسين ولنفس الأسباب لا تسامحا ولا عفوا ، وانما رحمة بالضعيف الذى هو « عزيز قوم ذل » ولن يقول أحد من المصريين - أدبيا وحياء وأصالة - أيها الشاتمون لمصر عودوا الى بلادكم »(٢) .

كذلك تطالعنا جريدة الأخبار كل يوم بالخواطـــر ذات العناوين الثابتة التالية : كلمة اليوم ، ماقـل ودل للأستاذ أحمد الصاوى محمـد نحو النور لمحمد زكى عبد القادر ، علامة استفهام لعبد السلام داود . وتزيد أخبار اليوم التى تصدر صبيحة كل سبت الخواطر التالية تحت العناوين الثابتة الآتية ، آخر عمود لابراهيم سعدة العزف على الهواء لعلى شحاته ، مواجهـــة لعبد العاطى حامد ، رأى بالعـــربى لمحمد طنطاوى ، نحو الغـد لحسين فهمى وهى أيضا انطباعات ذاتية حول موقف من المواقف .

وجريدة الجمهورية تطالعنا بالعناوين الثابتـــة التالية وتتضـــمن خواطر شتى : مثل صواريخ لابراهيم الوردانى ، قطر الندى لعبد المنعم الصـــاوى ، الجمهورية تقول ، والعلم والحيـــاة لعواطف عبد الجليل وخواطر سريعة لعبد الرحمن فهمى ، ومن الذاكرة لمختار الوكيل ومن القلب لمحسـن محمد .

أما الفكـــرة :

فهى نبت التامل ، وحصيلة التجربة ، وثمرة المعرفة ، وحصاد الأيام من الحكمة والخبرة ، يرسلها كاتب ، وينطق بها ناصح ، وتجرى على لسان مصلح ، ويرددها حكيم . وتعد من دعائم الحيـــاة وبنـــاء الانسانية ونبراس الحياة الذى يهدى الى الحق والخير والجمال ، ودليل يرشد الى الحب والصفاء .

وتأتى الفكرة تعبيرا عن رؤيا تاريخية أو تسجيلا لعاطفة وطنية أو تصويرا لوجدان دينى أو عرضا لمثل انسانى أو نقدا لعادات المجتمع أو نصـــحا .

---

(٢) الأهرام ١٩٨٠/٩/٢٨ .

وتعد الفكرة النواة التى يقيم الكاتب موضـــوعه عليها بعـــد أن يتصيدها من البيئة المحيطة به ثم تنمو مع ملاحظاته الدقيقة وثقافته وخبراته ويعد زكى نجيب محمود من كتاب الفكـــرة لطول معالجتـــه للفلسفة وعكوفه على دراستها وتفهم قضاياها .

والفكرة كما أشرت سابقا هى أشهر عمود ظهر فى الصحف المصرية بصحيفتى الأخبار وأخبار اليوم على يد الشقيقين على ومصطفى أمين .

وكما ذكرت من قبل فان العمود الصحفى خاصة يحتاج الى التركيز مع الدقة وتحديد الفكرة والقدرة على اقتراح العـــلاج مع قوة العاطفة وجمال الأسلوب .

٣ – المقال الساخر (الكاريكاتورى) :

وكلمة الكاريكاتور غير عـــربية وهى فى الأصـــل لاتينية ايطالية وتعنى ابراز العيوب عن طريق ابرازها فى الرسم ، وتقول المعاجم بأنه عبارة عن صورة يراعى فيها التهويل فى ابراز الســمات الواضـحة أو الشاذة بغية احداث أثر ضاحك أو ساخر .وقد وجد هـذا اللون فى أدبنا العربى القديم وخاصة فى أدب الجاحظ فى رسمه لصورة بخلائه ، وفى رسالة التربيع والتدوير ، كما وجد فى الشـــعر العـــربى وأشتهر شهرة واســـعة فى العصر العباسى ثم زادت هـــذه الظاهرة فيما تلا العصر العباسى من العصور .

« وللكاريكاتير فلسفة خاصة ذات طابع اجتماعى تجعله فنا انسانيا مؤثرا ، يعالج مظاهر الحمق ، وضروب الظلم ، وألوان الانحراف ويشيع البسمات فى قلوب الملايين »(١) .

والكاريكاتير فى الصحف قد يكون رسما فقط ، كما قد يكون رسما مع مقال توضيحى ، وقد شاع هذا اللون عند الغرب واقتبسته الصحف اليومية العربية المعاصرة من صحف الغرب وعالجت خلاله فساد المجتمع

---

(١) المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ٣٦٥ .

وعيوب الحكم بالصورة الساخرة واللقطات الضاحكة ولم يصور الكاريكاتير في أول أمره فكره أو حدثا أو موضوعا وانما انحصر في الرسم المجرد والتعليق الذي يكتب تحته ، وبه يتمكن الفنان من ذبح خصومه بالفكاهة المصورة وبذلك جرى مجرى المقالات الصحفية وزاد عليها في السخرية من الأفراد والجماعات ٠

أما أهم الصحف التي اعتمدت على الكاريكاتير رسما وخبزا ومقالا منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الرابع الأول من القرن الحالي جريدة (أبو نضارة) وهي أول جريدة هزلية صدرت ١٨٧٧ ليعقوب صنوع ، نقدت سياسة اسماعيل بالرسم الكاريكاتيري والصور الهزلية ثم « التنكيت والتبكيت » ١٨٨١ لعبد الله النديم ٠

وفي عام ١٩٠٠ أصدر محمد توفيق مجلة حمارة « منيتي » سخر فيها من غطرسة الانجليز وتصرفات مندوبيها في مصر ثم صدرت مجلة سركيس (١٩٠٥ ـ ١٩٢٦) تناولت الفكاهة السياسية بأسلوب ساخر وطريقة لاذعة ٠

ثم كانت « المسامير » ١٩٠٨ لأحمد عباس ، وفي نفس العام أصدر حسين على صحيفة (الشجاعة) التي أستمرت حتى ١٩١٠ ، ثم استبدلها بصحيفة (السيف) ، واهتمت الصحف الثلاثة بنقد السياسة والحكم والمجتمع وبعض الشخصيات بالصور المضحكة والقفشات الساخرة والكلمات اللاذعة لمصطفى القشاش ثم جاءت صحيفة (أبو الهول) ١٩١٨ لمصطفى القشاش ، واهتمت بالنكتة الاجتماعية والأشعار الشعبية، والنقد اللاذع ٠

واصدر بيرم التونسي مجلة (المسلة) ١٩١٩ ، ضمنها العديد من سخرياته وانتقاداته ، وبعد عودته من منفاه أصدر مجلة (ياهوه) معتمدة على فنه الساخر وكاريكاتير الرسام سانتس ، ولقد وفرت هذه الصحف مادة وفيرة للرسامين الذين استعانوا بها في الرسم والتصوير خلال الأحداث والمواقف ٠

(فن كتابة المقال)

وخلال فترة ما بين الحربين وسعت الصحف فى الفكاهات السياسية اللاذعة المتقنة تحريرا واعدادا على يد نفر من الأدباء وأمراء الفكاهة فى مصر من أمثال سليمان فوزى وحافظ ابراهيم ، وابراهيم عبد القادر المازنى وفكرى أباظه ، وغيرهز من أصحاب الأقلام الساخرة والأسلوب الضـــاحك ٠

ومن أهم الصحف التى اهتمت بالكاريكاتير مجلة (الكشـكول) التى أصدرها سليمان فوزى ، وهاجم فيها الوفد وسياسته بالصور ، ثم كانت (خيال الظل) سنة ١٩٢٤ ، وبعدها مجلة (روز اليوسف) ثم ظهرت مجلة (الفكاهة) وراس تحريرها حسين شفيق المصرى ت ١٩٤٨ الذى عرف بالشعر الفكاهى المعروف (بالحلمنتيشى) ٠

ثم كانت مجلة (المطرقة) التى ضمت نخبة من الأقلام طرقت هذا اللون الضاحك من أمثال محمد مصطفى حمام وعبد الســلام شهاب ، ومحمد عثمان خليفة ، وأبى عبيدة عبد الفتاح شلبى ، مع حسين شفيق المصرى فكونوا قوة صحفية فكاهية ثم جاءت مجلة (ألف صنف) ١٩٢٨ لبديع خيرى ثم صدرت مجلة الراديو والبعكوكة لمحمود عـــزت المفتى لقيت هذه الصحف وغيرها رواجا كبيرا بين القراء فترة طويلة عبرت فيها عن حياة الشعب ، ونقدت تقاليده البالية بالصور أولا ثم بالأسلوب الساخر الى جانب الصور ٠ وهذه المقالات الساخرة موجودة الى الآن بل انها انتشرت فى أيامنا هذه انتشارا كبيرا وتعددت ألوانها من نقد للحياة السياسية أو الحياة الاجتماعية أو الحيـــاة الثقافية والأدبيـة أو الحالة الاقتصادية ٠٠٠ الخ واعتمدت هذه المقالات أحيانا على الرسم والصورة الى جانب الأسلوب الساخر فى النقد ، كما وجدناها قامت أحيانا على الأسلوب الساخر ليس غير ووجدت فى كل الصحف اليومية وكثرت فى صحف المعارضة على وجه الخصوص مثل الوفـــد والشـــعب والأهالى والأحرار ، كما وجدنا مجلات خاصـــة بالمقالات الســـاخرة مثل مجلة (كاريكاتير) التى يرأس تحـــريرها مصطفى حســـين ويرأس مجلس ادارتها محمد يحى زيدان ٠

ومن أمثلة المقالات الاجتماعية التى تسخر من أوضاع المجتمع هذه

المقالة بعنوان (حاسب من الاقوال المأثورة !) بقلم بهجت فراج(١(٠ يقول الكاتب (قرأت خبرا يقول ان أحد أساتذة الأدب الشعبى يعكف على جمع وتوثيق الأدب الشعبى والأقوال المأثورة فى قاموس الفولكلور المصرى والحقيقة أن القاموس ازدحم بالتعبيرات والمصطلحات الغـــريبة والتى لا تحتاج الى رصد أو حصر بقدر ما تحتـــاج الى شرح وبحث فى أسباب ظهور هذا النوع من الكلام٠فمثلا تعبير (فوت علينا بكرة) تعبير حكومى مصلحى منذ أيام الفراعنة ومازال مسـتعملا حتى الآن ٠ أما كلمة (هوينا) فهى كلمة جاءت من صعيد مصر حيث تشتد الحرارة فى الصيف ويضبح وقوف أى شخص فى مكتب موظف ســببا لارتفاع درجة الحرارة ٠ وتعبير (يابخت من كان النقيب خاله) فالمقصود به الفنانون واعضاء النقابات فيابخت من كان خاله نقيب الموسيقيين أو السينمائيين أو المحامين وعندما نتأمل تعبير (خف تعوم) فهو من تعابير الزحلقة ويوجه الى الضيوف الثقلاء فى الكلام أو الأكل ، وهناك تعبير لقمة هنية تكفى ميه وهو تعبير دمياطى صرف ويقال للضيوف الذين يطبون على أهل البيت دون انذار فى أوقات تناول الطعام فيوضع على مائدة الطعام رغيف عيش وطبق واحد وفحل بصل ويصر صاحب البيت على أن يجتمع الكل حول الوجبة الفقيرة مرددا هذا التعبير المأسوى ٠٠٠٠ الخ ٠

وقد اتخذ بعض كتاب المقالة الذاتية التصـــوير الكاريكاتيرى فى كتابة مقالاتهم وأول من استخدمه أحمد فارس الشدياق ١٨٠٥ - ١٨٨٧ على صفحات صحيفته الساق على الساق فيما هو الفارياق ، وقد لجأ الى هذا الأسلوب الساخر فى وصفه للمرأة والسخرية منها ٠ وكتاب « المرآة » لعبد العزيز البشرى اشتمل على العديد من الصـــور الكاريكاتيرية التى رسمها للشخصيات البارزة فى عصره بغية التفكه والدعابة فى بعضها ، والسخرية والتهكم فى البعض الآخر ٠

ومن نماذج مقالات التفكه والدعابة تلك الصورة التى رسمها لصديقه فكرى أباظه فيقول : أخيف العينين فى ضـيق محاجر ، مقرون الحاجبين ، كأنما شـــق من فمه بعـــد أن اســتوى خلفه ، متوافـــر اللحـم

---

(١) مجلة كاريكاتير العدد ١٠٨ ديسمبر ١٩٩٢ ٠

فى غير بدونة بينة ، ولو قــــد أطلق ـ مع قصـــره ـ للشحم العنان لتمت عليه نعمة الله كلها ! ولو رأيته فى اخوته لحسبته بعض تلك النباتات التى تخرج وحدها فلم يتعهدها منجل البستانى بالتســوية والتشذيب ! وفكرى على هذا ! على هذا كله !! يكاد من خفة الروح يطير ، ولعل مما يساعده على (الطيران) شكله البالونى الخفيف ! »(١) .

وأما النوع الثانى حيث النقد اللاذع والسخرية المرة التى تصل الى حد الهجاء .

ويلاحظ أن الذى ينهج الأسلوب الكاريكاتورى أو التصوير الساخر يتصنع بعض العبارات والألفاظ العامية دون ابتذال أو اسفاف(٢) .

وابراهيم عبد القادر المازنى (١٨٨٩-١٩٤٩) اتخذ السخرية مذهب حياة ولذلك جاءت مقالاته وكتبه نوادر وضحكات .

وأما فكرى أباظه فيعد من أبرع الكتاب الساخرين فى صحافة مصر الحديثة ، فهو لم يكف عن النقد الاجتماعى الهادف بأسلوب يمثل نموذجا رائعا من السهولة والبساطة وخفة الروح ،ومن أهم مقومات السخرية عنده التعريض وفضح العيوب بالنكتة والتشهير بها بالدعابة ، كما تقوم فكاهته على ابراز المفارقات آنا ، والنقائص آنا آخر ، وترتكز على الذم بما يشبه المدح فى عباراته المنمقة الفكهة التى تعتمــد أحيانا على التورية والجناس .. يقول من مقالة بعنــوان (مملكة الجنس اللطيف)(٣) « أيها القارىء هل عهدت فى غير الصدق والحق الصراح ؟ صدقنى اذن اذا قلت لك ان الواحد منا ـ نحن الرجال ـ يتمنى بعد قليــل لو كان « آنسة » أو « سيدة » أو « عجوزا شمطاء » من الجنس اللطيف وا حسرتاه عليك أيها الجنس الخشــن ـ الجنس المضمحل ـ الجنس المتقهقر الى الوراء بالتدريج !! دالت دولتنا أيها السادة القراء فلكم جميل العـــزاء وللجنس اللطيف طول البقاء !!

---

(١) المرآه ص ٨٣ .

(٢) من المقالة الذاتية فى الأدب العربى الحديث ص ٢١١ د. ربيعى عبد الخالق ط ٨٨ .

(٣) الأهرام ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ .

مصر ، مصر الشرقية فى أخلاقها - فى عوائدها - فى تقاليدها تجتاز الآن دورا عكسيا ستهدم فيه كل قديم - وتبنى على أطلال الماضى مملكة عصرية - رشيقة ظريفة - قوامها السيدات • وعمادها الآنسات ، والويل يومئذ للمحافظين المتأخرين !!

طالما استبد أجدادنا السابقون بالمرأة فسلطوا عليها ألوان العذاب ، وقد حل دور الانتقام • وانى لاتخيل الساعة « حكومة نسائية قوية الشوكة - مهيبة الجانب تقوم على بقايا وأنقاض (حكومة الرجال) • وويل هؤلاء من حساب النساء لست بالمغالى المغرق فى الوصف السابح فى جو الخيال • لقد برزت المرأة المصرية فى الميدان فاشتركت فى التضحيات العمومية ، واشتركت فى المظاهرات العمومية •• فلها الآن شخصية بارزة مستقلة ، وارادة حرة قوية ، ورأى سياسى ناضج ، ولها الآن حقوق (تحت الطلب) فما على الرجال الا أنه ينتظروا المعركة المقبلة ويعدوا لها العدة ان جاز لهم مقاومة الجنس اللطيف • هل يسرك هذا أيها الرجل الذى يقرأ كلمتى ؟ أنا على •• الحياد الدقيق •• أنظر وأرى ولا أبدى رأيا !!

أسفى على الشبان أمثالى !! واحسرتاه لم يسعدنا الحظ بالزواج أيام الرخاء أيام السكون - والويل لنا أن أقدمنا الآن : ستستفسر الخطيبة عن شكلى أولا ومبلغ رقى العصرى ثانيا ، ونزعتى الحزبية ثالثا ، ورأيى الاجتماعى رابعا فان تم الزواج وعرضت مسألة سياسية اختلفنا فيها فستنادى بسقوطى وسأنادى بسقوطها ، وستكون لها من أولادى حزبا يقاوم الحزب الذى أكونه منهم • وهكذا سينقلب المنزل الهادىء الوديع الى قاعة محاضرات ومناورات ومناوشات يتبارى فيها حزبان ! حزب ترأسه الزوجة وحزب يرأسه الزوج والويل كل الويل حينما يتغلب الحزب الأول !!

هذه « مملكة الجنس اللطيف » أتصورها على مقربة منا : فهل أعد (الجنس الخشن) لها العدة ؟!

وله مقالات ساخرة تهكم فيها بشدة من الأحزاب والزعماء السياسيين فى عصره منها على سبيل المثال تلك المقالة التى نشرها فى جريدة

الأهرام ٣٠ يونيو سنة ١٩٢١ تحت عنوان (سان استفانو - لتحى الطبيعة ولتسقط السياسة) ويبدو فيها ساخرا جريئا يقول (كفى أيها الزعماء وأنصار الزعماء وحاشية الزعماء • كفى ضجيجا وعجيجا • فقد حل فصل الصيف فصل الراحة ، فصل الدعة والسكون !! ان للبدن علينا حقا • وقد ادت أجسامنا للقضية المصرية خدمات جليلة عظيمة • فلطالما أنهكت قوانا المناقشات الحادة • تتخللها الاشارات الحارة ! • ولطالما تضاربنا بالطوب والرصاص والطماطم والبيض ! ••• ولطالما طفنا حول الأرض لبث الدعوة (السعدية) و (العدلية) • ولطالما عصرنا الأذهان عصرا • وكدنا القرائح كدا لنودع العصير مقالاته لا نكاد نقرأ آخرها حتى ننسى أولها •

جدير بنا والحالة هذه أن نمنح مداركنا الذهنية اجازتها الصيفية • وافتونى بالاجماع أيها القراء ••• أرجوكم واتوسل اليكم ! هلموا نقاطع بضائع « سعد » وشركائه وعدلى وشركائه ، والشيخ بخيت وشركائه ، ولنقبل كل الاقبال على بضاعة سان استيفانو ، ورأس البر • فهى من النوع الجيد المتين ، الخالى من الغش ، المفيد للاذهان والأبدان • هلموا نأخذ من الطبيعة البديعة • بالقسط الذى يناسب مجهودنا البديع !! •••

ان « الماء المالح » موصوف لغسل الأدران ، وازالة الأحقاد فاشربوه أيها المتخاصمون هنيئا مريئا لمدة ثلاثة أشهر • كل يوم مرتين من الله عليكم بالشفاء • انه مجيب الدعاء •

ونجد أن المقالات الساخرة تلجأ أحيانا الى العبارات والأمثال الشعبية واستخدام الألفاظ السهلة ، والألفاظ العامية فى بعض الأحيان وهذه الظاهرة ليست وقفا على كاتب بعينه وانما هى ظاهرة تكاد تكون عامة فى أكثر المقالات • كما نجد بعض الكتاب يقتبسون من آيات القرآن الكريم ومن التراث الشعرى القديم فى مقالاتهم لتقوية المعانى ووضوحها •

ونجد بعض الكتاب يلجأ الى السخرية اللاذعة والايلام الشديد كما نجد البعض يميل الى السخرية الهادئة دون تضخيم ولا تهويل والمقال الساخر يعتمد كما ذكرت من قبل على المقدرة على الرسم والتصوير ان

لم يكن بالرسم الحقيقى فهو عن طريق الكلمات الموحية التى تعتمد على تجسيد العيوب وابرازها واضحة جلية حتى لا يرى القارىء غيرها .

والمقالة الكاريكاتيرية قد تعتمـــد على الانشـــاء المباشر أو السرد أو الحـوار .

وهذا الأسلوب الساخر أسلوب فيه الكثير من الموضوعية الى جانب اعتماده على عاطفة الكاتب وحسه الشخصى فموضاعاته حقائق ونقائص فى المجتمع ـ والضحك فيه قد يكون هو العلاج أو فيه الارشاد الى العلاج .

من أعلام كتاب المقالة

مصطفى صـادق الرافعى

ينتمى مصطفى صادق الرافعى الى أســرة الرافعى فى طرابلس لبنان(١) ، وأمه من أصل سورى واسمه مركب « مصطفى صادق » ، واسم والده هو عبد الرازق بن سعيد الرافعى ٠

كان للشيخ سعيد الرافعى من الولد أحــد عشر رجلا كلهم تولى القضاء الحنفى فى مصر وارتبطت أسرة الرافعى بمصر فى بداية القرن التاسع عشر حيث طلب الوالى من السلطان العثمانى قاضيا حنفيا فارسل اليه الشيخ محمد الطاهر الرافعى ليتولى القضاء الاسلامى ، فقدم مصر عام ١٢٤٣ هـ الموافق ١٨٢٧ م ٠

ولد مصطفى صادق الرافعى فى بهتيم احدى قرى محافظة القليوبية بمصر ما بين عام ١٨٨٠ – ١٨٨١ م ٠ حصــل الرافعى على الشـهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة عام ١٨٩٧ م وكانت سنه حوالى ســبعة عشر عاما ٠ وعمل موظفا صغيرا فى المحاكم وكانت آخر وظائفه رئاسة الكتبة بمحكمة طنطا توفى سنة ١٩٣٧ م ٠

وكان للمرض الذى أصيب به (التيفويد) أثر بالغ فى حيــاته اذ أفقده السمع وأثر على أحباله الصوتية فكانت له فى صوته بحة معهوده لا تخطؤها الأذن ٠

ثقــافته :

كان محبا للاطلاع عاشقا للقــراءة فانكب على مكتبة والده يقــرأ ويدرس ويراجع ثم اتجــه الى مكتبة القصــبى بطنطا ومكتبة الجامع الأحمدى وقرأ فى الفقه والأصول والحديث ، كما قرأ فى علوم اللغــة والتاريخ والأدب والسيرة ٠ وحفظ القرآن فى طفولته المبكرة(٢) ٠

---

(١) من أدب الرافعى ومعاركه بتصرف ٠
(٢) وحى القلم ٣ : ٣١ ٠

وكتابات الرافعى تدل على اتساع ثقافته واحاطته بالتراث العربى من شعر ونثر وتاريخ وفنون ٠ ويمكن أن ترجعها الى ثلاثة مصـــادر : ثقافة عربية قديمة ، ثقافة عربية حديثة ، ثقافة انسانية عامة ٠

من الذين شهدوا له باتساع الثقافة والتبريز فى الاحاطة والمعرفة أحمد حسن الزيات صاحب « وحى الرسالة » فهو يقول(٣) : (كان الرافعى رحمه الله حجة فى علوم اللسان ، ثقة فى فنون الأدب ، عليما بأسرار اللغة بصيرا بمواضع اللفظ ، خبيرا بمواضع النقـــد ، محيطا بمذاهب الكلام وقلما تتهيأ هذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء ، فكنت اذا ذاكرته فى شىء من دقائق النحو وخواص التركيب وجدته على ظهر لسانه كأنه انصرف من مراجعته لوقته) ٠

وتضح ثقافته فى أعماله التى تتمثل فى :

أولا : مقدمة ديوانه :

وقد بدأها بمقدمة طويلة فى تعريف الشعر ووصفه وتقسيمه وبيان مزيته ، فى كلام تضمن من فنون المجاز ، وضروب الخيال قال عنـــه اليازجى (ما اذا تدبرته وجدته الشعر بعينه) ثم يقول : (ان الناظم لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنه ، ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة فى مثل ذلك السن ، سيكون من الأفراد المجليين فى هذا العصر وممن سيحاول جيد البلاغة بقلائد النظم والنثر)(١) ٠

ثانيا : مقالتا الثريا والمقتطف :

نشر الرافعى رأيا جريئا فى مجلة الثريا عام ١٩٠٥ تناول فيـــه شعراء عصره ، وقد خالف المألوف ، وخرج على أعراف الناس ، اذ كان العرف الأدبى قد رضى بترتيب الشعراء ، فيأتى الرافعى فيضع شوقى فى الطبقة الثانية وينزله عن الطبقة الأولى ويقول فيه رأيا جديدا وجريئا

(١) وحى الرسالة ١٩٣٧ ٠

(٢) مجلة الضياء عدد يونيو ١٩٠٣م عن من أدب الرافعى ومعاركه د٠ عباس بيومى عجلان ، ط دار المعرفة ـ الاسكندرية ١٩٨٩ ٠

ويقول فى مقاله : سيأخذ بعض القراء إذا رأى شوقى بك ثانى الطبقة الثانية ، وهو هو شوقى بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية ، ولكنا نعجب أكثر منه اذا رأينا الشوقيات قد انقلبت الى شـــوكيات .. وقد أحدثت المقالة دويا هائلا وأثرا كبيرا .

وأما مقالة المقتطف فقد نشرت فى شهر مارس ١٩٠٥ أيضا وذلك بطلب من أصحاب المقتطف بمناسبة وفاة الشاعر محمود سامى البارودى فى ذكراه الأولى فكانت لمقالته آثار جليلة ، وتضمنت آراء جديدة جريئة منها أنه (شاعر فحل مجود ضيق الفكر ضعيف الحيلة فى ابراز المعانى واختراعها)(٢) . ويكرر الرافعى ذلك القول سنة ١٩١٦ فى رســالة لأبى رية يختمها بقوله : « والكلام فى البارودى وطريقة شعره طويل وكنت كتبت فى مجلة المقتطف بعد وفاته ، وذلك بطلب من أصــحاب المقتطف ، ولكنى لا اتذكر فى أى عدد هى ،وبالجملة فان الرجل شاعر فحل مجود وان كان ضعيف الحيلة فى ابراز المعانى واختراعها)(٣) .

وللرافعى كتاب (تاريخ آداب العرب) جزء واحد وهو كتاب علمى يتصدى لمثل ذلك لولا ثقافته الواسعة وثقته بنفسه .

ثالثا : أعماله العلمية والأدبية :

وللرافعى كتاب (تاريخ آداب العرب) جزء واحد وهو كتاب علمى جاد بذل فيه مجهودا خارقا وما كان يمكنه صنعه لولا ثقافته الواسعة .

وقد كتبه سنة ١٩١١ . وقد ألفه عندما دعا الى الاعلان عن مسابقة عامة لتأليف كتاب فى أدب العرب يدرس بالجامعة المصرية . واستجابت الجامعة ودعت الأدباء لوضع كتاب عن أدبيات اللغة العربية فى مدة أقصاها سبعة أشهر وحددت مائة جنيه للفائز ، ولكن الرافعى يثور فينشر مقالا ينتقد فيه مسابقة الجامعة ، اذ الأمد قصير ، والمكافأة هزيلة ، وطلب مد المدة ومضاعفة الجائزة وفعلا استجابت الجامعة فجعلت المدة سنتين وضاعفت الجائزة وهنا أخذ الرافعى يؤلف كتابه من منتصف

---

(١) المقتطف باريس ١٩٠٥ عن كتاب أدب الرافعى ومعاركه .

(٢) أدب الرافعى ص ١٤ .

عام ١٩٠٩ حتى آخر ١٩١٠ . وكان الرافعى يطمح أن يقرر كتابه ويقوم بتدريسه . وإلا فما قيمة الجامعة ؟

والمهم أن كتاب الرافعى كان تجديدا فى الدراسات الأدبية وعمـــلا جديدا فى التاليف الأدبى ، ولم يأخذ منهجه من المستشرقين كما فعل جورجى زيدان ، وانما هو الذى قام بوضعه وحرر خطته وجمع مادته وأتقن فى اخراجه(١) .

وقد استقبل المجتمع العلمى فى مصر هذا الكتاب اســتقبالا ممتازا فكتب عنه الأدباء ، ومدحه أحمد لطفى السيد ، أستاذ الجيل وقال عنه (قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه (أى خطته) فعليه طابع الباكورة فى بابه مما يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التى يسطها فى هذا الجزء الا بعد بحث طويل) .

وكان الجزء الأول يقوم على أمرين :

١ - تاريخ اللغة العربية ونشأتها وتفرعها .

٢ - تاريخ الرواية ومشاهير الرواة .

وقد وجه هــذا الكتاب العلماء الى ما يجب أن يهتموا به عنـــد دراستهم القديمة ولا يزال هــذا الكتاب من المراجع الهـــامة فى الأدب القـــــديم .

وألف كتابه اعجاز القرآن ١٩١٢ ، وحديث القمر ١٩١٢ ، المساكين ١٩١٧ ورسائل الأحزان ١٩٢٤ ، الســـحاب الأحمر ١٩٢٤ ، تحت راية القرآن ١٩٢٦ وأوراق الورد ١٩٣٠ .

والسحاب الأحمر وأوراق الورد وحديث القمر كانت تنشر فى مجلة الرسالة وهى مقالات يغلب عليها الاتجاه الوجدانى فيهتم فيها الكاتب بالعاطفة الى جانب اهتمامه بالقيم اللغوية والمهارات الفنية ، يقول فى

مقالة بعنوان (زجاجة عطر) جاءت فى كتـابه « أوراق الورد »(١) حيث أهدى اليها مرة زجاجة من العطر وألحق بالزجاجة رسالة هيامه بها وقد كشفت رسالته عن مدى حبه وخروجه عن وقاره قال « يازجاجة العطر اذهبى اليها ، وتعطرى بمس يديها ، وكونى رسالة قلبى اليها ، وها أنذا أنثر القبلات على جوانبك ، فمتى لمستك فضعى قبلتى على بنانها والقيها خفية ظاهرة فى مثل حنو نظراتها وحنانها ، وألمسيها من تلك القبلات معانى أفراحها فى قلبى ومعانى أشجانها ٠ وأنذا أصافحك فمتى أخذتك فى يدها فكونى لمسة الأشواق ٠ وهأنذا أضـمك الى قلبى فمتى فتحتك فانثرى عليها فى معانى العطر لمسات العناق » ٠

وألف « على السفور » وهى مجمــوعة مقالات نشرها فى مجلة المصور بين ١٩٢٩ - ١٩٣٠ تناول فيها آراء بعض المحافظين فى الأدب والنقد وجعلها فى مقابلة آراء أصحاب الاتجاه الغربى الممثل فى مدرسة الديوان ٠ وتصور مقالات الكتاب الصراع الأدبى وضرواته التى بلغت ذروتها فى ذلك الحين ، وتقلل مقالات (على السفود) من أدب العقاد بأسلوب بعيد عن روح الموضوعية وأسس النقد وتقرب من الشـتم والذم القبيح ٠ وتمثل المقالات لهجة شديدة وتحايل غير لائق على العقاد ٠ وعلى الرغم من حدة هجوم الرافعى على العقاد لم ينل منه نائل ، بل ظل شامخا فى مجال الأدب ونقده(١) ٠

واخر كتبه كتاب « وحى القلم » من ثلاثة أجزاء ٠ والكتاب مقالات عديدة كتبها الرافعى ونشرتها المقتطف والرسالة جمعت فى ثلاثة أجزاء وطبعت تحت هذا العنوان ٠

تناولت مشاكل الأسرة وأحوال المجتمع وأحكام الاسلام ، ومظاهر العروبة ، كما تناولت قضايا ثقافية ونقدية وتاريخية ، وعرفت ببعض الشعراء ، والكتاب ومناهجهم ٠
وجاءت مقالات الكتاب موحية فى عناوينها مثـــل الاشراق الالهى وفلسفة الاسلام ، الانسانية العليا ، الله أكبر - وحى الهجرة ٠

---

(١) أوراق الورد ص ٤٣ ٠

(٢) القال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ١٠٥ ٠

وعن المرأة كتب عدة مقالات مثل لحوم البحر ، واحذرى ، عن البؤساء واحلام فى الشارع ٠

وعاطفته واضحة فى هذه المقالات ويكثر من الاقتباس من القرآن الكريم وتعاليم الاسلام وأسلوبه بيانى فصيح جزيل ويبدو كمتأمل لأحوال الكون وسخرية الأقدار فى بعض المواقف ٠

ومن مقالاته التى جاءت فى وحى القلم(٣) هذه المقالة التى يصور فيها سمو الحب وسحره كما أحس به وكما آله وأضناه ٠

يقول : (لما رأيتها أول مرة ولمسنى الحب لمسة ساحرة ، جلست اليها أتأملها واحتسى من جمالها ذلك الضياء المسكر ، الذى تعربد له الروح عربدة كلها وقار ظاهر ٠ فرأيتنى يومئذ فى حالة كغشية الوحى فوقها الآدمية ساكنة وتحتها تيار الملائكة يعب ويجرى ٠

وكنت ألقى خواطر كثيرة ، جعلت كل شىء منها مما حولها يتكلم فى نفسى ، كان الحياة قد فاضت وازدحمت فى ذلك الموضع تجلس فيه ، فما شىء يمر به الا مسته فجعلته حيا يرتعش ، حتى الكلمات ٠

وشعرت أول ما شعرت أن الهواء الذى تتنفس فيه يرق رقة نسيم السحر ، كأنما انخدع فيها فحسب وجهها نور الفجر !

وأحسست فى المكان قوة عجيبة فى قدرتها على الجذب ، جعلتنى مبعثرا حول هذه الفتانة كأنها محدودة من كل جهة ٠٠٠

وهى على ذلك متسامية فى جمالها حتى لا يتكلم جسمها فى وساوس النفس كلام اللحم والدم ، وكأنه جسم ملائكى ليس له الا الجلال طوعا أو كرها جسم كالمعبد ، لا يعرف من جاءه أنه جاءه الا ليبتهل ويخشع) ٠

ويعلق د٠ ربيع عبد الخالق على هذا النص فيقول(١) « والرافعى

---

(١) وحى القلم ٠

(٢) وحى القلم حـ ١ ص ١٠١ دار المعارف ٠

(٣) فن المقالة الذاتية : ٩١

فى مقالته الذاتية هذه وفى وصفه الحب ومعانيه قد أعطانا صورة نثره الفنى البليغ الذى أصاب بألفاظه مواقع الشعور بما فجرته من المعانى الخفية التى تروع بدلالاتها وبما استقام فيها من صيغة عربية مبهرة ، كما أصاب بخياله القدرة على النفوذ الى العلاقات والدلالات البعيدة ، ولذا جاء بيانه جميلا رائعا ولكن ليس بسيطا وتزاحمت فيه المجازات كنايات وتشبيهات واستعارات ، ولكن فى طـــروفة وابداع تســـلط اشـــعاعاتها الايحائية فتبرز المعانى الخفيــة والمشـــاعر الدفينة متالقة أمام النفس والحس .

وتبدو ثقافته العربية والاسلامية واضحة فى سلامة أسلوبه وفصاحة عباراته وتوظيفه بعض العبارات القرآنية والمأثورات العربية » .

وكما كتب المقالات الذاتية عن المراة والحب ، تكلم عن المـــوت وعاطفة الحزن وشدة الألم الذى يسببه الفراق قال فى مقالة له فى وحى القلم عنوانها (موت أم) (١) :

مصورا لهفة الأطفال الخمسة وقد افتقدوا أمهم فضـــاعف الحرمان حسرتهم وغصت بالمرارة حلوقهم : « ... وجاء أكبر الأطفال الخمسة ، وكأنه ثمانية أرطال من الحياة لا ثمانية أعوام من العمر ، جاء الينا كما يجىء الفزع لقلوب مطمئنة ، اذا كان فى عينيه الباكيتين معنى فقد الأم وطغت دموعه فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة ولكن روحه اليتيمة تأبى الأن ترسم بهذه الدموع على وجهه معانى يتمها وظهر الانكســـار على وجهه يعبر ببلاغة أنه قد أحس حقيقة ضعفه وطفولته بازاء المصيبة التى نزلت به ، وجلس مستسلما تترجم هيئته معانى هـــذه الكلمــة : « رفقـــا بى » .

ثم تطير من عينيه نظرات فى الهواء كانما يحس أن أمه حوله فى الجو ولكنه لا يراها !

ثم يرخى عينيه فى اغماضة خفيفة ، كانما يرجو أن يرى أمه فى طويته ! ولا يصدق أنها ماتت ، فان صوتها حى فى أذنيه لا يزال يسمعه

---

(١) وحى القلم ٢ : ١٥٤ .

من أمس ، ثم يعود الى وجهه الانكسار والاستسلام ويتململ فى مجلسه ، فينطق اسمه بهذه الكلمة : « يا أمى ! » .

أحس — ولا ريب — أنه قد ضاع من الوجود ، لأن الوجود كان أمه ولمس خشونة الدنيا منذ الساعة ، بعد أن فقد الصدر الذى فيه وحده لين الحياة لأن فيه قلب أمه وروحها . —

وشعر بالذل ينساب الى قلبه الصغير ، لأن تلك التى كان يملك فيها حق الرحمة قد أخذت منه وتركته بلا حق فى أحد ، وليس لأحد أمان ولبسته المسكنة ، لأن له شيئا عزيزا أصبح وراء الزمان فلن يصل اليه ، ولبسته المسكنة ، لأنه صار وحده فى المكان كما هو وحده فى الزمان . وارتسم على وجهه التعجب ، كانه يسأل نفسه :

اذا لم تكن أمى هنا ، فلماذا أنا هنا ؟!!

والرافعى فى مقاله السابق صادق كل الصدق فى الحسن . صور حزن الطفل لفقدانه أمه ، كانه هو الطفل الذى فقد أمه فالأم عنده هى الأمان والرحمة والحياة باكملها وفقدانها يعنى الشقاء وفقدان كل قيمة انسانية صادقة وفقدانها معناه الحرمان والتعطش الى الحنان بل جدوى.

كذلك له ديوان شعر من ثلاثة أجزاء ألفه من ١٩٠٢ — ١٩٠٥ ، ديوان النظرات سنة ١٩٠٨ ، النشيد المصرى الوطنى ١٩٢١ وله اثار كثيرة مخطوطة منها :

١ — حوالى ثمانين اية من القرآن الكريم يبين فيها أسرار الاعجاز وكان سيسميه اسرار الاعجاز .

٢ — ديوان أغانى الشعب .

٣ — فصح الكلام وهو كتاب فى اللغة يجمع فصح الكلام مما ورد فى الكتب المختلفة .

٤ — شعر الرافعى منذ سند ١٩٠٨ وحتى وفاته عام ١٩٣٧ وذلك مثبوت فى الصحف والمجلات .

٥ — أكبر من مائه وسبع وستين مقالة منشورة .

مقـــالات الرافعى :

اشتمل كتاب (تحت راية القرآن) على مقالات كتبها الرافعى وهى مقالات تعطى مساحة زمنية شاسعة ، ودارت حـــول الدفاع عن اللغـة والذود عن حماها ومحاربة الدعوات الهدامة من التمصير الى الترخص وترك الجملة القرآنية ، وجهوده فى تأليف كتاب ذى قدر فى أدب اللغة العربية يليق بالجامعة ومن تلك المقالات :

١ ـ الرأى العامى فى العربية الفصحى ، وكان قد نشر فى مجلة البيان سنة ١٩١١ وأعاد الرافعى نشره فى تحت راية القرآن ٠

٢ ـ تمصير اللغة ، ونشرها أيضا فى مجلة البيـــان سنة ١٩١٢ م وأعاد نشرها فى تحت راية القرآن ٠

٣ ـ مقالان نشرا فى الجريدة ، يتناولا الدعوة الى تاليف كتاب فى أدب اللغة العربية ، وكتب تحت عنوان « الأدب العـــربى فى الجامعة المصرية) وأعاد نشرهما فى « تحت راية القرآن » ٠

٤ ـ « الميراث العربى » وهو مقال نشره فى مجلة الزهراء ، وأعاد نشره فى تحت راية القرآن » ٠

٥ ـ (الجملة القرآنية) وهو مقال نشر فى مجـــلة الزهراء عام ١٩٢٥ ، ويسوق الحديث حول ما كتبته مجلة أمريكية تصدر فى المهجر تتمنى أن يتخلص الرافعى من الجملة القرآنية وأعاد نشره فى (تحت راية القرآن) ٠

٦ ـ المذهبان القديم والجديد ، وهو مقال يرد به على سلامة موسى ويفصل القول فى المذهبين ، وبه تصدر الكتاب ٠

٧ ـ جلد هرة ، وهو مقال قصير نسبيا كتبه ردا على كاتب ليالى رمضان فى كوكب الشرق ، وادار فيها القول حول الجديد والقديم وأعاد نشرها فى (تحت راية القرآن) ٠

٨ ـ (أسلوب طه حسين) عنوان رسالة كان قد ارسلها من غير توقيع الى د٠ طه حسين ، ونشرها فى السياسة ، وأعاد نشرها فى تحت راية القرآن ٠

٩ ـ رده على د٠ طه حسين حين كتب عن رسائل الأحزان ٠

١٠ ـ (الى الجامعة المصرية) وفيها يبدأ فى الهجوم من غير أن يتبين فلم يكن قد قرأ مؤلف طه حسين ، والمقالة تبدأ هكذا :

« قرأت فى بعض الحكم هذه الكلمة : تحرز من سكر السلطان ، وسكر المال ، وسكر العلم ، وسكر المنزلة » ٠ ولست أعرف أحدا قد سكر من هذه الأربعة حتى عربد وخرج الى السخف والهذيان غير الأستاذ المريع منذ ولى تدريس تاريخ الأدب فى الجامعة ٠ ووالله ما ندرى كيف لا يعهدون اليه مع درس تاريخ الأدب بدرس آخر كشرح القانون المدنى مثلا ، فانه لقادر على هذا قدرته على ذاك ٠ اذا كان لا مادة له الا أن يفكر فيما يقول ثم يقول كما يفكر ٠ ما هو الا الظن قبل العلم ، والا الشك قبل اليقين ، والا الوهم قبل الحقيقة ولا أكثر من الكلام عند رجل يسقط الخطأ والصواب من حسابه ولا أيسر من الانكار على من يكون رأس المال فى علمه العناد والمكابرة » ثم ينهى هذا المقال بتشطير بيت المتنبى :

ومـــاذا بمصـــر من المضحكات   ولكنـــه ضـــحك كالبكـــاء

فيقول الرافعى :

ومـــاذا بمصـــر من المضحكات   وحسبك طـــه حســـين بهـــا
ولكنـــه ضـــحك كالبكـــا   على علمهـــا ، وعلى كتبهـــا

١١ ـ « الى الجامعة أيضا » ، وفيه يتحـــدث عن ضعف د٠ طه حسين فى مادة تاريخ الأدب ٠

١٢ ـ « وشهد شاهد من أهلها » ، وهو مقال تعقيبا على مانشره د٠ محمد حسين هيكل فى السياسة مبينا تأثر طـــه حســـين (بأناتول فرانس) ونهجه فى أفكار وجود الأشخاص فى الزمن القديم ٠

١٣ كما أن له مقالا فى الرد على كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين ٠

كما أن له فى كتاب تحت راية القـــرآن تسع مقالات فيها أحاديث كليلة ودمنة وليس معنى مقالات الرافعى النقدية على طه حسين عدم

(فن كتابة المقال)

اعترافه بمقدرته اللغوية والأدبية ولكنها اختلافات فى وجهات النظر ناتجة عن اختلاف المدارس التى تتلمذ عليها العالمان .

فالرافعى كان يعرف قدر طه حسين ويدرك ثقافته وقد لام على تلميذه أبا رية حين نال من طه حسين فقال له فى رسالة (أما طه حسين فليس بالضعف الذى تتوهمه ، وهو فى أشياء كثيرة حقيق بالاعجاب)(١) .

ويعترف الرافعى بعلم د. طه حسين وتبحره فيقول (خطه رجل عالم فاضل تراه أحسن أدبائنا اذا وقف عند الحفظ والمراجعة يقابل بين تواريخ الأمم ، ويستخرج ما فيها من أنواع المشابهة والمباينة ويعمل فى ترتيبها وتصنيفها ، واذا وقف عند العقل فاخذ يجمع الحواشى والمتن والتعاليق ، ويضم مسألة الى مسألة ، وكلاما الى كلام فى أى علم شاء)(٢) .

ويقول الرافعى فى موطن آخر « وهو لو عافاه الله من التعنت بعلمه على الناس ورزقه نعمة الوقوف عند حده ، وحفظ عليه الفضيلة الشرقية الاسلامية لربحناه ربح الذهب والفضة)(٣) .

ولأن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية فحينما مات الرافعى كان د. طه حسين من أوائل من عزوا أهله فى طنطا وساعد أهله فى أمور كثيرة ومعنى ذلك ان هذه المعارك أثرت العقول ، ولم تؤثر على النفوس الكبيرة .

كذلك كان للرافعى معاركه مع الاستاذ عباس محمود العقاد وقد تكون هذه المعارك أكثر حدة وذلك لأسباب منها :

أولا : استمرارها فترة طويلة من الزمن حوالى سبعة عشر عاما .

---

(١) تحت راية القرآن ٢٤٧ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .

ثانيا : عنفها لأوهى سبب ، وأحيانا بلا مبرر ، وقسوتها المفضية الى الخروج عن آداب المناظرة مع ما للاديبين من مكانة فى النفوس ٠

ثالثا : ما فيها من متابعة : ورصد ، فكل أديب يتربص بالآخــر ويتحين الفرصة لينقض على زميله فى غير رفق ٠

رابعا : تركت آثارها على محبى الرجلين ، فأنصـــار العقـــاد لا يهاجمون أحدا هجومهم للرافعى ، بل ربما ألفت الكتب فى أدبـــه وســـيرته ٠

والعقاد أخذ على الرافعى فى نقده ضعفه فى اللغة الأجنبية وعدم تمكنه من القراءة والاطلاع بها ، البيئة المحافظة التقليدية وتشتد المعارك بينهما وفيها من الأسباب الشخصية التى زادت من اشعال نار البغضاء بينهما ٠ ومن آثار العقاد التى كتب عنهـــا الرافعى كتاب ابن الرومى حياته من شعره ، وديوان وحى الأربعين ٠

ومن اثاره التى تدل على اتساع ثقافته وشدته على نفسه رسالته الى أبى رية يقول فيها « انك تريد امتلاك ناصية الأدب كما تقول فينبغى أن تكون لك مواهب وراثية تؤديك الى هذه الغاية وهى مالا يعرف الا بعد أن تشتغل بالتحصيل زمنا ٠٠٠ فاذا رغبت فى أقرب الطرق الى ذلك فاجتهد أن تكون مفكرا منتقدا ، وعليك بقراءة كتب المعانى قبل كتب الألفاظ وادرس ما تصل اليه يدك من كتب الاجتماع والفلســـفة الأدبية فى لغة أوربية أو فيما عرب منها ، واصرف همك من كتب الأدب باديء ذى بدء الى كليلة ودمنة ، والأغانى ، ورســـائل الجاحظ ، وكتـــاب الحيوان والبيان والتبين وتفقه فى البلاغة بكتاب المثل السائر ، ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ كتاب تحفة الرائد لليازجى ، والألفاظ الكتابية للهمذانى ، وبالمطالعة فى كتاب يتيمة الدهر للثعالبى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب زهر الآداب الذى بهامشه ٠٠٠ ولا تنسى شرح ديوان الحماسة ، وكتاب نهج البلاغة فاحفظ منها كثيرا ٠ ورأس هذا الأمر ، بل سر النجاح فيه أن تكون صبورا ، وأن تعرف أن ما يستطيعه الرجـــل لا يستطيعه الطفل الا متى صار رجلا ، وبعبارة صريحة ، الا من انتظر سنوات طويلة »(١) ٠

---

(١) من رسائل الرافعى ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

أما أهم سمات أسلوبه : -

١ - عنايته بالبيان وازحام أسلوبه بالاستعارات والمجازات والكنايات فى حدة وطرافة واتقان وابداع .

٢ - الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والتراث الأدبى القديم من شعر وأمثال .

٣ - الاقتصاد فى استخدام بعض ألوان البديع الذى يخدم الجانب المعنوى فى توكيد الافكار المقبولة كالمقابلة ، والجانب البيانى كالسجع والجناس .

٤ - الاهتمام بالخواطر النفسية والمشاعر الانسانية ، والمواقف الاسلامية والصور الوصفية ، والنظرات الاصلاحية الممزوجة بالطابع العربى الاسلامى(١) .

٥ - وأسلوب الرافعى أسلوب يحافظ على القديم ، وهو متمكن من اللغة عارف بأسرارها .

٦ - يقول د. أحمد الحوفى(٢) عن الرافعى (انه لم يكن شاعرا فى قالب انسان ، بل كان انسانا فى قالب شاعر لأن الشاعرية قوامه وكيانه . فقد كان شاعرا فى يقظته الى الهمسة الخافية ، وفى ادراكه للخلجة المتوارية ، وفى انفعاله بالحدث الذى قد يمضى عابرا لا يكاد يلتفت اليه أحد . وكان شاعرا فى تخير الكلمة ، واصطفاء الجملة ، والانطلاق الى آفاق من الخيال يسبح فيها فنه وافتنانه ، ليعبر عن عواطفه وافكاره ...

وأرجح أنه لو لم يكن اديبا لكان رساما ، لأنه ذو مقدرة على اقتناص الأخيلة وعلى رسمها بتعبيره المسعف ، ولأنه ماهر فى رسم صور جزئية يتلو بعضها بعضا لتصنع الصورة الكلية للفكرة أو للعاطفة فى اطار جميل رائع ... وصوره حسية ومستمدة من الطبيعة ...

---

(١) المقال وتطوره فى الادب المعاصر ١٩٤ .
(٢) أضواء على الادب الحديث ١٩٣ - ١٩٩ .

يقول في أوراق الورد « رأيت عندك الفجر ، وأخذت منه نهارا أحمله في روحي لا يظلم أبدا . وخالطت عندك الربيع ، وانتزعت منه حديقة خالدة النضرة في نفسي لا تذبل أبدا . وجالست عندك الشباب وترك في قلبي من لحظاته مالا يهرم أبدا » ... وهذه الصور الحسية المستمدة من الطبيعة كثيرا ما تتحرك ، فتضيف اليها الحـــركة طرافة وحياة ... وتتصف صوره كلها بانها وليدة تجاربه ومشاهداته ، فلم يعمد الى سبحات الوهم أو شطحات الخيال الغامض ، ولم يتعمد أن يسطو على صور لشاعر سواه ... ولقد ينزع الى صور دينية أو صوفية متأثرا بنشأته وثقافته وتدينه وسلوكه ... على أن بعض صوره لم تسلم من المبالغة ، اما لأن عاطفته كانت أقوى من تصويرها بغير هذه المبالغة ، واما لأنه أراد أن يأتي بجديد لم يسبق اليه .

ابراهيم عبد القادر المـــازنى

ولد المازنى فى ١٩ أغسطس ١٨٩٠ فى احـــدى قرى مصر واليها ينتسب لأب حضر العلم فى الأزهر وسافر الى فرنســـا ، وكان محاميا ٠ تعلم المازنى فى المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية الى أن تخرج فى مدرسة المعلمين الخديوية العالية سنة ١٩٠٩ م ٠ وعين بوزارة المعارف مدرسا للترجمة فى المدرسة السعيدية الثانوية ، ثم الخديوية الثانوية ثم مدرسا للغة الانجليزية سنة ١٩١٤ بمدرســـة المعلمين الناصرية ثم طلب الاقالة فى سبتمبر سنة ١٩١٤ بعد قيام الحرب الكبرى بشهر فرارا من اضطهاد وزير المعارف الذى كان صديقا للشاعر حافظ بك ابراهيم ٠ وكان ابراهيم المازنى قد انتقده (حافظ ابراهيم) واشتغل المازنى مدرســـا للترجمة والتاريخ بالمدرسة الاعدادية الثانوية ثم بوادى النيل الثانوية ، ثم عين ناظرا للمدرسة المصرية الثانوية ٠ ولما قامت الحـــركة الوطنية المصرية ترك التدريس وانصرف الى السياسة(١) ٠

والمازنى يعد من أعلام الشعر والفكر والأدب المعاصر ٠ نظم وألف وكتب فى كل أنواع الأدب المعاصر ٠ وتناول فى أدبه مشكلات المجتمع والمرأة والحب والزواج والعاطفة والسياســة ، وحاول اصـــلاح نقائص المجتمع وعيوبه بأسلوبه الساخر المتميز ٠

وقد أثرت فى حياة المازنى وفكره وأدبه أحداث ثلاثة وهى موت أمه واصابة ساقه وموت زوجته ، وعلى الرغم من هـــذه الاحداث التى نزلت به « لم تخلف العلة فى نفسه المرارة ٠٠٠ بل لعـل ســـاقه التى هيضت فى شبابه كانت من أسباب انزوائه واعتزاله وتفرغه لقراءة مما أتاح له أن يظفر بقدر ضخم من الثقافة واعمال الفكر والتأمل ، وأن يكون واحدا من الرواد الذين مهدوا لنهضة أدبنا المعاصر ويتميز انتاجه الضخم بالأصالة والذوق والعمق ٠

ثقافة المـــازنى :

قرأ المازنى أكثر آثار الجاحظ كما قـــرأ ألف ليـــلة وليـــلة وكان

---

(١) ابراهيم عبد القادر المازنى – د٠ نعمات فؤاد ص ٧٠ ٠

يفضل الجاحظ على غيـــره من الكتاب . وأثر الجاحظ واضح فى أدب المازنى ـ تدل عليه ظاهرة التكرار والاستطراد وحب التصوير والتجسيد، كما نجد عنده لوازم الجاحظ اللفظية من مثل وبعـــد ـ فاعلم أصلحك الله ـ حفظك الله . كذلك اتخاذه السخرية أسلوبا يعالج به قضاياه .

وهو كالجاحظ سهل مسترسل . كذلك قرأ كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وقرأ الجرجانى وخاصة كتابه (دلائل الاعجاز) .

واطلع على شعر كثير من شـعراء العربية وتأثر بالشريف الرضى وابن الرومى والمعرى ، ويعد ابن الرومى أقرب شعراء العربية اليه .

وقد استوفى المازنى قراءة فحول الأدب العربى فى الشعر والنثر أكثر من مرة . وقرأ فى الأدب الغربى لهازلت الذى يعده العقاد امام مدرستهم فى النقد كما اطلع على دواوين بيرون وشلى وشكسبير وشعراء البحيـــرة .

وكان يقرأ مع الشعر نقد الشـعر وتاريخ الأدب فى كتب النقـــاد الممتازين والمؤرخين المأثورين ، وأحبهم اليه هازلت وارنولد وماكولى وسنتسبرى ، وطائفة من كتاب المقـالة الأدبيـــة ، والعجالة النقـــدية الاجتماعية أمثال لى هنت وشارلز لام ، وسويفت ، واديســـون وأحب الروائيين اليه والترسكوت ، وديكنر ، وثاكرى وكنجزلى وشكسبير(١) .

كذلك اتصل المازنى بعد هذا بالأدب الغربى اتصالا شديدا خاصة فى بابى النقد والقصة لا سيما القصة الروسية ومن يقـــرأ كتب المازنى يحس ويلمس احاطته الواسعة بالأدب من جنسيات مختلفة ، وقد احصت د. نعمات فؤاد من وردت اسماؤهم فى كتابه (حصاد الهشيم) وحـده فوجدتها اثنين وسبعين اسما جاء كل منها فى معرض الكلام عن مذهب فى الفن أو نظرية فى العلم أو على سبيل الاستشهاد يقول قائل فى الشعر أو النثر . وكلها اشارات تدل على بصر ودراية وتعمق .

والمازنى يجيد اللغة الانجليزية اجادة كاملة متقنة . أما الفرنسـية

(١) ابراهيم عبد القادر المازنى من ١٢٤ ـ ١٣٧ بتصرف .

فكان يعرفها تماما، وهو يأخذ مكان الصدر بين أعضاء المدرسة الانجليزية . يقول د. شارلز آدمز : (ان أهم عامل فى تكييف المثل الأدبية للعقاد والمازنى هو الأدب الانجليزى . وهما من الكتاب المصريين الذين يعتقدون أن الشرق يستطيع الأخذ عن ذخائر العلوم والآداب الغـــربية دون أن يتخلى عـــن الطابع الاســـلامى العـــربى الذى يطبع مـــدنية الشرق وثقافته)(١) .

وترى د. نعمات فؤاد أن المازنى لم يتأثر بالبيئـــة الأزهرية على الرغم من معاصرته للشيخ محمد عبده .

وقد اهتم المازنى بعلم الأديان المقارن وقرأ التوراة والانجيـــل فى الانجليزية . كذلك اهتم بقراءة التاريخ ، ولكنه سخر من الفلسفة وتعجب من الذين يعنون بها وقد ذكر ذلك فى كتبه كثيرا . قال فى كتابه (حصاد الهشيم) فى معرض الكلام عن فلسفة ابن الرومى : « أيسر اشفاقى من مباحث أصحابنا هؤلاء أن لا أقرب الرف الذى فيه كتبهم .. واذا كتب الله لى أن أفتحها أغمضت عينى .. ولقـــد كنت فى بعض ما سلف من عمرى جريئا . وكنت لا أتهيب كل التهيب أن أفتح واحدا من هذه الكتب ولكنى كنت لأكاد أعبر بضع صفحات حتى أحس كأنى مطل من زحلوقة على هاوية سحيقة فتنفرج شفتاى عن صوت كهذا « بررر رر » فأرفع رأسى فزعا وأمســـك بجوانب الكرسى حتى تطمئن نفسى ويذهب عنى الروع وأحمد الله على السلامة »(٢) .

كتب المازنى فى المقالة بألوانها المختلفة . فملأ صحف الأحزاب بالمقالات السياسية وملأ صفحات الأدب فى الصـــحف الكبرى بالمقالات الأدبية ، وجاء على المجـــلات بالمقالات الباحثة المستوفية ، وكتب من المقالات الساخرة الشىء الكثير(٣) .

---

(١) كتاب الاسلام والتجـــديد فى مصر ٣٤٣ عن ابراهيم عبـد القـــــادر المازنى ص ١٣٠ .

(٢) حصاد الهشيم : ٤١٨ .

(٣) الاعلام د. نعمات فؤاد ١٨٦ .

ومن مقالات المازنى خير كتبه :

حصاد الهشيم : وهو مجموعة من المقالات كتبها ابراهيم عبد القادر المازنى فى الصحف التى عاصرها وخاصة الاخبار ٠ تناول فيها الحديث عن ابن الرومى والمتنبى ورباعيات الخيام ، كما أفاض فيها فى الحديث عن الفن واللغة مثل : معرض الصور والحقيقة والمجاز ٠

قبض الريح مجموعة من المقالات تناول فيها نقد طائفة من الكتاب مثل طه حسين وكتابه حديث الاربعاء ، وبعض الشعراء مثل بشار بن برد ، وأبى العلاء المعرى ٠

كما اشتملت كتبه خيوط العنكبوت ، صندوق الدنيا على مقالات متنوعة فى أغراض شتى ٠

أما مقالاته فى الصحف فيغلب عليها اللون السياسى وقد تناول فى مقالاته السياسية السياسة الداخلية والسياسة الخارجية وتتسم مقالاته السياسية بالسلاسة واليسر وقلة العمق وقد خلت مقالاته فى السياسة الداخلية من الهجاء السافر والطعن الجارح ٠

وللمازنى رأى فى الأحزاب بسطه فى كتابه (من النافذة ») فقد تساءل ما هذه الأحزاب السياسية التى نراها ؟ أليست صورة أخرى للاشراف الذين عفى على عهدهم الزمن ، والذين كانوا لا ينفكون يقتلون على السلطان والمجد ؟ والأحزاب تطلب الحكم وتزعم أنها صادقة لأن غرور الانسان يجعله يتصور انه اقدر من عداه ، ولأنه لا داعى لأن يفرض المرء أن هذا الحزب أو ذاك انما ينشد الحكم ويسعى لولاية الأمر ليسىء عمدا فما يفعل ذلك الا عدو أو خصم لجماعة كلها أو مضطغن على العالم ـ يريد كما يقول المتنبى ـ أن يروى رمحه غير راحم ٠ ولكنها كاذبة حين تزعم أن غايتها الخير للجماعة وحدها ، وأنها لا تبغى لنفسها جاها أو سلطانا ولا يعنيها أن تنعم بمزايا الحكم ٠ على أن ارادة الحكم لما يفيده من المزايا لا تنفى الاخلاص فى ارادة الخير لجماعة والصدق فى دعوى التنزه عن المآرب الشخصية ٠ ووجه الصدق والاخلاص هنا أن الانسان يظل يلهج بخير الجماعة حتى يوحى ذلك الى نفسه ، فيصبح

وهو يعتقد أنه لا يبغى الا الخير العام . وأنه لو جاء هو خير عن طريق الحكم لزهد فيه وأعرض عنه .

فالذى يحسه من نفسه ويعرفه من غاياته هو هذا الخير للجماعة والمستور عن عينه بفعل الايحاء الملح هو المجد الشخصى والمطامع الذاتية .

ومن الناس من لا يمنعه الايحاء الى نفسه أن يدرك أن له مآربه وأن يضعها قبالته وأن يتحرى أن تكون وسائله معينه عليها ومؤدية اليها . ولا سبيل الى الجزم بشىء فان النفوس ليست كتابا تقرأ ، وأصحابها كثيرا ما يجهلونها فكيف بغيرهم »(١) ثم يعود فيقول :

« وكل حزب فى الدنيا عبارة عن أحزاب شتى ، وكل من فيه ينشد البروز والارتقاء الى القمة . والحزب دائرة أبدا بلافتور . والسلاح لايلقى فى ليل أو نهار . فهذا يؤخر نفسه ويقدم غيره ويتخذ من مظهر انكار الذات وسيلة للكيد لمنافس له . وما يقدم غيره على نفسه الا أن يكون آلة فى يده . وتراه لا يكف عن الثناء عليه والشهادة له ليجعله ألين فى يده لفرط ما يسره كل ساعة ، ويلازمه ولا يفارقه ولا يدعه يغيب عن عينيه لحظة ليأسره بمظهر الاخلاص . وليصبح وجوده الى جانبه عادة له وليمنع أن يتمكن من اذنه غيره . ويرى غيره هذا فيسخطون ويتبرمون ويتجه سعيهم الى التفرقة . وقد يتعمدون أن يكتموا النصيحة والرأى السديد ليبدو خطل الرجل وصاحبه . وتسأل عن الخير العـــام للجماعة فى كل هذا فلا تراه وانما ترى منافسات وأحقـاد ودســائس وسعايات لا آخر لها وتسأل عن ارادة الخير ماذا صنع الله بها ؟ فلا تكاد تتبينها ولكنها هناك مع ذلك . وان كانت تحجبها هذه المنافسات وقد تضيعها فى كثير من الأحيان فان من سوء الحظ — أو من يدرى فقد تكون الخيرة فى الواقع أن الحياة تقوم على التعادى لا التعاون . وانما يضطر الانسان الى التعاون ليكون أقدر على القتال وأقرب الى الظفر ، وليس فى الدنيا خير محض ولا شر صرف . وكل منهما ينتج الآخر . على أن الخير والشر ماهما ؟ ان الأمر فيهما تقدير راجع الى الأحوال العارضة .

---

(١) من الناقدة ٨٥ — ٨٦ .

وما اكثر ما رأت الجماعة الخير فى شىء ما ثم آمنت بعد قليل أو كثير انه كان شرا والعكس يحدث أيضا » .

والمازنى يعترف بفضل الصحافة على لغة واسلوب كتابته فقد كان فى بداية كتاباته يصطنع الأسلوب القديم فى الكتابة . ولكنه وبفضل كتابته فى الصحف عرف أن الحياة الجديدة لها لغتها فاتسم أسلوبه بالمرونة التى جعلته قادرا على الكتابة فى أى وقت وفى أى موضوع .

يقول فى مقال بعنوان القومية العربية ، دعا فيه الى جمع كلمة العرب « لقد أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين ، ولو أن هذه القومية العربية لم تكن الا وهما لا سند لها من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلقها خلقا . فما للأمم الصغيرة أمل فى حياة مأمونة ... وأن أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم وتأكلهم أكلا بلحمهم وعظمهم ولكن مليون فلسطينى اذا أضيف اليه مليونا الشام وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له بأس يتقى »(١) .

وابراهيم عبد القادر المازنى يكتب فى نقد الحياة الاجتماعية راغبا فى اصلاح الشباب وتبصيرهم بالطريق القويم ، وقد عمد الى أسلوب التشنيع والتهكم من ليونة الشباب وتخاذلهم واستكانتهم حتى يحفزهم على التخلص من نقائصهم ويدفعهم الى الكدح والصبر على المتاعب واحتمال المكاره فى سبيل الغايات البعيدة فيقول :

« فى حياة المصريين - على العموم - من اللين والبلادة أكثر مما ينبغى وهم - على الجملة - أطلب للترف والرخاء السمين والراحة - منهم للقوة والبأس والتجريب ، ولهم صبر على الفاقة اذا رقت حالهم فى بلادهم ، ولكنهم لا صبر لهم على المغامرة ولا اقبال منهم على الخطار ، وقد يضطرون فيتجلدون ولكن نفوسهم لا تنزع بهم الى معاناة التجريب ، وخيالهم لا ينطلق بهم وراء فتنة ومغرياته .. حتى ثياب الشباب تلمح فيها هذه المعانى فهى مفصلة كأنها للنساء لا للرجال . تجعل

---

(١) الادب العربى المعاصر ، شوقى ضيف ص ٢٨٨ .

للشباب ثديين وخصرا نحيلا وتزيف له على العموم جســما هو بالمرأة أولى ، وتظهره أطرى وألين مما ينبغى أن يكون الرجل ، وترى الشاب فى هذه الثياب المرذولة وتنظر الى وجهه الذى عالجه بالكهرباء والأدهنة فلا تعود تدرى أيهما هو فتاة أم فتى ؟ وحسن أن يطلب المرء التجمل ، ولكن أحسن من ذلك وأمثل أن يطلب الرجولة ... وتنظر الى الشاب المصرى المتطرى وتسأل نفسك ماذا يمكن أن يفكر فيه مثل هذا ؟ الى أى مدى تذهب آماله ؟ وما هو أقصى ما يطمح اليه .

ولا يسعك وأنت تعجمه بعينك الا أن تنفى عنه كل ماله علاقة بحياة الكدح والنصب والصبر على المتاعب واحتمال المكاره ، والا أن تبرئه من امكان اللجاجة فى طلب الغايات البعيدة ، والالحاح فى المســاعى على الرغم مما عسى أن يمنى به من الخيبة المتكررة ، ولا يخطــر لك أنه طاووس مغرور عقله فى ذيله وقيمته كلها فى قيمة هذا الذيل ، ولا يجرى ببالك أنه يطلب من الحياة ، أو يجرى من نفسه مجرى الآمال ، شيئا أكثر من أن يكون زير نساء وصائد قلوب وأن تكون له سيارة يسوقها بنفسه والى جانبه فتاة يغازلها ، أو على الأصح يسابقها فى ميدانها ويغالبها بسلاحها وهو الجمال ، ولو عقل لأدرك أن المرأة انما تطلب بغريزتها السليمة الرجولة الصحيحة لا الأنوثة المزيفة » .

والمقالة هدفها اصلاح الشباب . والكاتب مخلص فى نصحه يعلم الشباب بصبر ويدعوهم الى خيرهم وخير وطنهم .

وله مقالات هزلية أو فكاهية وكانت هذه المقالات تدور حول نفسه فزكريات طفولته وصباه وشبابه عرضها فى صورة ضاحكة ساخرة وقد كان يعتمد احيانا على الحوار فى تصوير فكاهاته ، وفى بعضها الاخر يعتمد على التصوير للأفعال والتصرفات ويعتمد فى بعضــها على النكتة ومن أمثلة هذا النوع ما جاء فى مقال بعنوان (ذكريات عــابر سبيل)(٢) يقول : (.. والزواج ـ كما هو معروف من مزاياه أنه يكسب الانسان مرونة فى التعبير ، وقدرة على الاحتياط وبراعة فى التحــرز وســعة

---

(١) الرسالة العدد ١٦٢ السنة الرابعة ص ١٢٨٣ فى ١٠/٩/١٩٣٦ .

الحيلة . وانى اذكر انى كنت مع اسرتى فى سوريا منذ نحو سنتين فذهبنا مرة الى بيروت، لنشترى أشياء نهديها الى أهلنا ومعارفنا عند عودتنا . فرأت زوجتى معطفا ثمينا جدا فأعجبها واشتهت أن يكون لها . ولكنى نظرت الى ثمنه فدار رأسى . وأيقنت اذا اشتريناه سنضطر الى الاستجداء والتسول ، فأصابتنى فجأة نوبة عصبية حادة لم ترها زوجتى من قبل ففزعت ودعت أصحاب المحل أن يدلوها على طبيب بارع فى الأمراض العصبية .

خيل اليها أن الذى أصابنى لابد أن يكون ضربا من الصرع أو التشنج فحملونى الى طبيب فرنسى قالوا انه هو الاخصائى الوحيد هنا. وأنه من آيات الله ومعجزاته فى طب الأمراض العصبية ، فادخلونى عليه فاتضح له من استجوابى ومما عرفه من تاريخ آبائى وأجدادى من قبل أن أهلى فى حداثتى خوفونى مرة بدب صناعى له فرو كثيف وكانت صدمة الفزع الذى انتابنى من صغرى شديدة جدا فأنا من ذلك الحين اضطرب جدا جدا اذا وقعت عينى على فرو .. فسألته زوجتى التى لم تكن تعرف هذا الجانب من تاريخ حياتى الحافل بالمفاجآت - سألته عن العلاج فقال « أوه ... لا شىء لا داعى للقلق ... ولكن يجب ألا يرى الفرو أبدا والحق أقول انه كان طبيبا بارعا جدا فان مرضى لم يعاودنى أبدا ... والفضل بعد الطبيب بلا شك لزوجتى التى حرصت أعظم الحرص على الا أرى الفرو ... »(١) .

ومن مقالاته الأدبية هذا المقال :

أما مقالاته التأملية الذاتية فمنها هذا المقال بعنوان(٢) (طريق الحياة) ، كانت عادتى الى بضع سنين ألا أبرح بيتى الا وفى يدى كتاب وكنت لا أكاد استقر فى الترام حتى افتح الكتاب واقبل عليه وانصرف عن الدنيا التى حولى حين اخرج للرياضة . كنت اتخير الطرق المهجورة فأميل اليها ، ليتسنى لى أن أقرأ فى كتابى وأنا آمن ، فلما

---

(١) و (٢) المنتخب من أدب المقالة للقراءة والانشاء اختيار د. كمال اليازجى، د. أميل ص ٤٦ - ٤٨ .

كنت اقرأ مؤلفا حديثا أو كتابا أو ديوان ، لست على يقين جـــازم من جودته ، فكان علمى بالدنيا ومعرفتى بالحياة قاصرين على مايفيده المرء من الكتب ، وكنت اشعر كانى مغرب عن الناس ، وأن الذى بينى وبينهم خراب لا عمار فيه ٠

وكنت أتصور الحياة معنى لا ألمس له حقيقة ، ولا أضع يدى على صور لها محسوسة ، وكان فهمى للحياة واحساسى بوقعها ، عن طريق النظر فى جوانب نفسى ، وذلك لأنى اعتدت أن أرد عينى عن النظر الى ماهو امامى ، وأن أدبرها فى سريرتى ، وكانت تجاربى هى ما تمثله الكتب لاحساس وتحضره لذهنى ، وتكشف لى عن وجوه الألم والحزن والخطأ والاثم ٠

وعشت خير عمرى لا أعرف حقيقة الفــزع والهول ، ولا السرور واللذة ، وانما أعرف ما يوصف لى من وقعها ، فكان قلبى أبدا يخفق بالوهم على جناح الخيال ، ولا يزال يفتنه سحر العواطف والخواطر المدونة - وكنت أزهى بذلك وأخادع نفسى فيه وأقول : وما حاجتى الى التجريب الشخصى ، لتتحرك فى هذه العواطف ؟

وهبنى جربت وجربت ، فهل أطمع أن أجرب كل شىء ؟ ومادام أن بى حاجة الى الكتب لتسد النقص فى تجاربى ، فمالى لا أجعل هذه الكتب معولى كله ، ومعتمدى فى التجريب ؟

ان الغرض من التجريب العاطفة والمعرفة ، وليس أقدر من الكتب على اثارة تلك العواطف التى تجعل حوادث الحياة أشد تحريكا للنفس وتجعلها - أى النفس - اتم استعدادا لقبول المؤثرات ، على اختلاف أنواعها ودرجاتها ، فبحسبى ظاهر التجريب الذى تهيئه لى القراءة وسواء على كل حال ، أن تؤثر فى المــرء الحقيقة الواقعة بالذات أو يأتى التأثير عن طريق آخر ، كالرموز اللفظية التى تمثل صفات هذه الحقيقة وتصور وقعها ٠

كذلك كنت ، فما أغرب ما حدث : لست أحمل الآن الكتب معى

حيث ما اكون ، ولا انا اغالى بقيمتها أن استغنى بها عن حقيقة التجريب الشخصى ، فقد ظلت الحيـــاة تصدمنى وترجنى ، وتدفع فى وجهى وصدرى ، حتى ردتنى اليها ، وفتحت عينى على مظاهرها ثم افقت من دهشتى ، وأجلت بصرى فى نفسى وفى الدنيا ، ثم ذهبت اتساءل كيف حدث هذا ؟ لقد كانت قدمى ثابتة وأنا أقطع طريقى فى الحياة ، ولم يكن يخالجنى شك فى دقة علمى بالطريق وكفاية احاطتى بطبيعته ، فمن أين جاءت هذه الزحاليق ؟ ماذا جرى حتى رحت أتدحرج وتتلقفنى الصـــخور ؟!

وأردت أن أعرض على ذهنى ما أمدتنى به الكتب من الهداية ، وأن أبسط تحت عينى المصور الذى رسمته لنفسى بمعونتها ، فاذا الذى فى رأسى من الكتب ضباب ، واذا المصور تتداخل دروبه ومسالكه ، وتختلط حتى لا سبيل الى التمييز بينها . واذا ظاهـرُ التجـــريب لا يغنى عن التجريب ، وتوهم الفهم ليس معناه الفهم الصحيح ، واذا بى قد شارفت الأربعين ، وما زلت فى مبلغ علمى بالدنيا وفهمى للحيـــاة ، وادراكى لحقائقها ، طفلا يمد أصابعه الى الجمرات ، يحسبها لعبة أو طعاما .

وأنا الآن أعلم نفسى من جديد ، وأعالج تنشئة ابنى معى . كلانا طفل يتخبط ويجرب ، وكل ما بينى وبينه من الفرق ، أن ورائى تجربة مرة لا تنفك تزجرنى عن الكرة الى مثل ما أوقع فيها ، وأن ذهنه جديد لم يزحمه شىء ، وأن نفسه صـافية لا يشـــوبها رنق ولا كدر . ووالله ما أدرى وأنا أسير معه فى الحياة - ويده فى يدى - أينا الذى يســـير بصاحبه ، أو أينا الذى يأخذ بيد رفيقه) .

ونلاحظ فى المقالات السابقة أن المازنى لم يخرج قط عن مزاجه الشخصى ولم يبعد عن تجاربه الخاصة هذا من جانب .

وأما الجانب الآخر فقد أشارت اليه د. نعمات أحمد فؤاد(١) وهو يتعلق بثقافة المازنى الانجليزية وأثرها فى كتاباته فقالت : « وقد قـرأ المازنى صدرا كبيرا من آداب الغرب وخاصة فى الأدب الانجليز ، وقـــد تأثر كثيرا ببعض ما ترجم من الآثار الغربية ، ويبدو التأثر واضحا فى اقتباس الاتجاه فى بعض الموضوعات وقد أشار هو نفسه الى هذا فى

(مذكرات آدم وحواء) - (وهى فى كتابه صندوق الدنيا وقد أشار الى أن هذه المذكرات موضوعة على نسق مذكرات آدم لمـــارك توين وهى تشبهها فى الأسلوب الفكاهى) ، ولم يتوقف فى تأثره عند حد الاقتباس بل راح ينقل عن مارك توين الكاتب الأمريكى صـورا من ســـخريته من كتـــاب The Inocents Abroad ، ويؤكد هذا النقل ما جاء من تشابه بين ما تضمنه كتاب (رحلة الحجاز) للمازنى وبين كتاب مارك توين.

ويبرز التشابه واضحا تماما بين وصف توين لهياج البحر وأثره فى نفسه وفى نفوس زملائه ، وبين ما قاله المازنى نفسه والألفاظ نفســـها والعبارات مما يقع فى الصـــفحات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ من كتاب (رحلة الحجاز) » .

خصائص أسـلوب المازنى :

كان أسلوب المازنى حافلا بآرائه وعواطفه ، وقد وصفه بنفســـه بقوله (وكانت لغته صورة من روحه ، وألفاظـــه كأنما تدرك أنها درر ولآلىء تلقى تحت عيون الخنازير ، وكان يرمى العبارة فوق الأخرى ويكظها جميعا لشخصيته حتى لتحس أن ألفاظه ملأى بمعـــانيه هو ، وأنه لا سبيل لك الى رأى أو احساس فيما وراء هذا الكوم المكدس من الآراء والاحساسات وأن عليك أن تبلع بلا تردد ولا مضغ)(٢) .

تقول د. نعمات فؤاد(٣) وهو فى أسلوبه شخصية متميزة فى الأدب المصرى الحديث تقرؤه فتعرفه حتى لو طالعك مقاله عاطلا من الامضاء تعرفه بخصائصه التى تدل عليه ، وهى السهولة والاستطراد والسخرية والطلاقة فى التعبير ، حتى ليؤثر فى كثير من المواضع اللفظ المستخدم فى لغة الحديث اليومية مادام سليما لا عجمة فيه فيحسبه القارىء العابر عاميا لسبق معرفته به واستعماله له وما درى أنه يتحدث بلغة فيها كثير من الألفاظ السليمة العربية النسب » .

---

(١) الاعلام : ابراهيم عبد القادر المازنى .
(٢) ابراهيم الكاتب ص ٢٠٠ .
(٣) ابراهيم عبد القادر المازنى ص ١٠٦ .

وأهم ما يتميز به أسلوب المازنى : التفصيل فى التصوير والعناية بالخيال والتعبير والشـــعبية ، واســـتخدام بعض الالفاظ الغـــريبة ، الاستشهاد بأدب العرب .

وأسلوبه واقعى دقيق التعبير ، وهو مولع بالمبالغة .

كذلك اشتمل على كثير من الجمل الاعتراضية كما أنه يميل الى الاستطراد ، والميل الى الفكاهة والسخرية ، واعتماده على الحوار وهو فى أسلوبه يمثل خصائص الشخصية المصرية .

محمد حسين هيكل(١)

ولد محمد حسين هيكل فى العشرين من اغسطس سنة ١٨٨٨ بقرية كفر غنام مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية بمصر • ولد لأبوين من صميم الريف المصرى • وكان والده حسين أفندى سالم هيكل من أصحاب النفوذ والثراء فى الريف المصرى •

أرسله أبوه الى كتاب القرية مبكرا حيث أتم حفظ القرآن ، ثم ذهب الى مدرسة الجمالية بالقاهرة منذ عام ١٩٠١ ثم انتقل الى المدرسة الخديوية حيث أتم بها دراسته الثانوية أو التجهيزية كما كانت تعرف فى تلك الأيام وحصل على البكالوريا عام ١٩٠٥ •

وكان يقضى عطلته الدراسية بقريته ولا يعمل بأعمال الفلاحة ولكن يمضى وقته فى القراءة والكتابة ، والتأمل فى طبيعة الريف • وقد أصدر مجلة للقرية دعاها « الفضيلة » طبعها على (البالوظة) ثم وزعها على القراء فى قريته والقرى المجاورة •

وحتى اتمامه لدراسته الثانوية لم يكن له رأى مكون فى السياسة ولا أمور الاجتماع ، الا أنه كان شديد الميل لدراسة الأدب العربى قديمه وحديثه • والتحق بمدرسة الحقوق بتوجيه من أستاذه أحمد لطفى السيد وعمل فى (الجريدة) ونشر له أول مقال عن (تحرير المرأة) عام ١٩٠٧ وشجعه أستاذه لطفى السيد وأفاده فى شتى مجالات الفكر والأدب والسياسة ، ونشر له كل ما يكتب بالجريدة •

تخرج هيكل من مدرسة الحقوق وسافر فى بعثة الى فرنسا للحصول على الدكتوراه وحصل على الدكتوراه عام ١٩١٢ • وعاد الى وطنه ولم يتجاوز عمره أربعة وعشرون عاما • وعمل بالمحاماة فى المنصورة حيث افتتح مكتبا للمحاماة بها ، هذا الى جانب عمله بالصحافة (الجريدة)

---

١) د• محمد حسين هيكل مفكرا وأديبا د• حسين فوزى النجار •

(٢) محمد حسين هيكل فى ذكراه د• عبد العز شرف •

ثم ندبته الجامعة محاضرا بمدرسة الحقوق الى جانب عمله ، واستمر على ذلك حتى نشبت الحرب العالمية الاولى ، واعلنت الحماية البريطانية على مصر وخضعت الصحف للأحكام العسكرية وفرضت الرقابة على المطبوعات وعطل الكتاب السياسيون صحفهم الواحدة بعد الاخرى واحتجبت الجريدة هى الأخرى عام ١٩١٥ ٠

شعر هيكل بان على جيله واجبا يتحتم اداؤه للوطن ، واتفق الرأى على تكوين حزب سموه (الحزب الديمقراطى) يضم عدا هيكل ، مصطفى عبدالرازق ومنصور فهمى ومحمود عزمى وعزيز ميرهم ووضعوا له برنامجا عاما وفق ما يرون محققا لآرائهم ومصلحة وطنهم ٠ وفى هذه الفترة نشأ فى مصر حزبين سياسيين الأول حزب الاحرار الدستوريين برياسة عدلى يكن ، والثانى حزب الوفد برئاسة سعد زغلول ٠

وتولى هيكل تحرير جريدة (السياسة) لسان حال حزب الأحرار الدستوريين منذ صدورها فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ٠ وحمل هيكل أعباء تحرير السياسة ، السياسة الأسبوعية حتى انتقل من منصب رئيس التحرير الى منصب الوزارة فكان وزيرا للدولة ى فوزيرا للمعارف فى وزارة محمد محمود الثانية التى شكلت فى ٥١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ وكان لطفى السيد من أعضائها وزيرا للدولة أيضا ٠ فاجتمع بذلك الأستاذ والتلميذ معا فى وزارة واحدة كما اجتمعا من قبل فى ميدان الصحافة ٠

عنى هيكل بالجانب السياسى من تاريخ مصر المعاصر وكتب عنه فى مذكراته كما أثر العمل السياسى فى الصحافة فى شخصيته ٠

يقول فى مذكراته تحت عنوان : « مذكرات فى السياسة المصرية »
« وبين نظرة الصحفى وبين نظرة الوزير أو رئيس الشيوخ للحوادث فرق كبير يجعل النظرتين تختلفان اختلافا كبيرا ، فالصحفى ناقد يجلس فى شرفات المتفرجين ليرى ما يقع على مسرح الحوادث ويبدى رأيه فيه معارضة أو تأييدا ٠ أما الوزير ورئيس الحزب ورئيس الشيوخ فيقف كل منهم على هذا المسرح ليكون موضع نقد الصحفى وحكمه ، وشتان بين الموقفين ، صحيح أن الصحفى كالناقد ، ليس أيهما متفرجا عاديا ، وليس

أيهما لذلك متأثرا ذاتيا بما يقع على المسرح كسائر المتفرجين وكفى ، بل هما يؤثران بما يكتبان عن طـــريق الرأى العـــام فى أعمـــال الوزراء والمسئولين على اختلاف اتجاهاتهم تأثيرا مباشرا وذلك ما جعل كثيرين من الكتاب الدستوريين يصفون الصحافة بأنها سلطة رابعة فى الدولة لها من النفوذ فى الشئون العامة ما للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية .

والصحفى كالناقد فى الأدب أو فى العلم ، الا أنه يتعرض للشئون العامة جميعها ، وهو كالناقد وكالمتفرج يقف دائما على مسافة من المسرح ولا يزج بنفسه فى غمارها ، وهو ان قارب المسئولين ليؤيدهم فيما يقتنع بوجه الحق فيه ، أو ليصد عنهم صولة المعارض ان هى بالغت أو تنكبت سبيل الرشاد ، فلن تبلغ مقاربته حد الاشتراك فى المسئولية وذلك بأنه غير مطالب بتأييد مالا يقتنع به ما كان صـــحفيا نزيها جديرا باســـم الصحفى النزيه » .

« أما الذين يؤيدون خوفا أو طمعا ، فأولئك ليســوا جـديرين بالانتساب الى الصحافة . ونظرة الوزير تختلف عن نظـــرة الصحفى اختلافا كبيرا ، نظرة الصحفى النزيه مثالية تزن الحوادث لذاتها » .

وقد حرصت على وصــف الصـــحفى والوزير بالنزاهة ، لأن من يتنكبها منهما لا يدخل فى حسابى ، ولا أستطيع أن أعرف نظرته ، ولن يستطيع أحد أن يعرفها معرفة دقيقة ، لأنها تتلون بلون الشوائب التى تشوب النزاهة أكثر مما تتلون بأى لون آخر ، وهذه الشوائب كثيرة متشعبة ، ولكل شائبة منها منظارها الخاص الذى يسبغ على الحوادث لونها » (١) .

واستمر هيــكل فى وزارتى المعارف والشـــئون الاجتماعية وأثبت مقدرة فائقة حتى أكتوبر من عام ١٩٤٤ . وفى وزارة أحمد ماهر أجريت انتخابات فاختير هيكل لرئاسة مجلس الشيوخ ، كما انتخب من قبـــل رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين .

---

(١) مذكرات هيكل جـ ٢ ، ص ١٨ .

ويبقى هيكل رئيسا لمجلس الشيوخ حتى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ .

وقد أستمر هيكل رغم انشغاله بعالم السياسة ورغم حالات المرض يواصل الكتابة فى الصحف ، والتاليف الأدبى والفكرى . وكان آخـر مقال نشرته صحيفة الاخبار قبـل وفاته بيومين وتوفاه الله فى الثامن من ديسمبر سنة ١٩٥٦ .

ثقافة هيكـل :

اهتم هيكل أولا بالثقافة العربية فقد عشـق من صـغره القراءة والاطلاع على الأدب العربى قديمه وحـديثه فقرأ أمالى القالى وأغانى الأصفهانى وأمثال الميدانى ، والبيان والتبين للجاحظ ، وقرأ كتاب جمال الدين الأفغانى فى الرد على الدهريين ، والاسـلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ، وما أن أصدر السيد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الامام حتى أقبل على قراءته وقراءة مقالاته فى العروة الوثقى . وتأثر هيكل بطريقة الأستاذ الامام وبأسلوبه(٢) ـ كذلك تأثر باستاذه أحمد لطفى السـيد وهيكل تحدث عن قصة حى بن يقظان التى تمثل التفكير الدينى الحر فى عصر ابن طفيل كما أشار الى اطلاعه على ألف ليلة وليلة التى جمعت قصصا رائعة خيالية كما يتحدث عن قصة عنترة بن شداد والزير سـالم وسيف بن زى يزن ورأس الغول وغير ذلك .

وهو فى ذلك يوضح صلته الوثيقة بالثقافة العربية منذ الصغر .

وهو يؤكد على أن الأديب الحق ، لا مفر له من أن يقف على آداب لغته وقوفا صحيحا ، وأن يحيط ما استطاع بعلوم عصره وفلسفته وآدابه فى اللغات المختلفة(١) .

يقول د. طه حسين مخاطبا صديقه هيكل : « وأنت تذكر ما كان بينك وبينى من جدال متصل فى هذا الموضوع (اللغة) فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة فى اللغة العـربية ، وكنت تجيبنى بأنى أزهرى ، وكان

---

(١) مذكرات هيكل حـ ١ ، ٣٢ ، ٢٨ ، ٢٤ .

(٢) ثورة الادب ـ هيكل ٣٥ ، ٧٨ ، ٣٦ .

استاذنا لطفى يسخر منى ومنك فى رفق وحنان . وقد مضت أيام وأعوام ومازلت انا ازهريا كما كنت ، اما انت فقد اتقنت اللغة العربية ورضتها حتى ذللت لك . فانت تستطيع أن تقول انى أزهرى ، وأنا لا أستطيع أن اتهمك بالضعف فى اللغة العربية . ولكن لكل شىء حدا فما رأيك فى أنك قد أتقنت اللغة العربية حتى لقد تسرف فى هذا الاتقان وتصطنع من الالفاظ والأساليب ما يصح أن تعاب به لانه أدنى الى التقعر منه الى شىء آخر . صدقنى فانت ازهرى فى بعض الأحيان ولم لى عليك من فضل أيها الصديق مازلت اعيب لغتك حتى أصبحت شيخا قحا »(٢) .

أما المنبع الثانى من منابع ثقافة هيكل فهو المنبع المتصل بالفكر الغربى فقد قرأ (الحرية) لجون ستيوارت مل ، (العـــدل) لسبنسر و (الأبطال) لكارليل ، (الثورة الفرنسية) لكارليل ايضا . هذا الى كتب أخرى فى الأدب الانجليزية أفســحت له آفاقا لم يكن له بها عهد من قبـــــل .

وفى بعثته الى باريس يطالع آفاقا جديدة من حرية الفكر والعقيدة ويقبل على دراسة الأدب الفرنسى فيرى فيه جزالة وطلاوة .

ويذكر أنه قرأ كتاب (الحكومة النيابية) لجون ستيوارت مل فى ترجمته الفرنسية ويعجب بالكتاب وصاحبه يقول : « وأنه من الآراء التى أخذت بفكرى مما قرره مل فى كتابه : أنها هى الأمة التى تجعل الحكومة قوية مستقيمة اذا كانت هى قوية متنبهة لكل ما تأتيه الحكومة ، كما أن ضعف الحكومة يسقط الحكومة الى الدرك الأسفل ، وأن الأفراد الذين يعملون بها هم الذين عليهم استقامتها ، وليست النظم الموضوعة لتفيد شيئا اذا كان منفذوها فاسدى النفوس » .

كذلك يهتم فى باريس بحفظ قصيدة « الفقراء لفيكتور هوجو » . كما قرأ كتاب أرفج الأمريكى عن تاريخ سيدنا محمد ﷺ ، ورواية (النبى الأبيض) لهول كين ويعلن فى يومياته فى باريس كذلك اعجابه برواية اندروراك وأنه قرأ بعض كتب ارنست رينان ، وقرأ كثير لموليير ، وحضر

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩ مارس ١٩٢٦ .

بعض رواياته على المسرح ، وكان المسرح هوايته المفضلة · وكان يعود من عرض المسرحيات الباريسية لينقد التمثيل والتمثيليات وهذا مما ساعده على تكوين العقلية النقدية التى ظهرت فى مقالاته فيما بعد ·

وهو أيضا قرأ عن (جاك جاك روسو) قراءة عميقة وتأثر به ، كما قرأ أهم ما كتبه النقاد عن روسو ، وكتاب هيكل كتابا عنه · وقد أهدى هذا الكتاب « الى مصر الحرة ، الى القلوب الخفاقة بمعانى الحرية والعدالة والاخاء » وقال « هذا الكتاب صورة لأب من آباء الحرية والمساواة ، وقديس من قديسى العدالة الاجتماعية الصحيحة » · ورجا أن تجد مصر من بين أبنائها البررة من يقوم بتحقيق الأفكار الصحيحة فى الكتاب تحت سمائها البديعة الصافية ، ثم بين أنه كمصرى أولا ، وكشرقى ثانيا ، يريد أن يعرض على أبناء مصر والشرق صورة من قوة حيوية قامت فى الغرب ، لعل فى عرضها ما يجعل الصلة بين الشرق والغرب ممكنة على أساس من التفاهم الحر المخلص ، لا على مجرد القوة الغاشمة المتحكمة · وليس التلاقى محالا فى عالم النظر الاجتماعى بين الشرقى القانع السعيد فى أحضان الطبيعة الكريمة الطقس والجو والمنبت ، والغربى البائس بين الجبال والثلوج · ولكنا بحاجة الى عصور تمر ومودة متبادلة واخاء ومساواة عادلة ليمكن ذلك التلاقى ·

ومن أدوات ذلك نقل الافكار المتداولة فى مختلف الأقطار نقلا صحيحا أمينا ، ووصف حياة الأبطال الهداة وصفا دقيقا بعيدا عن كل تحيز » ·

فهيكل قد جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية بألوانها المختلفة وتأثر بكليهما ومزج بينهما ، وهذا علاوة على صفاته الشخصية من أخلاصه وصدقه وحبه لدينه ووطنه وكراهيته لكل ظالم مستبد فى التاريخ القديم ولذلك كتب عن الشخصيات التى تمثل الخير والعدل والسلام والصدق مثل محمد ، وأبى بكر ، وعمر ، ومصطفى كامل وقاسم أمين ، جان جاك روسو غاندى وغيرهم فقد كان لكل منهم رسالة عادت على أمته والانسانية بالخير ·

مقـــالات هيــكل :

يعد هيكل من رواد الأدب الحديث الذين نطلق عليهم اسم (المقاليين العظام) الذى كتبوا مؤلفاتهم أولا فى المقالة ، ثم بسطوها فى كتب وقد يبثون الفكرة فى كتاب ثم يتحدثون عنها فى مقالاتهم .

وقد حفلت صـــحيفة (الجـــريدة) بمقالات هيــكل السياســـية والاجتماعية والثقافية .

كذلك كتب فى جريدة (السفور) وكانت جريدة أســـبوعية أدبية واجتماعية نقدية لا شأن لها بالسياسة . وان كانت السياسة كانت من أكبر المؤثرات فيها كذلك نشر هيكل فى المقتطف سلسلة مقالات عن القدرية والجبرية ورأى هيكل أن نفى الاختيار اطلاقا مغالاة ، وأن من الواجب الاعتراف باختيار نسبى للفرد يميز بين الخير والشر والحســـن والقبيح ويمكن معه احتمال مسئولية العمل الذى يعمله . وأن هذا الاختيـــار النسبى الذى هو أساس المسئولية ونتيجة من نتائج حرية الارادة حرية نسبية وهو متعلق بالفرد ملتصق به بل هو جزء منه) .

وقد يكون هذا البحث أيضا مرجعه ظروف الحرب والجو السياسى والاجتماعى الذى عاشت فيه البلاد فى تلك الآونة .

كذلك تناول مقالا مطولا فى شـأن الطـــلاق وأثره فى الحيـــاة الاجتماعية فى مصر ووسائل تنظيمه ، كما كتب بها بحثا فى أدب اللغة الفرنسية .

والى جانب عناية هيكل الكبيرة بالسياســـة والثقافة والفكر عنى بمقال السيرة كما اهتم بنقد المجتمع ، وقد أسهم فى توجيه النقد الأدبى وجهة البحث العلمى حين تناول تاريخ آداب العـــرب للرافعى وتاريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان .

كما أن له مقالات أدبية ممتعة نشرت بجريدة (السياسة) اليومية تناولت الثورات التى شـــــهدها نصف القـــرن الآخير فى شـئون الكتابة والأدب ، وجمـــود أصـحاب المذاهـب ، ومن هنـــا تناولت

الأدب المصرى الخالص ، ودعوة صريحة لبعض النقاد الى تمصير أدبنا والاتجاه به اتجاها قوميا · وتعد هذه المقالات ذات قيمـــة كبيرة لأنها توضح الاتجاهات الفنية والنقدية لتلك الفترة وتضم آراء قيمة فى الأدب والفن لها وزنها وخطرها ·

وقد جمع هذه المقالات فى كتاب بعد ذلك وأسماها (ثورة الأدب) وفيه يرى أن الفكـــر فى أى أمة من الأمم (هو العنـــوان الصـحيح لحضارتها ، وهو القوة التى لا تستطيع قوة أخرى كبحها والقضاء عليها بالسهولة التى تقضى بهـــا على القـــوات المســـلحة على الثـــورات السياسية)(١) ـ وانما يقضى على ثورة الفكر باندساس عوامل تفسد توجيهها · ويذهب هيكل الى أن مجهودا كبيرا قد أنفق فى هذا السبيل كما أنفق من قبل ذلك مجهودا كبيرا للقضاء على حركة الاصلاح الدينى التى بدأها المرحوم الشيخ محمد عبـــده والتى كانت جديرة بأن تؤتى أعظم الثمرات(٢) ·

ويذهب هيكل الى أن ثورة الفكر توازى الثورة السياسية المتصـلة فى مسيرها وتعانى من صور الركود واليقظة والتقدم والتراجع ما تعانى زميلتها(٣) ·

ويرى هيكل أن (الجهود التى توجه لمحاربة الجمود ليست دون الجهود التى توجه لمحاربة الاستعمار والاستبداد ، ذلك بأن الجمود هو الذى مكن فى الماضى للمستبدين وللمستعمرين · وهو الذى يمد اليوم فى أمل من لا يزال له منهم أمل أن يحكم أمم الشرق بالسيف والنار ، أو بالخديعة والتفرقة فاذا قضى على الجامدين أو اذا هم ذلوا وخضعوا ، رأى المتعسفون فى الحكم أن لم يبق لهم الى العنف والعسف سبيل ، لأن الحرية الغالية (وهذا قوله) تطغى على كل عنف وعسف ، فجلوا عن أماكنهم جلاء أخيـــرا ونزلوا عن عتيق مبادئهم ليعنفوا مبـــدأ التعاون والتصامد فى سبيل الحرية والحق » ·

---

(١) ص ١٠ ، ١١ ثورة الادب ·
(٢) و (٣) نفس المرجع ١٢ ·

ويرى هيكل أن اثار هذه الثورة على جمود الماضى العتيق وعلى عسف الحاضر ، وما يؤيد هذا العسف من استبداد واستعمار تتجلى فى النضال بين القديم والحديث فى اللغة والأدب ، وفى الدعوة الى التجديد فى العلم والفكر ، وما نلمسه من اندفاع الى الحرية فى الحس والعاطفة وفى الرأى وابدائه ، وما نشهده من محاولات جريئة للقضاء على كل آثار الجمود الماضى ٠٠٠ الخ ٠

كذلك كتب (فى أوقات الفراغ) وهى مجموعة من المقالات نشرها فى السياسة والاستقلال والسفور ، تناولت مباحث فى النقد وترجمات لاناتول فرانسى وقاسم أمين وغيرهما من أدباء الغرب والشرق ٠ دعا فيها الى الأدب القومى والحياة العصرية ، التى تسم بخصائص تميزها عن غيرها ، كما تناولت نقد بعض الشخصيات مثل أحمد لطفى السيد فى كتابه (علم الأخلاق) لأرسطا طاليس ، « محمد » فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين ، ونقد فيها كتبا لجورجى زيدان ومصطفى صادق الرافعى ، ومحمد السباعى وطه حسين وغيرهم من رجال العلم ٠ وتضم المقالات قصصا وأحاديث عن أبيسى وسمير اميسى وغيرهما ٠

ومما جاء فى كتاب (فى أوقات الفراغ) فى استاذه أحمد لطفى السيد قوله : « لك الفضل الأول فى تعليم من أسعدهم الحظ بالاستماع اليك أول شبابهم كيف يقضون أوقات فراغهم يفكرون فيما يعرض لهم من النظريات بسبب عملهم وأثناء أحاديثهم ومطالعاتهم ٠ وكنت أحد هؤلاء ولك كذلك الفضل فى أن جعلت الجريدة لما تسيله القلوب والعقول على الأقلام من ثمرات التفكير فى أوقات الفـــراغ ٠ وكنت أنا ممن أفادهم فضلك هذا بما نشرته فى الجريدة أيام كنت أطلب العلم فى مصر وفى أوربا وحين كنت محاميا ٠ ذلك فوق مالك من الفضل ما يتركه عطفك الأبوى فى نفس من يعرفك من حب لك وتعلق » ٠

ومن مقالاته أيضا كتاب (تراجم مصرية وغربية) نشرتها جريدة السياسة الأسبوعية وتناول فيها بعض أعلام التاريخ والفن والأدب تحكى صورة صحيحة وصادقة لتاريخ مصر خلال الفترة من عهد اسماعيل حتى عام ١٩٢٩ ، فتحدث عن اسماعيل وتوفيق ومحمد قدرى وبطرس غالى

ومصطفى كامل وقاسم أمين واسماعيل صبرى وعبد الخالق ثروت وغيرهم كما تناولت جماعة من الغربيين من أمثال بيتهوفن ، ومتين وشكسبير وشيلى ٠ وعند طبعها فى كتاب اضاف اليها فصلا عن كليوباترا أراد به أن يصحح الصورة التى زيفها مؤرخو الغرب لتاريخ مصر القديمة وفى هذه المقالات عرض وتحليل علمى داخل اطار الاسلوب الأدبى ٠

ومن مقالاته أيضا التى جمعها فى كتاب (حياة محمـــد) وكان يكتبها فى السياسة الأسبوعية من وقت لآخر خلال الأعوام من ١٩٣١ - ١٩٣٣ وهذه المقالات تنـاولت حياة الرســول ﷺ فى كـل مرحلة من مراحلها ، بعد أن تناول بلاد العرب قبل الاسلام ، مفصلا سيرة رسول الله ﷺ من ميلاده الى زواجه ، ثم بعثه عليه السلام بأسلوب يجمع بين روعة التحليل ودقة التعليل ، مع حسن السرد وجودة العبارة حتى يصل الى الفصل الحادى والثلاثون وعنوانه (دفن الرسول) ٠ فهذه المقالات تهتم بالسيرة النبوية ٠

وتعد مقالات الكتاب دراسة واعية للاسلام ورسوله ﷺ ومميزاته فى التزام الطريق نحو ايجاد نهضة فكـرية وحضـــارية لا تتحقق الا ببعث الماضى الكريم ، والحضارة الشريفة التى هى ثمرة لفهم الدين الاسلامى، وغرسا من عمل الرسول الكريم وتجمع مقالات الكتاب بين منطقية العلم وروعة العاطفة ٠

ومن القضايا الفكرية التى كان لهيكل دور كبير فيها قضية التبشير وكانت قد ظهرت فى الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٣ وكانت أحوال البـــلاد من سئ الى أسوء وفى هذه الأجواء المخيفة شهدت مصر الحملة التبشرية وأخذوا ينظرون الى موقف الحـكومة منها (وكانت وزارة اســماعيل صـدقى) وهنا تألفت جمعية لمقاومة التبشير واتخـــذت دار الشـــبان المسلمين مقرا لها ٠ وكان من أعضائها الشيخ مصطفى المراغى ، د٠ محمد حسين هيكل وغيرهما ٠

واشتركت الصحف المصرية فى مقاومة هذه الحملة مهما كلفها ذلك وكشفت الصحف عن أهداف حركة التبشير وأهمها اضـــعاف معنـويات

الشعب وزعزعة عقيدته وطالبت الحكومة بحماية النـــاس من خطورتها لا سيما على السذج والصغار ٠

يقول هيكل (اغراء الناس بالوسائل المـــادية لحملهم على تغيير مذهبهم أو عقيدتهم أو رأيهم ، هو محاربة دنيئة لهذه الحـــرية ، وهو استغلال للضعف الانسانى كاستغلال المرابى حاجة مدين ليقرضه بالربا الفاحش ٠ والتبشير فضلا عن هذا مناف لطبيعـة الخلق مادام يتم فى الظلام ولا يصارح القائم من الناس برأيه ليناقشوه هذا الرأى ، وليثبتوا مافيه من زيف أو افساد)(١) ٠

وتأسيسا على هذا الفهم وقفت السياسة من حركة التبشـير موقف المقاومة العنيفة ، وفتحت صفحاتها لحملة عنيفة اشترك فيها رجال الفكر ورجال الدين معا ٠ ونشرت السياسة عشرات المقالات فى هـــذه الحملة على هذا النحو :

- التبشير والسياسة التى تؤازره السياسة فى ١٢ يونيو ١٩٣٣ ٠
- حديث المراغى عن التبشير السياسة فى ١٣ يونيو ١٩٣٣ ٠
- التبشير بالتعذيب السياسة فى ١٣ يونيو ١٩٣٣ ٠
- حديث عن التبشير السياسة فى ١٥ يونيو ١٩٣٣ ٠
- حول التبشـــير السياسة فى ١٦ يونيو ١٩٣٣ ٠
- تصريح الحكومة عن التبشير السياسة فى ١٨ يونيو ١٩٣٣ ٠
- انتشار مآسى التبشير السياسة فى ١٩ يونيو ١٩٣٣ ٠
- رجال الدين والأزهر وموقفهم من التبشـــير السياسـة فى ٢٠ يونيو ١٩٣٣ ٠
- حوادث التبشير فى مصر حلقة من سلســلة الغارات على العلم الاسلامى السياسة فى ٢٢ يونيو ١٩٣٣ ٠
- حركة التبشير ، وحملة المبشرين ومؤيديهم السياســة فى ٢٣ يونيو ١٩٣٣ ٠

---

(١) مذكرات هيكل حـ١ ، ص ٣٢٩ عن محمد حسين هيكل فى ذكراه ص ١٩٦ ٠

- غزو العقيدة الاسلامية غاية التبشير السياسة ١٩٣٣/٦/٢٦ ٠
- العذاب فى سبيل العقيدة : حديث الاســـتاذ الاكبر من التبشير ١٩٣٣/٦/٢٦ ٠
- خطر الحركة التبشيرية وعقد مؤتمـــر اســلامى السياسة ٢٧/ ١٩٣٣/٦ ٠

وغير ذلك كثير من المقالات ٠ وقد أشار هيكل فى مذكراته الى أنه واصل حملته ضد التبشير رغم اجراء التحقيق معه فى بعض القضــايا الصحفية وكان من أثر هذه الحـــركة التبشيرية وموقف هيــكل منها أن اندفع للتفكير فى مقاومتها بالطريقة المثلى التى يجب أن تقاوم بها ٠ ورأى أن هذه الطريقة المثلى توجب عليه أن يبحث حياة رســول الله ﷺ صاحب الرسالة الاسلامية ومبادئه بحثا علميا ، وأن يعرض على الناس عرضا يشترك فى تقديره المسلم وغير المسلم ٠ وهكذا كتب هيكل حيــاة محمد فى جريدة السياسة الأسبوعية ٠

ويخلص هيكل من عرض الكتاب ونقده الى أن الاسلام لم يكن دينا وعبادة وكفى منذ اللحظة الأولى ، ولكنه سرعان ما كان ثقافة وحضارة تكونت على أسسه وأصوله التى توطدت حياة محمـــد بخير ما توطدت لحضارة ولثقافة أسسها وأصولها الأولى منه وقد ناقش فى مقالاته آراء الغرب ومقالاتهم عن حياة محمد ﷺ وعندما طبع هذا الكتاب لاقى اقبالا كبيرا ونفدت نسخه بمجرد صدوره والحقيقة اننا اذا ذهبنا نجمع مقالات هيكل وأبحاثه لوجدناها أكثر من أن تحصى ولوجدناها شاملة للسياسة والوطنية والثقافية والفكر والاجتماع والفلسفة والدين ٠

خصائص أسلوب محمد حسين هيكل :

يتسم أسلوب هيكل بالابانة عن اتساع ثقافاته وتنوعها ٠ كما نجده مخلصا يدافع عن القضايا الصائبة ويهاجم الظلم والطغيان ويدعو الى الحرية والعدل والعمل بالقانون ٠

وأفكاره منظمة مرتبـــة ترتيبــا منطقيا ٠ ويتسم أســـلوبه بكثرة

المقدمات حتى فى المقال الأدبى والسياسى - كذلك يعتمد اعتمادا كبيرا على التحليل الموضوعى والتعليل واستخلاص النتائج وهو فى أسلوبه بين الموضوعية والذاتية . فنراه موضوعيا فى معالجته لقضاياه أديبـا ذاتيا فى اتخاذه أسلوب الأديب فى التعبير عن هذه القضايا كما نلاحظ شيوع الاستطراد فى معظم كتاباته واتخاذه وسيلة لتوضيح أفكاره .

الخاتمة :

أما بعـــد ...

فقد قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دراسة عملية فى التعريف بطريقة كتابة المقال - وقد استلزم هذا التعريف بمعنى لفظة المقال فى اللغة والاصطلاح وتوضيح أركانه ومقوماته وعناصره والعوامل المؤثرة فى كاتبه وأنواعه . ومنهج كتابته والتعريف ببعض مكملات كتابة المقالات مثل عــلامات الترقيم والتلخيص والخلاصة .

الفصل الثانى : تناول البحث عن نشاة المقال فى الأدب العــربى القديم الى ماقبل العصر الحديث - والغرض منه البحث عن جـذور فن المقال فى أدبنا العربى القديم .

وهذا أدى الى بحث نشاة الكتابة الفنية ومناقشة الآراء التى ادعت نشأتها منذ الجاهلية واثبات أن الكتابة الفنية لم تعرف فى الجاهلية . ثم دراسة الكتابة فى عصر صدر الاسلام وأنواعها وخصائصها ثم الكتابة فى عصر بنى أمية وعوامل تطورها وخصائصها وبعض الرســائل التى يصح اطلاق اسم المقالة عليها مثل بعض رسائل عبد الحميد الكاتب .

ثم دراسة الكتابة فى العصر العباسى وتطورها والعوامل التى أدت الى هذا التطور ودراسة بعض الرسائل التى اشــبهت مقــالات العصر الحديث مثل رســالة الصــحابة لابن المقفع ورســالة التربيع والتدوير للجاحظ - ورسائل أبى حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة - ورسائل اخوان الصفا ... الخ .

الفصل الثالث : المقال فى العصر الحديث .

حيث مر بخمسة أطوار ودراسة كل طور والعــوامل المؤثرة فيه

وأنواع المقالات التى عرفت فيه وخصائص أسلوب المقال ، وأهم الكتاب فى كل مرحلة ٠

ثم دراسة بعض ألوان المقالة الصـــحفية وهى الـخاطرة الفكرة ، والمقال الساخر ٠

ثم ترجمت لثلاثة من أعلام كتاب المقالة يمثلوا ثلاثة مدارس مختلفة وهم مصطفى صادق الرافعى ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، د٠ محمد حسين هيكل ٠

وفى النهاية أرجو أن اكون قد وفقت فى التعريف بطريقة كتابة فن المقال ، والأطوار التى مر فى أدبنا العربى وكشفت عن جذور المقال العربية والغربية التى تاثر بها المقال فى مطلع العصر الحديث ٠

وبالله التوفيق ٠

أهم المراجع :

— ابراهيم عبد القادر المازنى : د٠ نعمات أحمد فؤاد ، دار المعارف ٠

— الأسلوب : د٠ أحمد الشايب ٠

— أسس النقد الأدبى عند العرب : د٠ أحمد أحمد بدوى ٠

— أضواء على الأدب الحديث : د٠ أحمد محمد الحوفى ، دار المعارف ٠

— التحرير العربى : د٠ أحمد شوقى رضوان ، ط الرياض ،

— المنتخب فى أدب المقالة

— الفن ومذاهبه فى النثر العربى : د٠ شوقى ضيف ، دار المعارف ٠

— النثر الفنى فى القرن الرابع : د٠ زكى مبارك ،ط دار الكتب٠

— حديث الأربعاء : د٠ طه حسين ، دار المعارف ٠

— المقال وتطوره فى الأدب المعاصر : د٠ السيد أبو ذكرى ، دار المعارف ٠

— على أمين شخصية ومدرسة : عبد الله زلطه ، دار المعارف ٠

— فن المقالة : محمد يوسف نجم ، دار المعارف ٠

— تطور الأدب الحديث فى مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية : د٠أحمد هيكل،دارالمعارف٠

— معارك طه حسين الأدبية والفكرية : سامح كريم ط بيروت ٠

— من أدب الرافعى ومعاركه : عباس بيومى عجلان ، دار المعرفة - اسكندرية ٠

— مع العقاد : د٠ شوقى ضيف ٠

— نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى : د٠ حسين نصار ٠

- من حديث شعر والنثر : د٠ طه حسين ، دار المعارف ٠
- جواهر الأدب : الهاشـمى ٠
- رسـائل الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون ٠
- روضة المدارس دراسة تحليلية ٠
- مصطفى صادق الرافعى ٠
- فن المقالة الذاتية : ربيع عبد الخالق ، دار المعرفة اسكندرية٠

فهرس الموضوعات

رقم الايداع ٢٠٠٨ / ١٩٩٣

I.S.B.N. 977-00-4608-6